



قصص أولي العزم

((نوح، إبراهيم، موسى، عيسى عليهم السلام))

أعدّها

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

قدّم لها

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله-

فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري -حفظه الله-

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٠/٤/٩٨٤)

٢٢٨,٢

عبد الواحد، صالح طه

البرهان من قصص القران/ صالح طه عبد الواحد._

عمان: المؤلف، ٢٠١٠.

(   )ص.

ر.إ: ٢٠١٠/٤/٩٨٤

الواصفات: قصص القران// القران/

- **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

تقديم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فهذه كلمات أضعها بين يدي خطب أخي في الله فضيلة الشيخ أبي إسلام صالح بن طه حفظه الله ورعاه، وهي سرد ماتع ومشوق لقصص الأنبياء في القرآن الكريم، وكما هي عادته، يُتْبعُ السردَ بيانَ الدروس والعبر والعظات.

والذي يستقرئ القرآن الكريم، يجد أن ضمن سوره سوراً تحمل أسماء الأنبياء، كنوح، وهود، ويوسف، ويونس، وإبراهيم، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- ومن سوره ما يخص بعضهم، كمريم، وآل عمران، وفيه أيضاً سورة تحمل اسم (الأنبياء).

وأما القصص التي ذكرها ربُّنا -جلَّ في علاه- في القرآن الكريم، وتتحدث عن الأنبياء فهي مساحة واسعة جدّاً، ظاهرة للعيان، وبارزة في القرآن لكل من يقرأه.

ولهذه القصص حِكَمٌ ومقاصد، وعظات، وغايات، ودروس، وفوائد، ويستفاد منها أحكام وآداب، وأخلاق ومناهج، وهي تجسيد عملي في

مواقف إيمانية وتربوية لتوثيق صلة العقيدة السليمة بـالمنهج الـصحيح كـما تراه في كل موقف من المواقف التي في هذا الكتاب، وتدلل على أن أنبياء الله عز وجل ممن اجتمعت فيهم: سنته في كونه وخلقه، وسنته في دينه وشرعه، فهم المصطفون الأخيار.

وحتى لا يبقى الحـق في التـصورات، وليكـون لـه في الواقـع حـضور وشهود، خلق الله الأنبياء، ليكونوا إليه داعين، وبه معـرفين، ولمـن أجـابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وكل موقف قصه الله عز وجل علينـا هـو بمثابة القـدوة الحـسنة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام:٩٠]، التـي يحتاجها الناس للصلاح والإصلاح، وللصمود بالعقيدة والأخلاق والقيم أمام متاع هذه الحياة.

وهي جميعاً واردة في خطاب إلهي لنبيه محمد ﷺ، فقد رباه ربـه وعلّمـه وزكّاه، وحماه بكلئه، وأفاض عليه من نعمه، فالحمد لله الذي جعلنا من أمته.

وهذه الخطب من أخينا فضيلة الـشيخ أبي إسـلام في سلـسلة مـن ضـمن حياته الدعوية على منبر مسجد إبراهيم الحاج حسن في عمان، وقـد وضـع الله لها القبول في الدنيا، فأسأله جل في علاه، أن يجعل لها القبول في الآخـرة، وهـو الموفق، لا رب سواه، ولا نعبد إلا إياه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

تقديم

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ أمابعد:

فقد اطلعت على سلسلة الخُطب العلمية المسمّاة بـ«البيان من قصص القرآن» والتي ألقاها فضيلة الأخ المكرّم الشيخ (أبي إسلام صالح بن طه عبد الواحد) في مسجده المبارك – مسجد إبراهيم الحاج حسن – في عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية عمان.

وهي خُطبٌ قائمةٌ على القصص القرآني الحق؛ مستنبطٌ منها المنهج النبوي الحقّ، والصراط القويم الحقّ؛ فهي جديرةٌ بالنظر، والاطّلاع، والانتفاع.

فجزى اللهُ تعالى مُلْقِيَها الفاضلَ خيرَ ما يجزي به عباده الصالحين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

وكتب

علي بن حسن الحلبي الأثري

عمان – الأردن

الثامن من جمادى الأولى / ١٤٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُهُ ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئات أعمالِنا من يهدِهِ اللهُ فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُه.

أما بعْدُ، فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرُّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالة في النار.

عباد الله!

- هذا **الجزء الثاني** من سلسلة «**من قصص القرآن**» ألا وهو كتاب «**البيان من قصص القرآن**» والذي تكلمنا فيه عن قصص الأنبياء من غير أولي العزم.
- وهذا أيضاً **الجزء الثالث** من سلسلة «**من قصص القرآن**» ألا وهو كتاب «**البرهان من قصص القرآن**» والذي تكلمنا فيه عن قصص أولي العزم من الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام.

وهي عبارةٌ عن مجموعةٍ من خطب الجمعة ألقيتُها في «مسجد إبراهيم الحاج حسن» بالأردن عمان.

وهي تُبَثُّ أيضاً من خلال «قناة الأثر الفضائية» والتي ترددها H١١٣٣٤[1]، فأسأل الله - عز وجل - أن ينفع بها مسموعةً ومكتوبةً، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) وعلى الموقع الإلكتروني: www.abuislam.net.

عباد الله!

خلـق اللهُ النـاس لعبادتـه قـال تعـالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] وأمرهم بعبادته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

واختار الله أفضل البشر ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، ليرسـلهم إلى الناس ليدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له، ويُبينوا لهـم الطريـق إلى سـعادة الدنيا والآخرة.

قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، فالبشرية قديماً وحديثاً لا تستغني عن الرسل ومنهج الرسلِ طرفة عين.

• وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – وتلميذه ابن القيم – رحمه الله تعالى – يبينان أنه لا غنى للبشرية أبداً عن الرسل ومنهجهم وتعاليمهم فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –:

«الرسالةُ ضروريةٌ للعبادِ، لا بدَّ لهم منها، وحاجتُهم إليها فوقَ حاجتِهم إلى كلِّ شيء، والرسالة روحُ العالَمِ ونورُهُ وحياتُه، فأيُّ صلاحٍ للعالَمِ إذا عُدِمَ الروح والحياة والنورُ؟ والدنيا مظلمة ملعونـة إلا مـا طلعـت عليـه شـمس الرسـالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمسُ الرسالة، ويناله من حياتها وروحِها فهو في ظلمةٍ، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، فهذا وصفُ المؤمنِ كان ميتـاً في ظلمةِ الجهلِ، فأحياه اللهُ بروحِ الرسالة ونورِ الإيمانِ، وجعل له نوراً يمشي به في الناسِ، وأمّا الكافر فميتُ القلبِ في الظلماتِ».

وقال رحمه الله تعالى: «إن اللهَ سمّى رسالتَه روحاً، والروحُ إذا عُـدِمَ فقـدت الحياةُ، قال الله تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى:٥٢] فـذكر هنـا أصـلين، وهمـا: الـروحُ، والنـورُ، فالروحُ الحياة، والنور النور».

وكذلك قال رحمه الله تعالى: «إن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونوراً لها بالماء الذي ينزله من السماء حياةً للأرض، وبالنَّار التي يحصل به النّور، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد:١٧]».

يقول شيخ الإسلام رحمه الله معقباً على الآية: «فشبه العلم بالماء المنـزل مـن السماء؛ لأنَّ به حياة القلوب، كما أنَّ بالماء حياة الأبدان، وشبّه القلوب بالأودية، لأنّها محلّ العلم، كما أنَّ الأودية محلّ الماء، فقلـب يـسع علـماً كثـيراً، وواد يـسع ماءً كثيراً، وقلب يسع علماً قليلاً، وواد يسع ماءً قليلاً، وأخبر تعـالى: أنَّـه يعلـو على الـسيل مـن الزبـد بـسبب مخالطـة المـاء، وأنَّـه يـذهب جفـاءً، أي: يرمـى به، ويخفى، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويـستقر، وكـذلك القلـوب تخالطها الشهوات والشبهات، ثمَّ تذهب جفاءً، ويستقر فيهـا الإيـمان والقـرآن الذي ينفع صاحبه والناس، وقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ﴾.

وبين رحمه الله تعالى أن لهذين المثالين نظيراً: «وهما المثالان المذكوران في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة:١٧-١٩].

وبعد أن بيَّن الشيخ رحمه الله وصف المؤمن، قال: «وأمَّا الكافر ففي ظلمات الكفر والشرك غير حيّ، وإن كانت حياته حياة بهيمية، فهو عادم الحياة الروحانية العلوية التي سببها الإيمان، وبها يحصل للعبد السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، فإنَّ الله سبحانه - جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه».

ثم بيَّن رحمه الله هذه الأصول التي أشار إليها هنا فقال: «فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصّها الله على عباده والأمثال التي ضربها لهم.

والأصل الثاني يتضمن الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبّه الله وما يكرهه.

والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنّة والنار؛ والثواب والعقاب.

ثم بيَّن أنَّ «على هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلّا من جهة الرسل، فإنَّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث

الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض، وتنزيل الدواء عليه»[1].

ويقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- مبيناً حاجة العباد إلى الرسال وتعاليمهم:

«ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلّا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلّا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلّا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلّا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأيّ ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاءه به الرسول كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسُّ بهذا إلّا قلبٌ حيٌّ، وما لجرح بميت إيلام، وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحبَّ نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه

(١) النصوص السابقة من هذا المبحث منقولة من «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٩/ ٩٣-٩٦).

وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقلٍّ، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم»[1].

وعقد ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم «مفتاح دار السعادة» مقارنة بيَّن فيها أنَّ حاجة الناس إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى علم الطب مع شدَّة حاجة الناس إليه لصلاح أبدانهم، فحاجتهم إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى غيرها من العلوم، قال: حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كلِّ شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألّا ترى أنّ أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأمّا أهل البدو كلّهم، وأهل الكفور كلّهم، وعامّة بني آدم -فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصحُّ أبداناً، وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب، ولعلّ أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وجعل لكلِّ قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء، حتى أنَّ كثيرا من أصول الطب إنّما أخذت عن عوائد الناس، وعرفهم وتجاربهم.

وأمّا الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختياريّة، فمبناها على الوحي المحض، والحاجة إلى التنفس فضلاً عن الطعام، والشراب، لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح، والقلب جملة وهلاك الأبدان، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس النَّاس قط إلى شيء

(١) «زاد المعاد» (١/ ١٥).

أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به، والدعوة إليه. والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع، إليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلّا بالعبور على هذا الجسم[1].

• فلما كانت البشرية لا تستغني عن الرسل طرفة عين فقد أرسلَ الله رسله إليها :

أولاً: لدعوة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فما من نبي إلا قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

ثانياً: لإخراج العباد من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم:١].

ثالثاً: لهداية العباد وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى:٥٣].

رابعاً: لتبشير المؤمنين الطائعين، وإنذار العُصاة المجرمين، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ﴾ [الأنعام:٤٨].

خامساً: لتزكية النفوس وتطهيرها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ [الجمعة:٢].

سادساً: ليبينوا للعباد حقيقة هذه الحياة الدنيا حتى لا يغتروا بها، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت:٦٤].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢).

سابعاً: ليكونوا قدوة حسنة للعباد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة:٦].

ثامناً: ليُذكِّروا العباد بالنشأة الأولى والقيامة والحساب والجنة والنار إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل بالوحي من عند ربهم.

فتعالوا بنا عباد الله لنعيش مع «قصص الأنبياء» فهي أحسن القصص كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

ففيها العبرُ والعظاتُ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

سائلين المولى في علاه أن ينفعنا بما فيها وأن يهدينا بهداه إنه وليُ ذلك والقادرُ عليه.

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن – عمان

مساء الثلاثاء ٥ محرم ١٤٣١ هـ

٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٩م



قصةُ نوحٍ -عليه السلام-

١- دعوة نوحٍ -عليه السلام- لقومه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف:١١١]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود:١٢٠].

عباد الله! انتهينا من الحديث عن الجزء الثاني من سلسلة قصص القرآن، والتي كانت بعنوان **البيانُ من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي تكلمنا فيها عن قصص الأنبياء من غير أولي العزم.

وموعدنا مع بدايةِ الحديث عن القسم الثالث من سلسلة «قصص القرآن والذي هو بعنوان: **البرهان من قصص القرآن. دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والذي سنتكلم فيه -إن شاء الله تعالى- عن قصص أولي العزم من الرسل، وهم: نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام، وأما رسولنا محمدٌ ﷺ فسنتكلم عنه في سلسلة خاصة به بعنوان **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن**.

عباد الله! وأولو العزم من الرسل ذكرهم الله في كتابه في موضعين:

الموضع الأول: في سورة الأحزاب، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب].

الموضع الثاني: من سورة الشورى في قوله تعالى:﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وقد أمر الله رسولَهُ محمداً ﷺ أن يصبرَ في دعوته كما صبر أولو العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥].

ذكر الله أولي العزم من الرسل في موضعين من كتابه العزيز:

عباد الله! فموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع أولِ أولي العزمِ، وهو: نوحٌ عليه السلام.

- نوحٌ عليه السلام رسولٌ من عند الله.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف].

• نوحٌ عليه السلام أول رسولٍ إلى أهل الأرض.

قال ﷺ: «**أنا سيِّدُ الناسِ يومَ القيامةِ، وهل تدرُون بمَ ذاك؟ يجمع الله يومَ القيامةِ الأولين والآخرينَ في صعيدٍ واحدٍ؛ فيُسمُعُهم الداعي، وينفُذُهُم البصرُ، وتدنو الشمسُ؛ فيبلُغُ الناسَ مِن الغمِّ والكربِ ما لا يُطِيقُون. وما لا يحتَمِلُون. فيقولُ بعضُ الناسِ لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترونَ ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون مَنْ يشفعُ لكم إلى ربكم؟ فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ: ائتوا آدم، فيأتون آدم، فقولون: يا آدم! آنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضبَ اليوم غضباً لم يغضب قبلَهُ مِثلَهُ، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُهُ، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوحٍ، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوحُ! أنتَ أولُ الرسُلِ إلى الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربِّك ألا ترى ما نحنُ فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقولُ لهم: إن ربي قد غضبَ اليومَ غضباً لم يغضبْ قبلَهُ مِثلَهُ، ولن يغضبْ بعدَه مِثلَهُ، وإنه قد كانتْ لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم** عليه السلام...»[1].

• نوحٌ عليه السلام من الأنبياء الذين أوحى إليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

• نوحٌ عليه السلام الذي مدحه الله وأثنى عليه، فقال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء].

• نوحٌ عليه السلام الذي دعا قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً بالليل والنهار لا يكل ولا يمل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت].

• نوحٌ عليه السلام الذي جعل الله في ذريته النبوةَ والكتاب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد].

• نوحٌ عليه السلام الذي استجاب اللهُ دعاءه ونجاه من الكربِ العظيم، وجعل ذريته هم الباقين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات].

• **عباد الله!** كان الناسُ أمةً واحدةً من آدم إلى نوحٍ -عليهما السلام- كلهم على الإسلام؛ عن أبي أمامة: أن رجلاً قال: يا رسول الله! أنبيٌّ كان آدم؟ قال: «نعم، مُكَلم».

قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرةُ قرون»[1]، وعن ابن عباس

---

(١) **صحيح**، صحححه ابن حبان (٦١٥٧)، والحاكم (٢/ ٢٦٢) ووافقه الذهبي [والألباني في «الصحيحة» (٢٦٦٨، ٣٢٨٩)].

رضي الله عنه قال: «كان بين آدم ونوحٍ عشرةُ قرونٍ كلُهم على الإسلام»[1].

قال الله تعالى في كتابه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة:٢١٣]، أي: كانوا على الهدى جميعاً على ملة آدم عليه السلام يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً؛ فجاء الشيطان فدخل على الناس فزيّن لهم المعاصي، فأحلّ لهم الحرامَ، وحرّم عليهم الحلال، وأمرهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً.

وقال صلى الله عليه وسلم ذاتَ يومٍ في خُطبته: «**ألا إنّ ربي أمرني أن أُعلِّمَكُم ما جَهِلتُم مما علّمني، يومي هذا .. وإني خلقتُ عبادي حُنفاءَ** -أي: مسلمين- **كُلّهم، وإنهم أَتَتْهُمُ الشياطين فاجتالتهم** -أي: أزالتُهم- **عن دينهم وحرّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم. وأمرتْهُمْ أن يشركوا بي ما لم أُنْزِلْ به سُلطاناً**»[2].

عباد الله! وأول من عبدَ الأصنامَ هم قومُ نوحٍ، والسبب هو غلوهم في محبة الصالحين، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام:

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح].

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]؛ (هذه أسماء رجالٍ صالحين من قومِ

---

(١) **صحيح**، صححه الحاكم (٢/ ٥٤٦) ووافقه الذهبي، [والألباني انظر الهامش السابق].

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٢٨٦٥).

نوحٍ. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسَمُّوها بأسمائهم ففعلوا. فلم تُعبدْ، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العِلمُ عُبدَتْ)[1]، قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوحٍ في العربِ بعدُ.

ويقول ﷺ محذراً من الغلو في الصالحين: «**أولئك إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلقِ عندَ اللهِ** -عز وجل-»[2].

عباد الله! هكذا دبّ الشركُ في الناسِ بسبب قلةِ العلم، وكثرة الجهل، والغلو في محبة الصالحين، فرحمةً من الله بالعباد أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين.

وكان أول رسولٍ إلى البشرية هو نوحٌ عليه السلام، أرسله الله إلى قومه يدعوهم إلى عقيدة التوحيد ويحذرهم من الشرك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح].

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

الأساليب التي استخدمها نوح -عليه السلام- في دعوة قومه

أولاً: أخبرهم أنه رسولٌ لهم من عند الله يبلغهم رسالة ربه وينصح لهم:

- قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف].
- وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء].

ثانياً: أخبرهم أنه لا يطلب منهم مالاً ولا شيئاً من دنياهم على دعوته لهم:

- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ [الشعراء].
- وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود:٢٩].

ثالثاً: أخبرهم أنه لا يعطي لمن استجاب له مالاً، وإنما يدعوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وذلك بعبادة الله وحده لا شريك له.

- قال تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود].

رابعاً: يذكرهم بتقوى الله -عز وجل-، وقد جاء هذا التذكير بأسلوبين:

- **أولاً**: بأسلوب العرض والحض:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الشعراء].

• **ثانياً**: بأسلوب الأمر:

قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الشعراء].

خامساً: استخدم معهم أسلوب الترغيب

• قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح].

سادساً: استخدم معهم أسلوب الترهيب والتخويف:

• قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [هود].

• وقال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح].

سابعاً: يذكرهم بنعم الله عليهم، ويلفت أنظارهم إلى مخلوقات الله التي تدل على وحدانيته؛ لعلهم يتوبون من شركهم ويستيقظون من غفلتهم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح].

ثامناً: دعاهم بالليل والنهار سراً وجهراً لا يكل ولا يمل:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا

﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾﴾ [نوح].

عباد الله! استخدم نوحٌ عليه السلام في دعوة قومه جميع الأساليب في الدعوة إلى الله. فماذا قال له قومه؟ وبماذا اتهموه؟

الدروس والعظات والعبر المستفادة من دعوة نوح -عليه السلام- لقومه

أولاً: إن جميع الرسل من نوح -عليه السلام- إلى محمدٍ ﷺ متفقون على الدعوة إلى التوحيد الخالص والنهي عن الشرك:

فنوحٌ عليه السلام قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [هود:٥٠]، وقال لهم: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح]، وهذا ما دعا به جميع الرسل إلى محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، فعلى الدعاة أن يسلكوا في دعوتهم منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله -تعالى-.

ثانياً: على الدعاة إلى الله أن لا يتطلعوا إلى ما في أيدي الناس من حطام الدنيا الفاني ولا يسألوا الناس أجراً على دعوتهم

فهذا نوحٌ عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود:٢٩].

وما من نبي إلا ويقول لقومه: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء].

ثالثاً: الصبر على دعوة الناس إلى الله -تعالى-

فهذا نوحٌ عليه السلام دعا قومه ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً، ألف سنة إلا خمسين عاماً لا يكل ولا يمل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

رابعاً: التحذير من الغلو في محبة الصالحين:

فها هم قوم نوحٍ وقعوا في الشرك بسبب الغلو في محبة الصالحين فهذه الآلهة التي عبدوها من دون الله وقالوا عندما دعاهم نوحٌ عليه السلام: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح] كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح. وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوّرُوهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليسُ فقال: (إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقون المطر. فعبدوهم) [1].

ولذلك حذر النبي ﷺ من الغلو في الصالحين، فقال ﷺ: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله** -عز وجل-»[2].

وقال ﷺ: «**لا تُطروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريم فإنما أنا عبده،**

(١) انظر: «ابن كثير» (٦/ ٣١٦).

(٢) **صحيح**، متفق عليه سبق ص(٢٠).

فقولوا عبدالله ورسوله»[1]؛ فالنصارى غلو في عيسى بن مريم حين جعلوهُ إلهاً، ومنهم من جعله ابن الله.

فاحذورا يا عباد الله: من الغلو في الصالحين، فهو طريقٌ إلى الشرك.

خامساً: التحذير من الصورِ والتماثيل لذوات الأرواح:

فها هم قوم نوح وقعوا في الشرك؛ بسبب الصورِ والتماثيل التي صنعوها لصالحيهم.

ولذلك جاء الإسلامُ يحرمُ الصور والتماثيل لذوات الأرواح فقال ﷺ: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[2].

سادساً: الاستغفار سببٌ لكل خير:

ولذلك قال نوحٌ لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح]، وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود].

قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فأمطروا، فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ....﴾ [نوح: ١٠-١٢].

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

وقال ابن صبيح: شكا رجلٌ إلى الحسن الجدوبة؛ فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر؛ فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً فقال له: استغفر الله، وشكا له آخر جفاف بستانه؛ فقال له: استغفر الله فقلنا له في ذلك، فقال: ما قلت من عندي شيئاً، إن الله يقول في سورة نوح: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ....﴾ الآية.



قصة نوح -عليه السلام-

٢- ماذا قال قوم نوحٍ له؟ وبماذا اتهموه؟

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزمِ من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصةُ نوحٍ -عليه السلام-**

عباد الله! كان الناسُ من آدم إلى نوحٍ -عليهما السلام- أمةً واحدةً على الهدى يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً.

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة:٢١٣] -أي: على الهدى جميعاً- وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (كان بين آدم ونوحٍ عشرةُ قرونٍ كلهُم على الإسلام)[1].

(١) سبق (ص١٩).

عباد الله! بينا فيما سبق أنه بسبب قلة العلم وكثرة الجهل والغلو في محبة الصالحين دخلت الشياطين على قوم نوحٍ؛ فاجتالتهم عن دينهم وأحلت لهم ما حرم الله، وحرّمتْ عليهم ما أحلّ اللهُ، وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزلْ به سلطاناً.

عباد الله! بعث الله رسوله نوحاً عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم من الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح]؛ فأخذ نوحٌ عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً ألف سنة إلا خمسين عاماً، لا يكل ولا يمل، قال تعال على لسان نوحٍ عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

عباد الله! ماذا قال قومه له عليه السلام؟ وبماذا اتهموه؟ وما هي الشُّبُه التي تمسكوا بها ليُبرروا كُفرهم وعِنادَهم ورفضهم لدعوةِ نوحٍ عليه السلام؟.

أولاً: ما الذي قاله قومُ نوحٍ لنوحٍ -عليه السلام-؟

١ - قالوا له لن نستجيب لدعوتك ونحن مصرون على التمسك بآلهتنا، قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]، وقال تعالى

في وصفهم على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ -حتى لا يسمعوه، ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ -حتى لا يرونه- ﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح].

٢- هدَّدوه بالرجم إذا لم يتوقف عن دعوته، قال تعالى عنهم: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦﴾ [الشعراء]، أي: لئن لم تنته يا نوح عن سبِّ آلهتنا، وعيب ديننا، لتكونن من المرجومين بالحجارة، وقال ابن عباس: من المقتولين[1].

٣- قالوا له: كيف نتبعك وأنت بشرٌ مثلنا، والذين اتبعوك هم أراذلنا؟ قال تعالى عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝٢٧﴾ [هود]، - أي: كيف نتبعك وأنت بشرٌ مثلنا في الجنس لا مزيَّةَ لك علينا تكونُ بها نذيراً لنا، نطيعُك ونتبعُك مُذعنين لنبوتك ورسالتك، وقالوا له: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ۝١١١﴾ [الشعراء]، - أي: أنصدق قولك وقد اتبعك الأرذلون، أي: أنؤمن لك نحن وأتباعك الأرذلون فنُعدَّ منهم؟[2].

٤- قالوا له يا نوح! أنت تريد بدعوتك هذه أن تتفضل علينا وتكون رئيساً

(١) القرطبي: ١٣/ ١٢١ ابن كثير: ٣/ ٣٤١.

(٢) [القرطبي: ١٣/ ١١٩-١٢٠].

علينا، قال تعالى عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون].

ثانياً: ما الاتهامات التي وجهها قومه له -عليه السلام- ظلماً وزوراً وبهتاناً؟

١ - اتهموه بالضلال، قال تعال عنهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف].

٢ - اتهموه بالكذب، قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود:٢٧].

وقال تعالى -على لسان نوح-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف].

٣- اتهموه بالجنون، قال تعالى: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون].

٤ - اتهموه بكثرة الكلام والجدال، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود].

ثالثاً: الشبهات التي آثارها قوم نوح حول نوح-عليه السلام- ودعوته، وحول الذين آمنوا به؛ ليبرروا رفضهم لدعوته وبقائهم على كفرهم.

الشبهة الأولى: كونه من البشر

قال تعالى عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود:٢٧].

• الرد على هذه الشبهة:

١ - قال تعالى على لسان نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ أي: أرأيتم إن كنت على يقين، وأمر جلي، وحجةٍ ظاهرةٍ من ربي فيما جئتكم به ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾، وهي: النبوة، ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾، أي:خفيت عليكم فلم تهتدوا إليها، ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ [هود:٢٨]: فهل نلزمكم إياها بالجبر والإكراه؟

وهذا لا يكون أبداً؛ لأن الإيمان يكون عن رضا واختيار، لا عن جبرٍ وإكراه، كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩].

عباد الله! فنوحٌ عليه السلام ردّ على شبهةِ قومه بأنه بشرٌ، ولكن الله تفضل عليه بالنبوة والرسالة، وأمرهُ أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده.

الشبهة الثانية: اعتقادهم أن النبي لا بد أن يكون ملكاً من الملائكة

قال قوم نوحٍ في تبرير رفضهم دعوة نوح: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [المؤمنون]، أي: لو شاء الله -بزعمهم- إرشاد البشر عن طريق إرسال أنبياء لبعث لهذا الغرض ملائكة، فهم أقدر من البشر على تحقيق هذا الغرض؛ لعلو شأنهم وشدة سطوتهم، فالخلق ينقادون إليهم، ولا يشكون في رسالتهم، فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولاً قط، وقالوا: ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [المؤمنون]، أي: ما سمعنا بمثل هذا

الذي يدعي وهو بشر أنه رسول الله.

• **الرد على هذه الشبهة:**

قال لهم نوحٌ عليه السلام رداً على هذه الشبهة: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ [الأعراف:٦١-٦٢]، وقال لهم أيضاً: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف].

• ورد الله هذه الشبهة فقال لهم: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام]، -أي: لو جعل الله الرسول المبعوث إلى البشر ملكاً لجعل الله تعالى هذا الملك متمثلاً في صورة بشر؛ لتمكينهم من رؤيته، وسماع كلامه الذي يبلغه عن الله تعالى، ولو جعله الله تعالى ملكاً في صورة بشر لاعتقدوا أنه بشر؛ لأنهم لا يدركون منه إلا صورته وصفاته البشرية التي تمثل بها، وحينئذ يقعون في نفس اللبس والاشتباه الذي يلبسونه على أنفسهم باستنكار جعل الرسول بشراً.

الشبهة الثالثة: قالوا يا نوح! أتباعك هم أراذلنا، فكيف نتبعك؟

قال تعالى عنهم: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧].

• **الرد على هذه الشبهة:**

قال لهم نوحٌ -عليه السلام- رداً على هذه الشبهة: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ

﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود].

والمعنى أن نوحاً عليه السلام قال لقومه: أنا لا أطلب مالاً منكم على تبليغكم رسالة ربي حتى يتفاوت الحال عندي بسبب كون المستجيب للدعوة فقيراً أو غنياً.

• وقال لهم أيضاً عندما قالوا له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! وأتباعُ الرسلِ في كل زمان ومكانٍ هم الضعفاء والفقراء من الناس، ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن صفات النبي ﷺ، قال له فيما قال: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فقال هرقل: هم أتباع الرسل[1].

وأما الذين يكفرون بالرسل مهم السادة والكبراء والمترفون في كل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ].

الشبهة الرابعة: أنهم زعموا أن نوحاً –عليه السلام– بدعوته يريد أن يتفضل عليهم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون].

• الرد على هذه الشبهة أن نوحاً عليه السلام: أخبرهم أنه لهم نذيرٌ ورسولٌ من عند الله، فقال لهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [نوح]، وقال لهم: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف]، وقال لهم: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود:٢٩]؛ فنوحٌ عليه السلام لا يتطلع إلى دنياهم فكيف يريد أن يتفضل عليهم؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

عباد الله! هذه هي أقوال قومِ نوحٍ واتهاماتُهم وشبهاتُهم التي وجهوها لنوحٍ عليه السلام ليصدوا الناس عن دعوته.

• وقد أخبرنا الله عن أقوالهم واتهاماتهم وشبهاتهم في كتابه؛ فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود].

عباد الله! ولم يكتف قوم نوح بهذا الكفر والعناد، ولكنهم طلبوا من نوحٍ عليه السلام أن ينزل عليهم العذاب الذي يتوعدهم به:

قال تعالى عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود]، أي: لقد حاججتنا فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود]، أي: من النقمة والعذاب، ادع علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به إن كنت من الصادقين في ادعائك النبوة، وأن الله يعاقبنا إن لم نؤمن لك. فقال لهم نوح عليه السلام كما أخبرنا الله به: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [هود]، أي: إن هذا بيد الله ولا أملكه أنا، وهو الذي يأتيكم به إن تعلقت مشيئته به في الوقت الذي تقتضيه حكمته: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾، أي: وما أنتم بمانعين الله تعالى من إنزال العذاب بكم إذا شاءه، وإذا شاء آخره لحكمة يعلمها، ولكن متى شاء وقوعه فلا بد أن يقع.

عباد الله! قوم نوحٍ أصروا على الكفر والعناد واستكبروا استكباراً، وطلبوا من نوح عليه السلام أن يأتيهم بعذاب الله، والله -عز وجل- أخبر رسولَهُ نوحاً عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.

فقال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود].

الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من موقف قوم نوحٍ مع رسول الله إليهم نوح -عليه السلام-.

أولاً: الشبه الذي يثيرها الكفار وأعداء الرسل، وأعداء الدعاة في كل زمان ومكان واحدٌ.

قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾

[فصلت:٤٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات]؛ فالأقوام قبل قريش اتهموا الرسل الكرام بالسحر والجنون، وكذلك فعلت قريش لتنفير الناس من رسول الله ﷺ ودعوته.

عباد الله! والشبهة هي ما يثيرُ الشك والارتياب في صدق الداعي وأحقيّة ما يدعو إليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له أو تأخير هذه الاستجابة.

والغالب أن «الملأ» هم الذين يُثيرون الشبهات ويُزينوها للناس ويشبعونها فيما بينهم، ويكرروها على مسامعهم حتى تألفها نفوس البسطاء من عامة الناس، ويأخذون في ترديدها، ثم تصديقها، ثم تبنِّيها واعتبارها كالحقائق الثابتة، وعند ذاك يندفعون إلى الدفاع عنها ومخاصمة الحق وأهله من أجلها.

والشبهات أنواع:

* **منها ما يتعلق بالداعي،** مثل: الطعن في شخصه وسيرته وسلوكه وإلصاق التهم به، ورميه بالسّفه والجهالة والضلالة والجنون والافتراء ..، إلى غير ذلك مما يكون المقصود منه: تنفير الناس منه وعدم الثقة به، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - **قوم نوح**، قال تعالى عنهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف].

٢ - **عاد قوم هود**، قال تعالى عنهم: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف:٦٥-٦٩].

٣- **قريش مع رسول الله ﷺ**، قال تعالى عنهم: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص].

* **ومنها ما يتعلق بموضوع الدعوة**، مثل: اتهامها بالابتداع والخروج على مألوفات الناس وتقاليدهم ونظامهم الموروث، مما يراد به تنفير الناس من الدعوة إلى الله وصدهم عن سبيله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ [سبأ].

* **ومنها ما يتعلق بالمدعوين**: ويتمثل في إظهار الحرص على مصالحهم

وملتهم ودين آبائهم، والحفاظ على نعيمهم وحياتهم المطمئنة، مما يقصد منه إثارة حماس الناس ضد الدعاة إلى الله.

قال تعالى عن قوم نوح: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى عن قوم فرعون: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى عن فرعون وهو يحذر قومه من موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر].

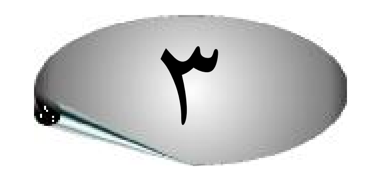
ثانياً: الكفر ملةٌ واحدةٌ في كل زمان ومكان

عباد الله! الكفار من قوم نوحٍ إلى يومنا هذا ملةٌ واحدةٌ ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

ثانياً: على الدعاة إلى الله أن يدعوا الناس إلى الله ولا يتطلعوا إلى النتائج فإن الهداية بيد الله وحده:

• فهذا نوح عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يؤمن معه إلا القليل، فعلى الرسل البلاغ والهداية بيد لله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس].



قصة نوح -عليه السلام-

٣- هلاك قوم نوح -عليه السلام-

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف:٣].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة هلاكِ قومِ نوحٍ -عليه السلام-**.

عباد الله! نوحٌ عليه السلام دعا قومَهُ ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً، ألف سنةٍ إلا خمسينَ عاماً لا يكلّ ولا يملُّ، فما وجد منهم إلا كفراً وعناداً واستكباراً وإصراراً على ما هم عليه من الكفر والشركِ والمعاصي، فوقف نوحٌ عليه السلام يشتكي قومه إلى الله تعالى.

• قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح].

• وقال تعالى أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح].

ولم يكتف قوم نوح بكفرهم وعنادهم، بل قالوا له عليه السلام مستهزئين: يا نوح! أنزل علينا عذاب الله الذي تتوعدنا به، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٣٢﴾ [هود].

عباد الله! والأنبياء والرسل أرسلهم الله رحمةً للناس، فلذلك يحزن الرسول حزناً شديداً على كفر قومه:

• فهذا رسولنا ﷺ كاد الحزن أن يقتله بسبب لإعراض قومه عنه، حتى قال الله له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾ [فاطر]، وقاله له أيضاً: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الشعراء].

• وهذا نوحٌ عليه السلام حزن حزناً شديداً على كفر قومه وعنادهم فأوحى الله إليه يخبره أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود:٣٦]، وهذه تسليةٌ لنوحٍ عليه السلام عما كان من أذى قومه له ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [هود]، وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه.

عباد الله! لما رأى نوحٌ عليه السلام من قومه الإصرار على الكفر والعنادِ، وأخبره الله أنه لن يؤمن منهم أحدٌ إلا من قد آمن، دعا ربه أن يهلك قومه،

وأن يُطهر الأرض منهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح]، وقال تعالى على لسان نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ [المؤمنون].

عباد الله! استجاب الله دعوة نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات]. وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٧٦].

عباد الله! ولا يعذب الله -عز وجل- قوماً حتى يقيم الحجة عليهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ [الشعراء]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص:٥٩]، والله -عز وجل- قضى أن يهلك قوم نوحٍ بالغرق ليطهر الأرض منهم، والله -عز وجل- لا معقب لحكمه ولا غالب لأمره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء]. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

عباد الله! وأمر الله رسوله نوحاً عليه السلام أن يصنع سفينة، وقال له: لا تخاطبني في أحدٍ من قومك فإني مغرقهم جميعاً، قال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود]، فاستجاب نوحٌ عليه السلام لأمر

ربه وبدأ في صناعة السفينة، وكلما مرّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه، فمنهم من يقول له: يا نوح كنت بالأمس نبياً واليوم نجاراً، أزهدت في النبوة أم رغبتَ في النجارة؟! ومنهم من يقول له: يا نوحُ! ما بالُ سفينتك تصنعُها بعيدة عن البحار والأنهار، أأعدت الثيران لجرها، أم كلفت الهواء حملها؟! قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود].

عباد الله! وأخبر الله نوحاً عليه السلام بعلامةٍ إذا رآها ركب في السفينة هو ومن أمره الله بحملهم.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠].

والتنور، قيل: هو وجه الأرض، وقيل: هو الفرن ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود].

- وأمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة، فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه، وأقر عينه ممن خالفه وكذبه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون].

- فامتثل نوحٌ عليه السلام وصية ربه: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود].

عباد الله! بدأ الماءُ ينبعُ من الأرض، وينزلُ من السماء، وركب نوحٌ ومن

معه في السفينة، وبدأ هلاك القوم الظالمين، لنستمع إلى كلام ربنا، كيف أهلك قوم نوحٍ:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦)﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)﴾ [هود]، أي: سحقاً وهلاكاً للقوم الظالمين، الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وبعداً لهم من الرحمة والمغفرة.

عباد الله! وهكذا ينتقم الله من الأمم الظالمةِ الكافرةِ، ويُبعدُهم من رحمته ومغفرته.

• فها هم عادٌ قوم هود عندما أهلكهم الله وأبعدهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)﴾ [هود].

• وها هم ثمود قوم صالح عندما أهلكهم الله وأبعدهم، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [هود].

• وها هم مدين قوم شعيب عندما أهلكهم الله وأبعدهم، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [هود].

عباد الله! هكذا ينتقم الله من الأمم الكافرة التي عبدت غيره من الآلهة المزعومة، فنقول لهم: أين الآلهة التي عبدتموها من دون الله ترفع عنكم العذاب؟ أين يا قوم نوح الآلهة التي كنتم تقولون عنها: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح].

ولذلك بعد أن قص الله على رسوله ﷺ قصص الأمم الكافرة التي عبدت غير الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [هود].

فالأشقياء هم الذين كفروا بالله وعبدوا غيره، فعذبهم الله في الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب.

وأما السعداء: فهم الذين عبدوا الله وحده ولم يشركوا به شيئاً، فنجاهم

من العذاب في الدنيا ويوم القيامة: ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة]، جعلنا الله وإياكم من السعداء.

عباد الله! أرسل الله -عز وجل- رسله إلى الأمم كافة؛ رحمةً بعبادِهِ، وحتى لا تكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل؛ الذين جاءوا ليهدوهم إلى التوحيد ويحذرهم من الشرك.

فمن آمن بالله واتبع الرسولَ نجاهُ الله من الهلاك، ومن كفر بالله والرسول أهلكه الله.

فها هم قوم نوح عبدوا غير الله، فأرسل اللهُ إليهم رسوله نوحاً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحدهُ، ويحذرهم من الشرك، فلم يستجيبوا له، ولم يؤمنوا به إلا قليلاً منهم، فنجا الله نوحاً عليه السلام والذين آمنوا معه، وأهلك قومَ نوح وأبعدهم.

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء].

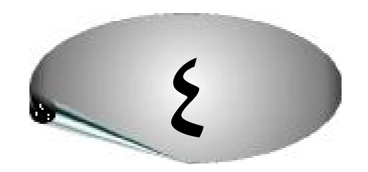
وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (121)﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48)﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82)﴾ [الصافات].

فهذه هي نهاية المجرمين، وهذه هي عاقبة المتقين، ولذلك بعد أن قص الله على رسوله ﷺ قصة نوح مع قومه قال له: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)﴾ [هود].

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة نوحٍ عليه السلام فهذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.



قصة نوح -عليه السلام-

٤- الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة نوح -عليه السلام-

عباد الله! يقول الله-عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ [هود].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **الدروس والعظات والعبرُ التي تُؤخذ من قصة نوحٍ -عليه السلام-**.

عباد الله! قصة نوحٍ عليه السلام مع قومه التي أخبرنا الله عنها في كتابه، فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: العاقل من اتعظ بغيره والشقيُّ من يَشقى في بطن أمه

عباد الله! قوم نوح كفروا بالله وعصوا رسوله؛ فانتقم الله منهم؛ بأن عذبهم في الدنيا بالغرق ثم نقلهم من عذاب الدنيا إلى عذاب القبر وينقلون يومَ القيامة من عذاب القبر إلى عذاب جهنم، وبئس المصير، فجمع الله عليهم عذاب الدنيا وعذاب القبر، وعذاب الآخرة؛ جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً.

قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾ [نوح].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾ [إبراهيم].

إلى أن قال رب العزة عن هؤلاء الذين كفروا به وعصوا رسله:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم].

عباد الله! جعل الله هلاك قوم نوحٍ، ونجاة نوحٍ ومن معه من السفينة؛ عبرةً لمن أراد أن يعتبر، وآيةً لمن أراد أن يتعظ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر].

- فالعاقل من اتعظ بغيره، ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].
- فعلى الأمم الكافرة اليوم -وكذا المسلمين- أن تعتبر بالأمم الكافرة

قبلها، وكيف انتقم الله منهم، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ [المرسلات].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد].

فيا معشر الكفار في كل مكان وزمان، اعتبروا بهلاك قوم نوحٍ، وآمنوا قبل أن يحل بكم ما حل بهم فتندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال].

- ويا معشر العصاة من المؤمنين؛ توبوا إلى الله من المعاصي قبل فوات الأوان، فتندموا في وقت لا ينفع فيه الندم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

فيا عباد الله! العاقل من اتعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه.

ثانياً: أسباب الحياة يجعلها ربنا -جل وعلا- إذا شاء أسباباً للموتِ والهلاكِ والدمارِ

عباد الله! الموتُ والحياةُ بيدِ الله وحده واللهُ -عز وجل- يفعل ما يشاء لا معقبَ لحكمه، ولا غالب لأمره، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء]. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد]. ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]

والكافر والمجرم والعاصي لا يدري كيف ينتقم الله منه؟ ومتى ينتقم الله منه؟ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! والله -عز وجل- قادرٌ أن يجعل أسباب الحياة أسباباً للموت والهلاكِ والدمارِ، في وقت واحد.

- فأسباب الحياة، هي: الأرضُ، الماءُ، الهواءُ، والنارُ.

فالأرضُ: قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ].

والماءُ: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء].

والهواءُ: قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان].

والنارُ: قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ [الواقعة].

عباد الله! فهذه أسباب الحياة يجعلها ربنا -جل وعلا- أسباباً للموت والهلاكِ والدمارِ.

• **فبالأرضُ:** أهلك الله قارون، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١﴾ [القصص].

وقال ﷺ: «**بينما رجلٌ يمشي في حُلةٍ تُعجبه نفسه، مُرجلٌ جمته يختال في مشيته، إذ خسف الله به؛ فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»(1).

• **وبالماءُ:** أهلك الله قوم نوحٍ، وفرعون وقومه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤﴾ [العنكبوت]. وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١١٩ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ۝١٢٠﴾ [الشعراء]، وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ [القصص].

• **وبالهواءُ:** أهلك الله عاداً قوم هود، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

• **والنارُ:** يهلك الله بها من يشاءُ من الكفرةِ والمجرمين، فها هي البراكين الهائلة تخرج من باطن الأرض تدمر بلاداً بأكملها؛ فأسباب الحياة يجعلها ربنا -جل وعلا- أسباباً للموت والهلاكِ والدمارِ ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۝٢﴾ [الحشر].

ثالثاً: مَنْ بَطَّأ به عملُهُ، لم يُسرع به نَسبُه[1]:

أي: مَنْ أَخّرَهُ عملهُ السيئُ وتفريطهُ في العمل الصالح لم ينفعْهُ في الآخرة شرف النسبِ وفضيلة الآباء ولا يُسرعُ به إلى الجنة، بل يُقدّم العامل بالطاعة -ولو كان عبداً حبشياً- على غير العامل -ولو كان شريفاً قرشياً- قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات].

عباد الله! الأنساب التي تربط بين الناس قسمان:

القسم الأول: أنسابٌ مؤقتةٌ تنفع صاحبها في الدنيا فقط ولا عبرة لها يوم القيامة: وهي نسب الدم واللحمِ والعشيرةِ وغيرها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس].

القسم الثاني: أنسابٌ مؤبدةٌ دائمةٌ تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة،

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٦٩٩).

وهي: نسبةُ الإيمانِ والطاعة والأُخوةِ في الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ -أي: بالإيمان- ﴿إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣]. وقال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم** ... » الحديث[1].

ولذلك فأهلية الأنبياء ليستْ أهليةُ الدمِ واللحمِ، وإنما أهليةُ الإيمان والمنهج والاتّباع، فأهل الرسول هم الذين آمنوا به واتبعوه قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم:٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران:٦٨].

ولذلك عندما دعا نوحٌ عليه السلام ربهُ أن ينجزَ له وعدَهُ بنجاةِ أهله ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [هود:٤٠] وابنُ نوحٍ من أهله؛ فالله -عز وجل- أخبرهُ أن ابنه كافرٌ، والكفرُ عملٌ غيرُ صالحٍ؛ لذلك لا يُعدُّ من أهله؛ لأن أهله هم المؤمنون به. فالله -عز وجل- لم ينكرْ أبوة نوحٍ لابنه، وإنما تحدث عنه كعملٍ غيرِ صالحٍ؛ ولذلك انفصلت العلاقة والصلة التي تربط بينهما، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ -أي: ليس من أهل إيمانك- ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].

عباد الله! احرصوا على النسب الذي ينفعكم في الدنيا والآخرة وهو نسب الإيمان والإخوة، واحذروا أن تتمسكوا وتفخروا بنسب اللحم والدم والعشيرة دون إيمانٍ فإنه لا ينفع صاحبه يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

ولذلك عندما أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «**يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدالمطلب! لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله! سليني بما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً**»[1].

رابعاً: الأم وأثرها في تربية الأولاد

عباد الله! في قصة نوحٍ مع ابنه إشارةٌ إلى أثر الأم في تربية الولد، إذا

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤) واللفظ له.

ضممنا إليها قصة إبراهيم مع ولده إسماعيل.

١- نوح عليه السلام أراد لولده النجاة ولكنه كان عاصياً معرضاً، قال تعالى:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود].

٢- وإبراهيم عليه السلام أراد لولده الذبح فوجده صابراً راضياً.

قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].

ولعل الإشارة هنا إنما تكمن في أثر تربية الأم في سلوك الولد، فمن هي أم ابن نوحٍ، ومن هي أم ابن إبراهيم؟

• زوجة نوحٍ عليه السلام كانت كافرة، ضرب الله بها في كتابه مثلاً في الكفر، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ [التحريم: ١٠].

• أما زوجة إبراهيم عليه السلام فهي هاجر أمُّ إسماعيل المؤمنةُ، التي ضربت أروع الأمثلة في الإيمان والتوكل على الله -عز وجل-، وذلك عندما أخذها وابنها إسماعيل ووضعها عند البيت الحرام، في مكان لا إنس فيه ولا ماء، ثم تركها فتبعته أمُّ إسماعيل وهي تقول له: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا

شيء؟! فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت.

عباد الله! ولذلك ظهر أثر الأمِّ في التربية؛ حيثُ ظهرت هذه النتائج عند الامتحان والاختبار، وهذا يجعلنا نحرصُ عند الزواج على صاحبة الدين، التي ستكون أماً للأولاد بعد الزواج[1].

خامساً: الولد الذي لا يستجيب لأبويه هالكٌ وخاسرٌ ونادمٌ في الدنيا والآخرة

عباد الله! ويظهر ذلك من قصة نوحٍ مع ولده الذي لم يستجب لأبيه، فهلك مع الهالكين، وهذا مصير من لم يستجب لوالديه.

عباد الله! الوالدان هما أحرص الناس على مصلحة وسعادة أبنائهما، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف]؛ فكم من ولدٍ لم يستجبْ لوالديه، وتعلق بسببٍ كما تعلق ابنُ نوحٍ بالجبل، وظنّ أن فيه النجاة فهلك مع الهالكين! وكم من ولدٍ لم يستجب لنصيحة أبيه فأصبح ضحية من ضحايا المخدرات، والسجون، والزنا ورفقاء السوء، وخرج من الدنيا على أسوء حال وندم في وقت لا ينفع فيه الندم. فعلى الولد أن يستجيب لنصيحة والده فوالده، يحب له سعادة الدنيا والآخرة.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء

(١) انظر كتاب «وقفات في حياة الأنبياء».



قصة إبراهيم -عليه السلام-

فضائل إبراهيم -عليه السلام-

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

عباد الله! موعدنا مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل موعدنا مع: **قصةُ إبراهيمَ -عليه السلام-**.

عباد الله!

- إبراهيم عليه السلام رسولٌ من أولي العزم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].
- إبراهيم عليه السلام من الأنبياء الذين أوحى الله إليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ الآية [النساء:١٦٣].

- إبراهيم عليه السلام الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧]، وجمع الله بين نوحٍ وإبراهيم في هذه الفضيلة. فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد:٢٦].

- إبراهيم عليه السلام خليلُ الرحمنِ وقد شاركه في ذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء]. والخلة هي غايةُ المحبة، وقال صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس: «**إني أَبرأُ إلى الله أن يكون لي منكُم خليلٌ. فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيمَ خليلاً. ولو كنتُ مُتخِذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً**»[1].

- إبراهيم عليه السلام أولُ من يُكسى يومَ القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: «**إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلاً. ثم قرأ:** ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ **[الأنبياء]، وأولُ من يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام**»[2].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

• إبراهيم عليه السلام أبو الضيفان أولُ من ضيف الضيف، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾[الذاريات].

• إبراهيم عليه السلام إمامُ الموحدين، أثنى الله عليه في كتابه، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم]. وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم]، - أي: وفَّى في جميع ما أُمرَ به، وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الصافات].

• إبراهيم عليه السلام عدو الشرك الذي كَسَّرَ الأصنام بيده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء].

وأقسم إبراهيم عليه السلام بالله ليحطمن هذه الأصنام، قال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ

لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء]، ووبخ إبراهيم عليه السلام قومه الذين يعبدون هذه الأصنام. فقال لهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

- إبراهيم عليه السلام الذي أمر اللهُ رسولَهُ محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملته، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام]، وأمر اللهُ الأمة الإسلامية أن تتبع ملة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران]؛ فرسولُنا صلى الله عليه وسلم وأمتهُ يتبعون ملةَ إبراهيم عليه السلام، والذي يرغب عن ملةِ إبراهيم عليه السلام فقد سفِه نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾. إلى أن قال رب العزة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

- إبراهيم عليه السلام الذي ضربَ لنا أروع الأمثلةِ في الولاءِ والبراءِ ولذلك أمرنا الله أن نتأسى به، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة]، وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم].

• إبراهيم عليه السلام الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في الاستسلام لأمر الله، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عندما أمره الله -عز وجل- أن يأخذَ زوجتهُ هاجر وابنها إسماعيلَ عليه السلام ويضعهما هناك في وادٍ غيرِ ذي زرعٍ عند بيتِ الله المحرم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «... ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل. وهي تُرضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحدٌ، وليس بها ماءً فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمرٌ وسِقاءٌ فيه ماءٌ، ثم قفَّى إبراهيم مُنطلقاً، فتبعته أمُّ إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهبُ وتترُكنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها.

فقالت له: آلله أمرك بهذا؟

قال: نعم.

قالت: إذن لا يُضيِّعُنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثَّنيَّةِ حيث لا يرونَهُ استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم:٣٧]»[1].

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٦٤).

فانظروا عباد الله! إلى هذا الاستسلام لأمر الله من إبراهيم عليه السلام لما قالت له زوجته أمُّ إسماعيل: «آلله أمرك بهذا؟» فقال لها: نعم.

٢- أمر الله -عز وجل- خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه لما بلغ معه السعي، فلم يكن منه إلا المسارعة إلى تنفيذ أمر مولاه -عز وجل- وقد جاء ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)﴾ [الصافات].

• إبراهيم عليه السلام الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في التوكل على الله.

عباد الله! عندما حطم إبراهيم عليه السلام الأصنام ووبخ قومه، قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨)﴾ [الأنبياء]، فقال إبراهيم عليه السلام «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فجاء الأمرُ الإلهي: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)﴾ [الأنبياء].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقِيَ في النارِ، وقالَها محمدٌ صلى الله عليه وسلم حين قالوا: إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل)[1].

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٤٥٦٤).

• إبراهيم عليه السلام الذي علمنا الدعاء.

عباد الله! إبراهيم عليه السلام دعا ربه وسجل لنا ربنا دعاءهُ في كتابه لنتأسى به. ومن أدعية إبراهيم عليه السلام:

• ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾ [الصافات].

• ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم].

• ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم].

• ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة].

وقال إبراهيم عليه السلام في دعائه أيضاً: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء].

• إبراهيم عليه السلام الذي رفعَ القواعدِ من البيت الحرام.

عباد الله! بعد أن وضع إبراهيم عليه السلام زوجته هاجرَ وابنها إسماعيلَ في وادٍ غير ذي زرعٍ رجع إليهما بعد فترةٍ؛ ليبني بيتاً لله في هذا المكان.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما «... ثم لبث -أي إبراهيم عليه السلام عنهم ما شاء الله،

ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نَبْلاً له تحت دوحةٍ قريباً من زَمْزَمَ، فلما رآه قام إليه، فصَنَعا كما يَصنَعُ الوالدُ بالوَلد والوَلَدُ بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمرٍ.

قال: فاصنع ما أمرك ربُّك. قال: وتُعِينُني؟ قال: وأُعِينُكَ. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً -وأشار إلى أكمة مرتفعةٍ على ما حولها-.

قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيلُ يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناءُ جاءَ بهذا الحجرَ فوضعَهُ له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يُناوِلَهُ الحِجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]»[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

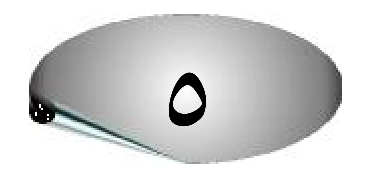
عباد الله! وأمر الله إبراهيم عليه السلام أن يطهر بيته من النجاسات الحسية والمعنوية، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج:٢٦].

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٦٤) وقد سبق (ص٦٣).

وأمر الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يؤذن في الناس بالحج لهذا البيت.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! أما قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أبيه آزر، وكيف دعاه إلى الله تعالى، هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.



قصة إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه آزر

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصةُ إبراهيمَ -عليه السلام- مع أبيه.**

عباد الله! للعلماء في اسم والدٍ إبرهم قولان:

القول الأول: قالوا اسمه آزر.

القول الثاني: قالوا اسمه (تارح) بالحاء المهملة، وهذا قولُ جمهور أهل النسب، ونُقلَ عن أهل الكتاب (تارخ) بالخاء المعجمة[1].

---

(١) انظر «قصص الأنبياء» لابن كثير (١/ ١٢٠).

والقول الراجح هو القول الأول أن اسمهُ آزر؛ للأدلة التالية:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام].

٢- قوله ﷺ: «**يلقى إبراهيم أباهُ آزر يوم القيامة وعلى وجهِ آزر قترةٌ وغبرةٌ ...**» الحديث[1].

٣- وهذا هو القول المحفوظ من أقوال أهل العلم، وبهذا قال عمدةُ المفسرين ابنُ جرير الطبري[2].

عباد الله! نشأ إبراهيمُ عليه السلام بين قومٍ يعبدون الأصنامَ من دون الله وفي مقدمة هؤلاء أبوه آزر؛ فهو الذي كان يصنعً هذه الأصنام، ويقومُ ببيعها للناس.

بدأ إبراهيم عليه السلام يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد، ويحذرهم من الشرك، ويبين لهم أن هذه الأصنام لا تضرُّ ولا تنفع.

عباد الله! ومنهجُ الأنبياء في الدعوة إلى الله أن يبدأوا بالأقربين، ولذلك لما أنزل الله على رسوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] قام رسولُ الله ﷺ، فقال: «**يا معشر قريشٍ! اشتروا أنفسكم من الله. لا أُغني عنكُمْ من الله**

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٥٠).

(٢) «تفسير ابن جرير» الطبري (٧/ ١٥٨، ١٥٩).

شيئاً. يا بني عبدالمطلبِ! لا أُغني عنكم من الله شيئاً. يا عباسُ بن عبدِالمطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفيةَ عمّةَ رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً. يا فاطمةُ بنتَ رسول الله! سليني ما شئتِ. لا أغني عنك من الله شيئاً»[1].

ولذلك بدأ إبراهيم عليه السلام بدعوةِ أبيه آزر.

أولاً: لأنهُ أقربُ الناس إليه فهو أبوهُ الذي كان سبباً في وجوده في الدنيا بعد الله -عز وجل-.

ولذلك كان من أعظم الحقوق بعد حق الله ورسوله حق الآباء؛ قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣]. وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦]، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**بر الوالدين**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**»[2].

ولذلك وصى الله الأبناء بالآباء: قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) والسياق له.

مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

وقال ﷺ: «**إن الله يُوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[(١)].

فكان من حق آزر والدِ إبراهيم عليه السلام عليه، أن يهديه سواء السبيل، وينقذه من الضلال المبين.

ثانياً: بدأ إبراهيم عليه السلام بدعوةِ أبيه آزرَ؛ لأنه هو الذي يقومُ بصُنع الأصنام وبيعها ودعوة الناس إلى عبادتها؛ فهو داعيةُ إثم، ومبعثُ فتنةٍ، فهدايته قُربى إلى الله، واستئصالٌ لبذور الشر، واجتثاثٌ لجذور الضلال.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى إبراهيم عليه السلام وهو يدعو والدهُ آزر إلى التوحيد بكل لطفٍ وأدبٍ وحنان؛ قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم].

---

(١) **صحيح**، رواه ابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد (٤/ ١٣١)، والحاكم (٤/ ١٥١)، وانظر [«السلسلة الصحيحة» (١٦٦٦)].

عباد الله! في هذه الآيات فوائدٌ عظيمةٌ للأنبياء والدعاة إلى الله:

الفائدة الأولى: مخاطبة الآباء وكبار السن تكونُ باللطف والأدب والحنان وخفضِ الجناح والرفق واللين.

وهذا ما فعلهُ إبراهيمُ عليه السلام مع أبيه الكافر وهو يدعوهُ إلى عبادة الله ويحذره من عبادة الأصنام؛ فقد صدّر إبراهيم عليه السلام نصيحتهُ لأبيه بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، وهذا النداءُ يُشعرُ أباه بالصلة القلبية بينه وبين ابنه إبراهيم؛ فيستميلَ أباهُ بذلك ويستعطفهُ، وهكذا ربى الإسلام أبنائهُ.

- فهذا يوسف عليه السلام عندما رأى الرؤيا قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف]، وعندما تأولت رؤياه قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠].
- وهذا إسماعيل عليه السلام عندما قال له أبوه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات:١٠٢].
- فعلى الأبناء أن يتلطفوا مع الآباء في الكلام والنصيحة تأسياً بالأنبياء واستجابة لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

وعلى الدعاة إلى الله أن يتلطفوا مع كبار السن في دعوتهم إلى الله متأسين

في ذلك بإبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر ومستجيبين لقوله ﷺ: «**ليس منا من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحمْ صغيرنا، ويعرفْ لِعالِـمنا حقَّهُ**»[1].

الفائدة الثانية: التدرج مع المدعو في الدعوة إلى الله

وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه:

أولاً: أخبره بطريقةٍ غير مباشرة أن الأصنام التي يعبدها لا تسمعُ ولا تبصرُ ولا تنفعُ ولا تضرُّ؛ فهي لا تصلح أن تكون آلهةً، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم].

ثانياً: طلب منهُ أن يتبعهُ لأن في اتباع الوحي النجاة، فقال: ﴿إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم].

ثالثاً: نهاهُ عن عبادة الشيطان، فقال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم].

رابعاً: خوَّفهُ من عذابِ الله إن لم يستجب له، فقال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم].

الفائدة الثالثة: اتباع الوحي هو سبيل النجاة.

عباد الله! منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله هو اتباع ما يوحى إليهم من ربهم، ولذلك قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾[مريم].

---

(١) **صحيح**، رواه أحمد (٥/ ٣٢٢)، وصححه الحاكم (١/ ١٢٢)، وانظر [«الصحيحة» (٢١٩٦)]

وقد جاءت الأدلةُ في الكتاب والسنة تأمر بالاتباع وتنهى عن الابتداع:

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ [الأنعام].

وقال ﷺ: «**تركتُ فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»[1].

وقال ﷺ في موعظته البليغة التي وجِلت منها القلوب، وذرفت منها العيون: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**»[2].

---

(١) **حسن**، رواه البيهقي (١٠/ ١١٤)، والدارقطني (٢/ ٢٤٥)، والحاكم (١/ ٩٣)، وانظر [«الصحيحة» (١٧٦١)]

(٢) **صحيح**، رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه ابن حبان (٥)، وانظر [«ظلال الجنة» (٥٤)].

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يتبعوا الوحي من الكتاب والسنة في دعوتهم إلى الله تعالى؛ لأن هذا هو منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، وهو سبيلُ النجاة والطريقُ المستقيم الذي يوصلُ إلى رضا الله والجنة.

الفائدة الرابعة: الاستجابةُ للشيطانِ معصيةٌ للرحمن

ولذلك قال إبراهيمُ لأبيه محذراً من الشيطان: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ [مريم].

١- وقد جاءت النصوص الكثيرة الكتاب والسنة تحذرُ من الشيطان:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣][(1)].

٢- ورغم هذا التحذير من طاعةِ الشيطانِ إلا أنه قد أطاعهُ الكثير من الناس وعبدوه من دون الله ولذلك وبخهم الله -عز وجل-:

فقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا

(١) **حسن**، رواه أحمد (١/ ٤٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٩)، والدارمي (١/ ٦٧)، وصححه ابن حبان (٦)، وانظر: [«المشكاة» (١٦٦)].

﴿٥٠﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس].

٣- وقد أخبرنا الله -عز وجل- في كتابه أن الشيطان هناك في النار يتبرأ ممن اتبعه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم]؛ فعلى الدعاة إلى الله -تعالى- أن يحذِّروا الناس من عداوة الشيطان ومن تزيينه الشيطان، متأسين في ذلك بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته لأبيه.

الفائدة الخامسة: من لم يستجب لرسل اللهِ عذبه الله في الدنيا والآخرة، مهما كان قربهُ ونسبهُ، سواءً كان أباً لنبي، أو ابناً لنبي، أو عماً لنبي، أو زوجة لنبي

- فهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حذر أباه من معصيته ومعصية الله فقال له: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم]. فلم يستجب آزر لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فعذبهُ اللهُ وأخزاهُ في جهنم، يقول ﷺ: «**يلقى إبراهيمَ أباهُ آزر يوم القيامة وعلى وجهِ آزر قترةٌ وغبرةٌ، فيقول لهُ إبراهيم: ألم أقلْ لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليومَ لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب! إنك وعدتني أن لا تُخزيني يوم يُبعثون، فأيُّ خزيٍّ أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرّمتُ الجنةَ على الكافرين ثم يقال: يا إبراهيمُ! ما تحت رجليك، فينظرُ فإذا هو بذيخٍ مُلْتطخ،**

فيؤخذُ بقوائمهِ فيُلقى في النار»[1].

• وهذا ابن نوح لم يستجب لأبيه، وقال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، فعذبه الله على كفره، وهلك مع الهالكين، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود].

• وهذا أبو طالب عم النبي ﷺ لم يستجب لرسول الله، ومات على كفره، على ملة عبدالمطلب، فعذبه الله في النار:

عن العباس بن عبدالمطلب قال: قلت: يا رسول الله! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال ﷺ: «**نعم، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح**»[2] أي: من النار.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو ينتعل نعلين يغلي منهما دماغه»[3].

• وزوجتا نبي الله نوحٍ ولوطٍ -عليهما السلام- لم يتسجيبا لرسول الله فعذبهما الله في النار، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٥٠)، وقد سبق طرف منه (ص٧٠)، والذِّيخ: الذئب أو الفرس أو ذكر الضباع الكثير الشعر.

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) واللفظ له.

(٣) **صحيح**، رواه مسلم (٢١٢).

لُوطٍۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم].

فالنسب يا عباد الله! لا ينفع صاحبهُ بدون إيمان بالله واستجابةٍ لرسل الله.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون].

وقال ﷺ: «**مَنْ بطّأ به عملُهُ، لم يُسرعْ به نَسبُه**»[1].

ولذلك لا يجوز لأحدٍ أن يعيِّر أحداً بأبيه أو بابنه أو بعمه أو بزوجته، إذا أصرَّ على الكفر والمعاصي، بعد أن بذل جهده في نصحه وهدايته أو لم يبذل شيئاً، أو لم يتيسر له سبيل لدعوتهم إلى حق لصغر في السن، أو بعد أو تأخر هداية إلى الإسلام، أو لغير ذلك؛ فالله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠﴾ [النجم].

أما الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصة إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه آزر فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: الحلمُ والصبرُ في دعوة الآباء

وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه فإبراهيمُ ينادي والدهِ بقوله:

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٦٩٩).

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أربع مراتٍ بكل لطفٍ وأدبٍ وحنان. ومع ذلك قابله أبوهُ آزر بكل عنفٍ وقسوةٍ وجفاءٍ، فقال له: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم].

عباد الله! فإبراهيم عليه السلام الذي وصفه الله -عز وجل- في كتابه بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود]، قابل هذا التوبيخ والتقريع والتهديد من أبيه بقوله له: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم].

وقد وفَّى إبراهيمُ بذلك الوعد، كما قال تعالى عنه: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم]، ولكن لما تبين له أنه عدوٌ لله تبرأ منه ولم يستغفر له بعد ذلك قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة].

فعلى الأبناء أن يتلطفوا ويصبروا في دعوتهم للآباءِ، متأسين في ذلك بإبراهيم عليه السلام مع أبيه، وبنبينا صلى الله عليه وسلم مع عمه، وبأبي هريرة رضي الله عنه مع أمه، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام، وهي مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أمّ أبي هريرة.

فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهد أمّ أبي هريرة**»، فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجافٌ، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح قال: قلتُ: يا رسول الله! أبشرْ، فقد استجاب الله دعوتك، وهدى أُمّ أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً [(١)].

ثانياً: من ترك شيئاً لله عوضهُ الله خيراً منه.

إبراهيم عليه السلام ترك أرضهُ وقومهُ؛ لإصرارهم على عبادة الأصنام، فعوضهُ اللهُ أرضاً خيراً من أرضه وأهلاً خيراً من أهله، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء].

ثالثاً: المعاصي سبب لعذاب الدنيا والآخرة

فهذا آزر والدُ إبراهيم عليه السلام عصى ولم يستجب لإبراهيم عليه السلام؛ فعذبه الله

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٤٩١).

يوم القيامة في النار، ولذلك لما يلقى إبراهيم أباهُ آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترةٌ وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فالمعصيةُ يا عباد الله! سببٌ لعذاب الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن].

- والمعاصي يا عباد الله! سببٌ للعنة الله، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

- المعاصي يا عباد الله! تمنعُ نزول المطر، قال ﷺ: «**يا معشر المهاجرين! خصالٌ خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تُدركوهن**»، وذكر منها: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»[1]، وقال ﷺ: «**ليست السَّنةُ بأنْ لا تُمطروا** -أي: القحطُ- **ولكن السَّنةُ أن تُمطروا وتمطروا، ولا تُنبِتُ الأرضُ شيئاً**»[2].

---

(١) **حسن**، رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وانظر [«الصحيحة» (١٠٦)].

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٢٩٠٤).



قتلةُ الأنبياء (اليهود)[1]

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج].

عباد الله! الأنبياء هم أفضلُ الناس على الإطلاق، ولذلك اختارهم اللهُ

(١) هذه الخطبة كانت بسبب اعتداء اليهود على إخواننا في قطاع غزة.

لرسالته. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، والأنبياءُ هم أعدل الناس على الإطلاق؛ لأنهم يدعون الناس إلى عبادة الله وحده، ويحذّرهم من الشرك وهذا هو أعدلُ العدلِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقصص الأنبياء أحسنُ القصص، قال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾[يوسف:٣]. لأن في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١]

عباد الله! أما اليهودُ فهم أخبثُ الناسِ، وأظلمُ الناسِ؛ لأنهم قتلوا أنبياء الله، ويسعون في الأرض فساداً ولذلك غضب الله عليهم ولعنهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، قال تعالى في وصفهم: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ [المائدة].

عباد الله! ننتقلُ بكم في هذا اليوم من الحديث عن قصص الأنبياء، إلى الحديث عن قتلة الأنبياء، والذي دفعني للحديث عنهم هو: ما حدث في هذا الأسبوع من الاعتداء الظالم والمجرم منهم من قتلةِ الأنبياء على إخواننا في قطاع غزة من أرض فلسطين.

عباد الله! أتدرون من هم قتلةُ الأنبياء؟

هم اليهود. أخبرنا بذلك ربنا -جل وعلا- في كتابه

- فقال تعالى في وصف اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء].

- وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران].

- وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

- قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة].

فاليهودُ يا عباد الله! هم قتلة الأنبياء، والذين يقتلون الأنبياء لا يتورعون من قتل الأبرياء، وقتل الأبرياء جريمةٌ نكراء، يُسأل عنها القاتل والمُتَسببُ للقتل أمام الله يوم القيامة.

- **عباد الله!** اليهودُ شعبٌ مجرمٌ لا يحبُّ إلا نفسه، ولا يعرفُ إلا مصالحه، يعيشُ على ظلم الآخرين، وقتل الآخرين، وخراب بيوت الآخرين. ولذلك هم دائماً يشعلون الحرب هنا وهناك؛ بين القبائل كالأوس والخزرج قديماً، وبين الدول حديثاً، ويسعون في الأرض فساداً، قال تعالى في وصفهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ

كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

- **عباد الله!** اليهودُ أشدُّ الناس عداوةً للذين آمنوا: قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة:٨٢].

وعن أُمِّ المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها أنها قالت: كنتُ أحبُّ ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر؛ لم أَلْقَهُما قطُّ مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ونزل قباءَ في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغلسين -أي: وقت صلاة الفجر- قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنعُ. فوالله! ما التفت إليَّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغمِّ. قالت: وسمعتُ عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ -أي: أهو الرسول الذي نعرفه في التوراة؟ -قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبتُهُ؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوتُهُ واللهِ! ما بقيتُ[1].

عباد الله! وهذه العداوة من اليهود للمؤمنينَ تتمثلُ فيما يلي:

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٥١٨-٥١٩).

أولاً: حِرْصِهم بالليلِ والنهار أن يردوا المسلمين عن دينهم.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧].

ثانياً: حُزنهم إذا نزل بالمسلمين خيرٌ من ربهم:

قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

ثالثاً: أكلُهم أموالَ الناس بالباطل وصدهم عن سبيل الله.

قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء].

عباد الله! ها هم اليهود كما وصفهم الله في كتابه يحاربُوننا دينياً

وعسكرياً واقتصادياً وأخلاقياً؛ يريدون من ذلك كله أن يردوا المسلمين عن دينهم، أضف إلى ذلك أن اليهود قومُ غدرٍ وخيانةٍ لا يعرفون عهداً ولا ميثاقاً وتاريخهم الأسود يشهدُ لهم بذلك، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣].

- واليهودُ قومٌ بُهت. والبهتُ هو: الكذبُ والافتراءُ.

يخبرنا بذلك عبد الله بن سلام، كان يهودياً فلما وصلَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة جاء إليه فسأله عن أشياء لا يعرفُها إلا نبي، فلما أخبره النبي ﷺ أسلم وقال: يا رسول الله! إن اليهود قومٌ بهتٌ، وإنهم إن سمعوا بإيماني بك بهتوني ووقعوا فيّ فأخبأني، وابعث إليهم وسلهم عني، فجاءوا، فقال ﷺ: «**ما عبد الله بن سلام؟**». قالوا: سيدنا وابنُ سيدِنا أو عالمنا وابنُ عالِمِنا، وخيرُنا وابنُ خيرِنا. فقال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم إن أسلم، أتسلمون؟!**» فقالوا: أعاذه الله أن يفعل ذلك! ما كان ليفعل! فقال ﷺ: «**اخرج يا ابن سلام!**»، فخرج إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا: بل هو شرُنا، وجاهلُنا وابنُ جاهلنا. فقال: -أي ابن سلام- ألم أخبرْكَ يا رسول الله! أنهم قوم بهت؟![1].

(١) **صحيح**، رواه أحمد (٣/ ٢٦٥)، وأبو يعلى (٣٣٢٠)، وصححه ابن حبان (٧٣٨٠)، وقد رواه البخاري (٤٤٨٠) نحوه، انظر: [«صحيح الموارد» (١٩٠٨، ٢٢٥٣)].

عباد الله! كيف ننتصرُ على اليهود أهلُ الغدرِ والخيانةِ والبهتِ؟

ننتصر على اليهود بما يلي:

أولاً: بالرجوع إلى الله -تعالى-.

عباد الله! والرجوعُ إلى الله -تعالى- يكونُ بعبادته وحدهُ لا شريك له، فإن فعلنا ذلك فقد نصرنا الله في أنفسنا، وإذا نصرنا الله في أنفسنا وفي بيوتنا وفي مجتمعاتنا نصرنا الله -عز وجل-؛ فإن النصرَ من عند الله وحده لا من الشرق ولا من الغرب، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد]، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٦٠﴾ [آل عمران].

عباد الله!

- من الذي نصر المسلمين في بدر؟ إنه الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عمران].
- من الذي نصر المسلمين يوم حنين؟ إنه الله، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥﴾ [التوبة].
- من الذي نصر المسلمين في غزوة الأحزاب؟ إنه الله، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ۝٢٥﴾ [الأحزاب]، ولذلك امتنَّ اللهُ على المؤمنين بنعمةِ النصر على

الأحزاب، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب]، وكان ﷺ يعترفُ لربه بهذه النعمةِ فيقول: «**لا إله إلا الله، وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزَم الأحزاب وحده**»[1].

فيا عباد الله! النصرُ واللهِ من عندِ الله وحدهُ لا يكونُ بالمظاهرات ولا بالشعارات، ولا بالخطب الرنانة، ولا من الشرق، ولا من الغرب. قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال]؛ فبالإيمان بالله وحده وبالتوكل عليه وحدهُ وبالالتجاء إليه وحده ننتصر، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

ثانياً: ينصرنا الله إذا تركنا المعاصي والذنوب.

عباد الله! المعاصي والذنوب سببٌ للهزيمة وللذل والهوانِ؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]، وقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع،**

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤) واللفظ له.

وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[1].

عباد الله! وفي غزوة أحدٍ انتصر المسلمون في بداية المعركة انتصاراً عظيماً، وولّى الكفارُ من أرض المعركة مدبرين، ولما ترك الرماةُ الجبلَ وخالفوا أمرَ رسول الله ﷺ تحول النصرُ إلى هزيمةٍ وقُتِلَ من قتل فيها من المسلمين وكاد الكفارُ إلى يصلوا إلى رسول الله ﷺ لولا أن الله سلم، فكُسِرَتْ رُباعيتهُ ﷺ، وحدث ما حدث في المسلمين بسبب هذه المخالفةِ، ولما تعجب المسلمون مما نزل بهم، قال الله -عز وجل- لهم مربيًّاً: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران]؛ فما حدث لإخواننا في قطاع غزة، وفي العراق، وفي بلاد المسلمين من القتل والتدمير، إنما هو بسبب معاصينا التي نقترفها بالليل والنهار وإلى الله المشتكى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد].

ثالثاً: بالاتحاد والاعتصام وعدمِ التفرقِ والاختلاف.

عباد الله! ننتصر على اليهود بالاتحاد والاعتصام وترك التفرق والاختلاف؛ لأن الاتحاد قوة، والتفرق ضعف.

وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تأمر بالاتحاد والاعتصام وتنهى عن التفرق والاختلاف، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]،

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (٣٤٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٨) وانظر: [«الصحيحة» (١١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

وقال ﷺ: «**لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[١]، وقال ﷺ: «**الجماعةُ رحمةٌ، والفرقةُ عذابٌ**»[٢]، وقال ﷺ: «**عليكم بالجماعةِ، وإياكم والفرقة**»[٣]، وقال ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخطُ لكم ثلاثاً يرضى لكم: أن تعبدوهُ ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، وأن تُناصحوا مَنْ ولاه الله أمركم، ويسخط لكم: قِيلَ وقال وكثرةُ السؤال، وإضاعة المالِ**»[٤].

فيا عباد الله! عليكم بالاتحاد والاعتصام، ولا يكونُ هذا أبداً إلا بالإيمان الصادق والعمل الصالح؛ فبالتوحيد والعمل الصالح نتحد.

واحذروا يا عباد الله! أسبابَ الفرقة، ومنها:

• الاجتماعات السرية.

قال عمر بن عبد العزيز ﵁: (إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٢٤١٠).

(٢) **حسن**، رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وانظر [«الصحيحة» (٦٦٧)].

(٣) **صحيح**، رواه الترمذي (٢١٦٥)، وابن ماجه (٢٣٦٣)، والحاكم (١/ ١١٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٨١)، وانظر: [«الإرواء» (١٨١٣)].

(٤) **صحيح**، رواه مسلم (١٧١٥).

بشيءٍ دون العامة؛ فاعلم أنهم على تأسيس ظلال)[1].

عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني! قال: «**اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت، واعتمر واسمع وأطع، وعليك بالعلانية وإياك والسر**»[2].

• التحزب.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

• اتباع الهوى.

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص: ٥٠].

• إساءةُ الظن بولاة الأمر من المسلمين وسبِّهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات:١٢].

• علماءُ السوء الذين يفتون بغير علمٍ.

قال ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناسُ رؤوساً جُهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ، فضلوا وأضلوا**»[3].

---

(١) رواه أحمد في «الزهد».

(٢) **حسن**، رواه الحاكم (١/ ٥٠)، وابن أبي عاصم (١٠٧٠).

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٧٦٣).

رابعاً: بالاستعدادِ بالقوةِ التي ترهِبُ اليهودَ وأعداءَ الإسلام.

عباد الله! ننتصرُ على اليهود بالاستعدادِ بالقوة بجميع أشكالها: قوةُ الإيمان، قوةُ البدن، قوةُ السلاح، قوةُ المال، قوةُ الاتحاد والاعتصام، قوةُ الطاعة وترك المعاصي.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال].

يقولُ عقبةُ بن عامر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ وهو على المنبر: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، **ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[1].

عباد الله! اليهودُ من أجبن الناس، قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر]، ولكن تَقَوَّى اليهودُ علينا بضعفِ إيماننا وكثرةِ معاصينا وتفرقنا و ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة]؛ فيجب على المسلمين أن يستعدوا لليهود بقوة الإيمان وقوة السلاح وقوة الاتحاد والاعتصام؛ ليلقُوا الرعب في قلوب اليهود؛ فإن اليهود لا تصلح معهم إلا لغة القوة، ومن الأمثلة على ذلك:

١- كعب بنُ الأشرف اليهودي عندما آذى الله ورسوله، قال ﷺ لأصحابه: «**مَنْ لكعبِ بنِ الأشرفِ؟ فإنه آذى الله ورسوله**». قال محمد

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٩١٧).

ابن مسلمة ﷺ: أنا يا رسول الله، أتُحبَّ أن أقتُله؟ قال ﷺ: «**نعم**»، فخرج محمد بن مسلمة ﷺ في مجموعة من أصحابه، وقتلوا كعب بن الأشرف عند بيته، فصاح المجرمُ اليهودي صيحةً شديدةً وهو يموت، أفزعت من حوله من اليهود، فلم يبق حصنٌ إلا أوقد النار -أي: استيقظوا من نومهم-، وفي الصباح علمت اليهود بمصرع طاغيتها كعب بن الأشرف، فدب الرعبُ في قلوبهم[1].

٢- بنو قريظة عندما غدروا في غزوة الأحزاب

عباد الله! نصر الله المؤمنين في غزوة الأحزاب التي غدرت فيها يهود بني قريظة. فلما رأت بنو قريظة أنهم وحدهم في المدينة مع رسول الله ﷺ، ورأوا أنهم قد يهلكوا بسبب غدرهم ونقضهم عهد النبي ﷺ، دخلوا حصونهم وأغلقوا أبوابهم، وجلسوا ينتظرون ما يفعلُ بهم.

عباد الله! ورجع النبي ﷺ وأصحابهُ بعد هذا النصرُ المبين على الأحزاب إلى المدينة، ووضع ﷺ سلاحهُ، وأخذ يغتسلُ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله! أوقد وضعت السلاح؟ قال ﷺ: «نعم». قال جبريل: والله ما وضعناهُ. فقال ﷺ: «إلى أين؟». فقال جبريل عليه السلام ها هنا وأشار بيده إلى بني قريظة.

عباد الله! فأصدر النبي ﷺ أوامره للجيش المسلم بالخروج إلى بني

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٢٥١٠)، ومسلم (١٨٠١).

قريظة فوراً وبأسرع ما يمكن، وقال للجيش: «**لا يصليّن أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة**»[1].

فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسةً وعشرينَ ليلةً، فلما اشتد حصارهم واشتد البلاءُ بهم، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لبابة، فأشار إليهم أنه الذبح. فقالوا: ننزلُ على حكم سعد بن معاذ ... فلما جاء سعدُ بن معاذ رضي الله عنه قال له رسول الله ﷺ احكم فيهم -أي: في بني قريظة-.

قال سعد رضي الله عنه: فإني أحكمُ فيهم أن تُقتلَ مقاتَلتهم، وتُسبى ذراريهم (أي: نساءهم وأطفالهم)، وتُقسم أموالهم. فقال ﷺ: «**قد حكمت فيهم بحكم الله -عز وجل- وحكم رسوله**»[2].

وفي رواية: قال ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك**»[3]. ثم قام ﷺ بتنفيذ حكم الله فيهم.

هذه لغة القوة التي نتعامل بها مع اليهود، أما لغة الحجارة والمظاهرات والخطب الرنانة فهي لا ترهب اليهود، أما الذي يرهبهم ويرعبهم؛ فهو الرجوع إلى الله بقوة ايمان، وترك المعاصي، والاتحاد والاعتصام، وعدم التفرق

---

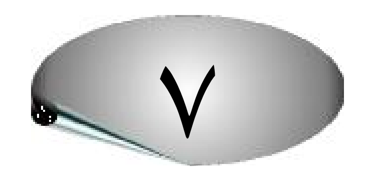
(١) **صحيح**، رواه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

(٢) **حسن**، رواه أحمد (٦/ ١٤١-١٤٢)، وانظر [«الصحيحة» (٦٧)].

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).

والاستعداد بقوة السلاح هذه هي اللغة الوحيدة التي ننتصرُ بها على اليهود.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.



متى نصر الله؟

ملة إبراهيم -عليه السلام- ونصرُ الله(١)

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج].

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، أي: الزموا ملة أبيكم إبراهيم فإنها خيرُ الملل.

عباد الله! يأمرنا ربنا -جل وعلا- في هذه الآية أن نتبع ملة إبراهيم عليه السلام؛ فإنها هي الطريقة الموصِلُ إلى النصرِ وإلى سعادة الدنيا والآخرة، ولذلك أمر اللهُ رسولهُ محمداً ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل]. وأمر أمته أن يتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً، قال تعالى: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! وملةُ إبراهيم عليه السلام هي الإسلام هي دينُ اللهِ، قال تعالى:

---

(١) هذه الخطبة كانت بسبب اعتداء اليهود الظلمة على إخواننا في قطاع غزة.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء].

أمة الإسلام! الزموا ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعودوا إلى دينكم تنتصروا على عدوكم؛ فإن ذلك هو منهجُ الأنبياء جميعاً، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود:١٢٠].

عباد الله! ولله -عز وجل- في هذا الكون سننٌ لا تتبدل ولا تتحول، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر].

عباد الله! ولله -عز وجل- في نصر المؤمنين على أعدائهم سننٌ لا تتبدل ولا تتغير:

السنة الأولى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم].

السنة الثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١].

السنة الثالثة: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد].

• **عباد الله!** تعالوا بنا لنعيش مع هذه السنن؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

السنة الأولى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

عباد الله! جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تُبشرُ أن الغلبةَ والتمكينَ والنصرَ والظهورَ والمستقبلَ للإسلام والمسلمين.

- قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].
- وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].
- وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].
- وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].
- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].
- وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].
- وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

• وقال ﷺ: «**إن الله زَوى** -أي: ضمّ وجمع- **لِيَ الأرضَ، فرأيت مشارقها ومغارِبَها، وإنّ أمتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لِي منها**»(١).

• وقال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بَلَغَ الليلُ والنهارُ، ولا يتركُ الله بيتَ مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعزّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ؛ عزّاً يُعزُّ به الإسلامَ، وذُلاً يُذِلُّ به الكفرَ**»(٢).

• وقال ﷺ: «**تكونُ النُبوة فيكُمْ ما شاء الله أن تكونَ، ثم يرفعُها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ، فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعُها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاج النبوة، ثم سكت**»(٣).

عباد الله! أدلةٌ من الكتاب والسنة تُبشر أن التمكين والنصر المستقبل للإسلام والمسلمين، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره اليهود، ولو كره المنافقون.

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) **صحيح**، رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، وصححه الحاكم (٤/ ٤٣٠-٤٣١)، وانظر [«الصحيحة» (٣)].

(٣) **حسن**، رواه أحمد (٤/ ٢٧٣)، وانظر [«السلسلة الصحيحة» (٥)].

• **عباد الله!** وهذا النصرُ دائماً يأتي بعد الصبر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام].

• وقال ﷺ: «**واعلم أن النصر مع الصبر**»(1)، وذلك لأن النصر على الأعداء يسبقُهُ امتحانٌ وابتلاءٌ وشدةٌ وتمحيصٌ.

• وقال تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت].

• وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد].

• وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

عباد الله! فإذا رجع المؤمنون إلى دينهم وصبروا على الابتلاء والامتحان والشدة وزلزلوا حتى إذا قالوا: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ؟؟﴾ ... يكون الجواب من رب العالمين: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة].

• وقد جاءت الأدلةُ في الكتاب والسنةِ تُبينُ ذلك.

١ - قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**، رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، وصححه الحاكم (٣/ ٥٤١-٥٤٢)، وانظر [«الصحيحة» (٢٣٨٣)]

٢- في غزوة الأحزاب يصفُ لنا ربنا -جل وعلا- في كتابه حالَ المؤمنين من الشدة. فيقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١﴾ [الأحزاب].

• وحذيفة بن اليمان ﷺ يخبرنا بحال المؤمنين في غزوة الأحزاب يقول حذيفة ﷺ: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق -أي: يوم الأحزاب- فقام ﷺ فصلى هوياً من الليل، ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم** -أي: العدو- **أشترطُ له الرجعة، وأضمنُ له الجنة**».

قال حذيفة: فما قام أحدٌ من شدة الجوع والبرد والريح. قال حذيفة: فصلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل، ثم التفت إلينا، وقال: «**من يأتنا بخبر القوم؟ أشترط له الرجعة، وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة**».

قال حذيفة: فلم يقم أحدٌ من شدة الخوف والجوع والبرد. يقول حذيفة: فلما لم يقم أحدٌ. قال رسول الله ﷺ: «**قم يا حذيفة**». يقول حذيفة: فلما دعاني لم يكن لي بدٌّ من القيام، فقُمتُ، فقال ﷺ: «**اذهب فأتنا بخبر القوم، ولا تُحدثنّ -أي: ولا تفعلن شيئاً- حتى تأتينا**»[1].

٣- في مكة يربي النبي ﷺ أصحابه على الصبر، ويخبرهم أن النصر يكونُ بعد الصبر على الابتلاء والمحن.

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٧٨٨)، واللفظ المذكور لأحمد (٥/ ٣٩٢).

• يقول خباب بن الأرت ﵁: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بُردةً في ظلّ الكعبة، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان مَنْ قبلكم يُؤخذُ الرجلُ فيحفرُ لهُ في الأرض فيُجعلُ فيها، ثم يُؤتى بالمنشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُجعلُ نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمهِ وعظمه، وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخافُ إلا الله والذئبَ على غنمهِ، ولكنكم تستعجلون**»[1].

عباد الله! أدلةٌ كثيرةٌ من الكتاب والسنَّة تُبشرُ أن نصر الله للمؤمنين قادمٌ لا شك في ذلك ولا ريب. ولكن متى نصر الله؟

الجواب: يأتي في السنَّة (الكونية)التي بعدها وهي ...

السنةُ الثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ **[الرعد:١١]**

عباد الله! هذه السنةُ هي مفتاحُ النصرِ والتمكين في الأرض، وهي المدخلُ لتغيير واقع الأمة الإسلامية المحزن.

• وذلك لأنّ من سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول أنهُ لا يُغيِّرُ أحوالَ قومٍ أو أمةٍ أو دولةٍ حتى يبدأوا هم فيغيروا ما بأنفسهم ويصلحوا أحوالهم، وينصروا الله في أنفسهم، فيغيّر الله ما بهم، ويرفع الذل عنهم وينصرهم على أعدائهم.

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٦٩٤٣).

عباد الله! فإذا تأخر النصرُ مع الحاجةِ إليه فاعلموا أن هناك أسباباً منعت هذا النصر عن الأمة.

ومن أهم هذه الأسباب:

١- أنهم لم يرجعوا إلى ربهم؛ ولم يرجعوا إلى دينهم.

٢- أنهم لم يتوبوا من المعاصي والذنوب.

٣- أنهم لم يتحدوا بل تفرقوا واختلفوا.

٤- أنهم لم يستعدوا بالقوة التي تُرهبُ عدوهم.

أي: أنهم لم يغيروا ما بأنفسهم، وسلكوا طرقاً للنصر لم يأذن بها الله -عز وجل-.

- ومن الأدلة في الكتاب والسنة على أن الله -عز وجل- لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا هم ما بأنفسهم.
- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].
- وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال].
- وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].
- وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

وقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

عباد الله! يجب على الأمةِ الإسلامية إذا كانت تُريد نصر الله أن تُغيرَ من حالها المحزن إلى الحال الذي يحبه الله ورسوله على الأمة أن تتحول من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن البدعة إلى السنة، ومن المعاصي إلى الطاعات، ومن التفرق والاختلاف إلى الوحدة والاعتصام، ومن سلوك سُبلِ الشيطان إلى سلوك سبيل المؤمنين.

عباد الله! السنةُ الأولى: قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:٤٧].

والسنةُ الثانية: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

عباد الله! إذا لم يغير الناس ما بأنفسهم وبقوا على حالهم المحزن من الكفر والشرك والمعاصي والاختلاف والتفرق وسلوك سبل الشيطان، فهل معنى هذا أن نصر الله للأمةِ الإسلامية لن يأتِ؟ **الجواب:** يكون في السنة الثالثة.

السنة الثالثة: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى

---

(١) **صحيح**، سبق (ص٩١).

ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٣٨-٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد].

عباد الله! ما هي صفاتُ هؤلاء القوم الذين يأتي اللهُ بهم ليكرمهم بنصره؟ يخبرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه عن صفاتهم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة].

الصفة الأولى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

عباد الله! محبة الله لعبادِهِ صفةٌ من صفاته التي يجب إثباتها والإيمان بها دون تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريفٍ ولا تكييف، وقوفاً عند قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

والقرآن والسنة مملوآن بذكر من يُحبهُ الله سبحانه من عباده المؤمنين، وذكر ما يُحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم.

ففي القرآن الكريم:

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة]، وقال

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف].

وفي الحديث القدسي يقول رب العزة: «**مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنتهُ بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزال يتقربُ إليّ بالنوافل حتى أحِبَّهُ**»[1].

وفي السنة:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الصلاةُ على وقتها**»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[3].

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأشجِّ عبدِ القيس: «**إن فيك لخصلتين يُحِبُّهما الله: الحلم والأناةُ**»[4].

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧٥٣٦) هو آخر حديث عنده، ومسلم (٢٦٥٤).

(٤) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٣٦٨)، ومسلم (١٧).

عباد الله! والله -عز وجل- يحبُّ رسولَهُ محمداً ﷺ، ولذلك اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، واختاره لرسالته، ويحبُّ الله -عز وجل- أصحاب النبي ﷺ، ولذلك اختارهم لصحبة نبيهِ ونصرة دينه ورضي عنهم ورضوا عنه، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

عباد الله! فحبُّ الصحابة من الإيمان، وبغضهم من النفاق، قال ﷺ: «**آية الإيمان حبُ الأنصار، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار**»[1]، وقال ﷺ: «**الأنصار لا يُحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»[2].

وقال الإمام الطحاوي في عقيدته، عقيدة أهل السنة والجماعة: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) [3].

عباد الله! فهل يُعقلُ أن رجلاً آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً ويسب الصحابة رضي الله عنهم ويتقربَ زعماً بسبهم

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

(٣) [«شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧)].

ولعنهم إلى الله؟ أظنُ أن من يفعل ذلك أنه من أكذبِ الناسِ والله -عز وجل- سيفضحهُ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠].

عباد الله! ومحبةُ الله لعبده لها آثارٌ عظيمةٌ في الدنيا والآخرة، منها:

١- يُلقي الله محبة حبيبه في قلوب عبادِهِ، كما قال تعالى لموسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم]، أي: محبةً في قلوب العباد، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحِبَّهُ. قال: فيُحبهُ جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحبُّ فلاناً فأحِبوهُ، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يُوضعُ له القبولُ في الأرض**»[1].

٢- مغفرةُ الذنوب، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

٣- لا يدخلهُ النارَ، قال ﷺ: «**والله لا يُلقي الله حبيبَهُ في النار**»[2].

الصفة الثانية: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾

عباد الله! يجب أن يكون محبُّ الله متواضعاً للمؤمنين، ليِّنَ الجانبِ معهم، حسنَ المعاملةِ لهم، وأن يكون شديداً على الكافرين المحاربين،

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له.

(٢) **صحيح**، رواه أحمد (٣/ ١٠٤)، وصححه الحاكم (٤/ ١٧٧)، وانظر [«الصحيحة» (٢٤٠٧)].

مترفِّعاً عليهم، لا يجدون منه إلا العزة والغلظةَ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة]، ومدحَ رسول الله ﷺ والمؤمنين فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحِمُهم وتوّادِّهم وتعاطفهم كمثلِ الجسد إذا اشتكى عضوٌ تداعى لهُ سائرُ جسدهِ بالسهرِ والحُمّى**»[(١)].

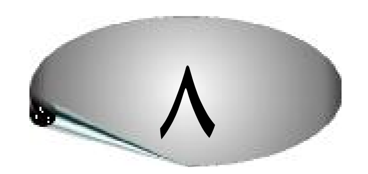
الصفةُ الثالثة: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾

عباد الله! هؤلاء القوم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم؛ لتكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، قال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم وألسنتكم**»[(٢)]، وهذا ما فعلهُ الصحابةُ رضي الله عنهم قال تعالى في وصفهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يحبهم اللهُ ويحبونه ويجاهدون في سبيله، ولا يخافون لومة لائم، إنه ولي ذلك والقادر عليه

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) **صحيح**، رواه النسائي (٣٠٩٦)، وأبو داود (٢٥٠٤)، وأحمد (٣/ ١٢٤)، وصححه الحاكم (٢/ ٨١)، وابن حبان (٤٦٨٨)، وانظر: [«المشكاة» (٣٨٢١)].



الجهاد في سبيل الله. أهدافهُ وغاياته(١)

منهجُ الأنبياء في الجهاد في سبيل الله

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

عباد الله! منهجُ الأنبياءِ وفي مقدمتهم إبراهيم عليه السلام في الجهادِ في سبيل الله هو الطريقُ الوحيدُ للنصر على الأعداء، قال تعالى: بعد أن ذكر عدداً من أنبيائه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، ولذلك قال تعالى

(١) أُلقيت هذه الخطبة أيضاً بسبب الاعتداء الظالم من اليهود على أبناء غزة.

لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان].

عباد الله! ولذلك أمرنا الله -عز وجل- في كتابه أن نسلك ملة إبراهيم عليه السلام في الجهاد في سبيل الله وفي كل شيء، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

* **عباد الله!** في الجمعة الماضية قلنا: إن لله في نصر المؤمنين على الكافرين سننٌ لا تتبدلُ ولا تتحول وهي:

السنة الأولى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:٤٧]، وذكرنا الأدلة من الكتابِ والسنةِ التي تُبشر أن النصرَ والتمكين والغلبة والظهور والمستقبل للإسلام والمسلمين ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون، ولو كره اليهود، ولو كره المنافقون، ولكن متى يكون هذا النصر، قلنا إذا حقق المؤمنون.

السنة الثانية، وهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد:١١]؛ فهذه السنةُ هي مفتاحُ النصر، وهي المدخلُ الوحيدُ لتغيير واقعِ الأمةِ الإسلامية

المحزن، وقلنا: إذا لم يغيرْ الناسُ من حالهم وبقوا على معاصيهم فهل معنى ذلك أن النصر لن يأتي؟

قلنا هنا تأتي:

السنة الثالثة، وهي: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨].

عباد الله! وقد ذكرنا في الجمعة الماضية صفاتِ هؤلاء القومِ كما أخبرنا ربنا في كتابه وهيَ:

الصفة الأولى: يحبهم ويحبونه.

الصفة الثانية: أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين.

الصلة الثالثة: يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

عباد الله! والناسُ مع الجهاد ثلاثة أقسامٍ:

القسم الأولُ: الذين ينطلقون في جهادهم من خلال الكتاب والسنة، كالصحابة ﭫ، ومن سلك سبيلهم.

- والصحابة: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ كما وصفهم الله فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].
- والصحابة ﭫ جاهدوا في سبيل الله، ولم يخافوا في الله لومة لائم؛ فهذا القسمُ من الناسِ ينطلقون في جهادهم من الكتاب والسنة بفهم الصحابة ﭫ.

القسم الثاني: الذين يفهمون الجهاد فهماً خاطئاً.

- فمنهم من يظنُ أن الجهاد في سبيل الله هو عبارةٌ عن الخطبِ الرنانةِ على المنبر، والتي يثيرون من خلالها الناس على ولاة أمورهم.
- ومنهم من يظنُ أن الجهاد في سبيل الله هو التخريب للمنشآت والاعتداءُ على رجال الأمن.
- ومنهم من يظنُ أن الجهادَ في سبيل الله هو السبُ والشتمُ والغيبةُ والنميمةُ والابتداع في دين الله.

القسم الثالث: الذين يتاجرون بالجهاد في سبيل الله عامةً وبالقضية الفلسطينية خاصةً.

عباد الله! الناظرُ إلى ما يحدث على الساحةِ اليوم يرى كثيراً من الناس على جميع المستويات يتاجرون بالجهاد في سبيل الله، وبما يحدثُ لإخواننا في غزة.

- فهذا لا نسمعُ منه إلا الخطبَ الرنانةَ فقط؛ لِيلفتَ أنظار الناسِ إليه وإلى حزبه الضال.
- وهذا آخرٌ يريدُ أن يسجل لنفسه موقفاً شجاعاً ولو بالكذب، حتى إذا ترشح للانتخابات انتخبه الناس.
- وهذا ثالثٌ يجمعُ الأموال من الناس باسم الجهاد في سبيل الله ولإخواننا في غزة، ثم هو يضيفها لرصيد حزبه، ولا يصلُ لإخوانه في غزة إلا القليل.

ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفضح كلّ إنسان جمع مالاً لإخواننا في غزة وحبسه لنفسه أو لحزبه أو لجماعته .

• ونقول لهذا القسم من البشر الذين لا يتقون الله في إخوانهم في غزة.

أنسيتم أن الله يعلم المفسدَ من المصلح؟!

أنسيتم أن الله يطلعُ على قلوبكم وأعمالكم؟!

أنسيتم أنكم راجعون إلى الله، وموقوفون بين يديه، في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون؟!

***عباد الله!** الجهاد في سبيل الله له أهدافه وغاياتهُ النبيلة:

الهدف الأول: لتكون كلمةُ اللهِ هي العليا، وكلمةُ الذين كفروا السفلى، ليُعبدَ اللهُ وحدهُ في الأرض، لدعوة الناس إلى الإسلام.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة]، أي: من أجل هذا الهدف؛ انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله.

• وكان ﷺ إذا أرسل جيشاً قال لهم: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله..**»[1].

• وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الرجل يُقاتِلُ شجاعةً، ويقاتِلُ حميةً، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[2].

عباد الله! فالهدف الأول للقتال في سبيل الله هو أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، أما من قاتل حمية، أو وطنية، أو شجاعة، أو رياء، أو سمعة، أو غير ذلك؛ فله ما نوى، ولا أجر له عند الله.

وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوه، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[3].

وقال ﷺ: «**من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالاً؛ فله ما نوى**»[4].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أرأيت رجلاً غزى يلتمس الأجر

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٧٣٠).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٤) **صحيح**، رواه النسائي (٣١٣٨)، وأحمد (٥/ ٣١٥)، وصححه الحاكم (٢/ ١٠٩)، وابن حبان (٤٦١٩)، وانظر [«المشكاة» (٣٨٥٠)].

والذكر ماله؟ فقال ﷺ: «**لا شيء له**». فأعادها ثلاث مرات والرسول ﷺ يقول له: «**لا شيء له**»، ثم قال ﷺ: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وابتُغي به وجهه**»[1].

وأخبر ﷺ: «**إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استشهد فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكن قاتلت لأن يقال: هو جريء، فقد قيل -أي: في الدنيا-، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**»[2].

***عباد الله!** تعالوا بنا لنتعلم الإخلاص والصدق في الجهاد في سبيل الله من الصحابة رضي الله عنهم، هناك في غزوة خيبر، فتحُ خيبر وعدٌ وعده الله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين عند عودتهم من صلح الحديبية، قال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ﴾ [الفتح:٢٠]. يعني صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة خيبر.

عباد الله! ومن أسباب هذه الغزوة: أن اليهود في خيبر نقضوا المعاهدة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وعقدوا حلفاً مع قريش ضد الرسول ﷺ يهدف إلى تطويقه من الشمال إلى الجنوب[3].

---

(١) **صحيح**، رواه النسائي (٣١٤٠)، وانظر: [«الصحيحة» (٥٢)].

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (١٩٠٥).

(٣) «مختصر السيرة» لابن هشام.

واليهود في خيبر هم الذين حزّبوا الأحزاب ضد المسلمين في غزوة الأحزاب، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، ويهود خيبر هم الذين وضعوا خطة لاغتيال النبي ﷺ؛ فكان لابد من التخلص من يهود خيبر الذين هم سبب لكل شر وبلاءٍ في أرض الجزيرة.

عباد الله! رجع النبي ﷺ من الحديبية في ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة، وبعد شهر واحد خرج بجيش إلى خيبر، وهو على يقين من النصر والفتح؛ لما وعده الله تعالى أثناء عودته من صلح الحديبية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح].

عباد الله! وصل جيشُ الإسلام إلى أسوار خيبر، وبات ﷺ والمسلمون خارجها، واليهود لا يشعرون، فلما أصبح النبي ﷺ والمسلمون صلوا الفجر في أول وقته، ثم دخلوا خيبر واليهود خارجون إلى مزارعهم بآلات الزراعة، فلما رأوا الرسول ﷺ والجيش قالوا: محمدُ والله، محمد والخميس -أي الجيش-، ثم فروا هاربين، ودخلوا حصونهم كما وصفهم الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر:١٣، ١٤].

عباد الله! فلما رأى الرسول ﷺ ما بهم من الرعب، قال: «**الله أكبر، خربت خيبر، الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح**

المنذَرين»[1]؛ فالرعب يدب في قلوب الكفار إذا كنا على ديننا، أما إذا تركنا ديننا فقد أخبر النبي ﷺ: «**ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**». قالوا يا رسول الله: وما الوهن؟ قال ﷺ: «**حب الدنيا، وكراهية الموت**».

عباد الله! وتحصنت يهود خيبر في ثمانية حصون، أشدها تحصناً هو **حصن ناعم**، وكان هذا الحصن هو خط الدفاع الأول لليهود؛ لمكانه (الاستراتيجي)، وكان هذا الحصن هو حصن مرحب اليهودي، ملك اليهود، الذي كان يعد بالألف، أي: كان عندهم بألف رجلٍ.

ليلة الهجوم:

عباد الله! في ليلة الهجوم على خيبر، قال رسول الله ﷺ لأصحابه مبشراً لهم بالفتح: «**لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه**»؛ فبات الناس يدركون -أي: يتهامسون- أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال ﷺ: «**أين علي بن أبي طالب؟**». فقالوا: يا رسول الله**!** هو يشتكي عينيه -أي: به رمد- . فقال ﷺ: «**أرسلوا إليه**»، **فأتي به**، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦١٠)، ومسلم (١٣٦٥) بعد (١٤٢٧).

فقال علي ﷺ: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**انفذْ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم**»[1].

يوجه النبي ﷺ الصحابة إلى أن يحرصوا على دعوة الناس إلى الإسلام، ألّا يتطلعوا إلى الغنائم التي بعد الفتح.

عباد الله! أخذ علي ﷺ الراية، وتحرك بجيش المسلمين إلى أول حصن من حصون اليهود، ألا وهو حصن ناعم، وهو من أشد حصون اليهود تحصناً، ويوجد فيه مرحب ملك اليهود الذي يعد بالألف؛ فدعاهم علي ﷺ للإسلام فرفضوا هذه الدعوة، وخرج ملكهم مرحب إلى ميدان القتال، ودعا إلى المبارزة وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي «مرحب» شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز إليه علي ﷺ وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

أو فيهم بالصاعِ كيل السندرة

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

-أي: أقتل الأعداء قتلاً واسعاً-، فتقدم علي رضي الله عنه إلى مرحب فصلاه بالسيف فقطع رقبته، ثم تقدم نحو حصون اليهود ففتحها حصناً حصناً، وكان الفتح على يد عليّ رضي الله عنه.

عباد الله! ولما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد فتحها، أُهديت إليه شاة فيها سم من امرأة يهودية؛ لتعلموا أن اليهود أهل غدر وخيانة ومكر، تعالوا بنا لنستمع إلى أبي هريرة رضي الله عنه وهو يخبرنا الخبر:

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم وقال لأصحابه: أمسكوا إنها مسمومة بعد أن مضغ النبي صلى الله عليه وسلم منها مضغةً. ثم قال صلى الله عليه وسلم: «**اجمعوا من كان هاهنا من اليهود**» فجمعوا له، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم صلى الله عليه وسلم: «**من أبوكم؟**». قالوا: أبونا فلان. فقال صلى الله عليه وسلم: «**كذبتم بل أبوكم فلان**» -لتعلموا أن اليهود أهل الكذب- فقالوا: صدقت وبررت. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أهل النار؟**» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كذبتم، اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً**»، ثم قال لهم: «**هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟**» قالوا: نعم. فقال صلى الله عليه وسلم: «**هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟**». قالوا: نعم. فقال صلى الله عليه وسلم: «**ما حملكم على ذلك؟**». قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك[1].

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣١٦٩).

عباد الله! ثم جيء بالمرأة التي وضعت السم في الشاة، فسألها رسول الله ﷺ: «**لم وضعت السم في الشاة**»؟ قالت اليهودية: أردت أن أقتلك؟ فقال ﷺ: «**ما كان الله ليسلطك علي**».

قال الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله؟ أفلا نقتلها؟ قال ﷺ: «**لا**»[1]، الله أكبر، إنها والله أخلاق النبوة، العفو عند المقدرة.

عباد الله! وقسّم رسول الله ﷺ هذه المغانم الكثيرة التي غنمها من يهود خيبر كما أمره الله تعالى، وكان في السبي صفية بنت حيي بن أخطب، فاصطفاها ﷺ وجعل عتقها صداقها، وبنى بها، وأولم عليها بالتمر والسمن، ولم يكن في وليمتها لحم قط.

عباد الله! ولما دخل رسول الله ﷺ على صفية وجد في وجهها خضرةً، فقال ﷺ: «**ما هذا**»؟ قالت: رأيت كأن القمر زال من مكانه فوضع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي ابن أبي الحقيق اليهودي، فلطمني على وجهي، وقال: تمنين هذا الملك الذي بالمدينة -يقصد رسول الله ﷺ-، وأنا والله يا رسول الله لا أذكر من أمرك شيئاً[2]، ولكن هذه الرؤيا التي رأتها هي زواجها من النبي ﷺ.

عباد الله! وهكذا فتح رسول الله ﷺ خيبر، واستراح المسلمون من

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) واللفظ له.

(٢) «البداية والنهاية» (١٩٦، ١٩٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٢٧).

غدر اليهود وخيانتهم ، وليعلم الجميع أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

الهدف الثاني: ردُّ اعتداءِ المعتدين الذين يعتدون على بلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤].

الهدفُ الثالث: إذلالُ الكافرين حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

الهدفُ الرابع: عذابُ الكافرين وشفاءُ صدور المؤمنين ونصرُهم، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة].

الهدف الخامس: لتمحيص المؤمنين والحصولِ على فضل الشهادة في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ

مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! وقبل أن يخرج الجيش المسلم لتحقيق هذه الأهداف والغايات التي شُرِعَ من أجلها الجهادُ في سبيل الله؛ يجب عليه:

أولاً: مجاهدة النفس في طاعة الله، والتمسك بدين الله، واليقين بأن النصر لا يكون إلا من عند الله.

قال ﷺ: «**المجاهدُ**» -أي: المجاهدُ حقاً- «**هو من جاهد نفسَهُ في طاعة الله**»(1).

ثانياً: مجاهدةً شياطين الإنس والجن؛ فإن الشيطان أقسم بعزة الله، فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف]، وجنّد الشيطانُ شياطين الإنس؛ ليعملوا في الداخل على ضعف المسلمين، وهذا ما نراه من الخونة الذين باعوا دينهم وضمائرهم بعرضٍ من الدنيا؛ فيبلغون اليهود عن المسلمين ليقتلوهم.

ثالثاً: أن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا بالشعارات والتسميات المنتنة التي لا يرضاها الإسلام، قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾

---

(1) **صحيح**، رواه الترمذي (١٦٢١)، وأحمد (٦/ ٢١)، وصححه الحاكم (١/ ١٠)، وابن حبان (٤٦٠٥)، وانظر: [«الصحيحة» (٥٤٩)].

[الحج:٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

- وقال ﷺ: «**من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جُثي جهنم**»، قال رجلٌ: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: «**نعم، وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله**»(١).
- وقال ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتى يُقاتِلَ المسلمون اليهودَ، فيقتُلَهُم المسلمون حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلمُ! يا عبد الله! هذا يهوديّ خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه؛ من شجر اليهود**»(٢).

ويقول جابر رضي الله عنه: (كنا في غزاة -وهي غزوة بني المصطلق- فكسح رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار -أي ضربه برجله- فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بالُ دعوى الجاهلية**»؟ قالوا: يا رسول الله! كسح رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**»(٣).

---

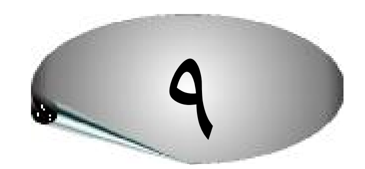
(١) **صحيح**، رواه أحمد (٦/ ٢١)، والترمذي (٢٨٦٣)، وصححه ابن حبان (٦٢٠٠)، والمشكاة (٣٦٩٤).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢).

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).

عباد الله! في الجمعة قبل الماضية بينت لكم كيف ننتصر على اليهود وأعداء الإسلام، وفي الجمعة الماضية أخبرتكم بسنن الله في نصر المؤمنين على الكافرين، وفي خطبة اليوم ذكرتكم بأهداف الجهاد في سبيل الله ليهلك من هلك عن بينةٍ، ويحيا من حي عن بينة ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر]. ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! ولما كانت دعوةُ الناسِ إلى عبادة الله وحده من أعظم الجهاد في سبيل، فإننا إن شاء الله تعالى من الجمعة القادمة سنعود إلى قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه الذين يعبدون الأصنام، وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده.



قصةُ إبراهيم -عليه السلام-
مع قومه الذين يعبدون الأصنام

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]، ويقول -عز وجل-: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةً من سلسلة المواعظِ التي بعنوان **البرهانُ من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص **أولي العزم من الرسل**، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة إبراهيم -عليه السلام- مع قومه الذين يعبدون الأصنام**.

عباد الله!

- إبراهيمُ عليه السلام الذي جعله الله إماماً للناس في كل خير، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤].
- إبراهيمُ عليه السلام الذي كان وحدهُ، ولكنه كان أمةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل].

- إبراهيمُ عليه السلام صاحبُ القلبِ السليم من الشركِ والشبهاتِ والشهواتِ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات].

- إبراهيم عليه السلام الذي آتاهُ اللهُ الحُجة على قومه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

عباد الله! أما قوم إبراهيم، فهم من أضل الناسِ، وهم فريقان: فريقٌ يعبدون الأصنام، وفريقٌ يعبدون الكواكب، وموعدنا في هذا اليوم مع دعوةِ إبراهيم عليه السلام لقومه الذين يعبدون الأصنام، التي أخبرنا اللهُ عنها هناك في سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء].

• يقولُ سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الشعراء]، أي: سألهم سؤالَ تقرير، قالوا متبجحين بعبادتهم لهذه الأصنام: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بكل لطفٍ يبينُ لقومه أن هذه الأصنام لا تنفعُ ولا تضرُ ولا تسمعُ ولا تبصرُ لعلهم يتفكرون. قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء] ولكن لا عقل لهم.

عباد الله! الذي يعبدُ غير الله لا عقل له.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

أولاً: لأن هذه الآلهة المزعومةَ لا تسمعُ ولا تبصرُ ولا تنفعُ ولا تضرُ ولا تخلقُ، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

ثانياً: لأنَّ اللهَ هو الإلهُ الحقُ الذي يستحقُ العبادةَ وحده؛ فهو الذي خلقَ الخلق، وهو مالكُ الملكِ، وهو الذي ينفعُ ويضر، وهو الذي يسمع دعاءَ من دعاه، وهو الغني يعطي من سأله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج].

واللهُ وحدهُ هو المستحقُ للعبادةِ لأن الأمورَ كُلَّها بيده سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون].

• ولذلك بعد أن بيَّن إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه أن هذه الأصنام التي يعبدونها لا تسمعُ ولا تنفع ولا تضر، أخذ يعرفهم بربه الإله الحق الذي يستحقُ العبادة وحدهُ، فقال لهم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! ثم بيَّن إبراهيمُ عليه السلام لقومه أن اللهَ وحدهُ هو الذي يستجيب الدعاء، فقال في دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧)﴾ [الشعراء].

- ولذلك طلبَ إبراهيمُ عليه السلام من قومه أن يتركوا عبادةَ الأصنامِ، ويعبدوا اللهَ وحده، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)﴾ [العنكبوت].

- فالرزق والحياةُ والموتُ بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾ [الروم].

ثالثاً: الذين يعبدون غيرِ الله لا عقل لهم؛ لأنهُ لو كان في هذا الكون آلهةٌ إلا الله لفسدت السمواتُ والأرضُ ومن فيهن، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾ [المؤمنون].

- ولذلك وصفَ اللهُ الذين يعبدون غيرهُ بالظلم والجهلِ وعدمِ التذكرِ

والشركِ، وطالبهم بالدليلِ على عبادتِهم غيرَهُ، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦٤﴾ [النمل].

رابعاً: الذين يعبدون غير الله لا عقلَ لهم؛ لأن هذه الآلهةَ كما أنها لا تنفعهم في الدنيا ولا تنصرُهم كذلك لا تنفعُهم في الآخرة، ولا تنصرُهم وتتخلَّى عنهم، بل هي معهمُ في نار جهنم إذا عُبِدت برضاها.

قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ۝٧٤ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝٧٥﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ۝١٠٠﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ۝٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ۝٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ۝٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ۝٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ۝٩٥ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ۝٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ۝١٠١ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾ [الشعراء].

عباد الله! وها هم الذين عبدوا غيرَ الله يعترفون وهم في جهنم أنهم لا عقول لهم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)﴾ [الملك].

عباد الله! إبراهيمُ عليه السلام يقولُ لأبيه وقومه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ (٧٠)﴾ يريدُ منهم أن يفكروا في هذه الآلهةِ بعقولهم، ولكنهم أجابوهُ بكلامٍ يدلُ على أنهم لا عقل لهم: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١)﴾، وقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)﴾ [الشعراء]، وقالوا: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣)﴾ [الأنبياء].

فانظروا عباد الله! إلى حجتهم ودليلهم أنهم قالوا: وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، ووجدنا آباءنا لها عابدين، وهذه الشبهة وهي التقليدُ الأعمى للآباء، هي التي منعت كثيراً من الناس من عبادة الله وحدهُ لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾ [لقمان]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾ [الزخرف].

عباد الله! التقليد الأعمى للآباءِ والكبراء والسادة سببٌ لكل شرٍ.

• فكم من إنسانٍ تورط في الشرك تقليداً للآباء والسادة والكبراء؟!

• وكم من إنسانٍ طاف بالقبور تقليداً للآباء والسادة والكبراء؟!

• وكم من مسجدٍ بُني على القبور تقليداً للآباء والسادة والكبراء؟!

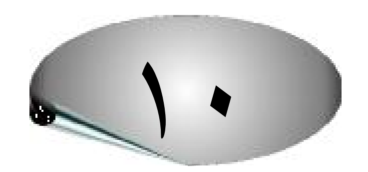
• وكم من إنسانٍ ابتدع في دين الله تقليداً للآباء والسادة والكبراء؟!

عباد الله! ويوم القيامة يندمُ المقلِّدون في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! وها هم المقلِّدون تقليداً أعمى للآباء والسادة والكبراء في كفرهم وشركهم وبدعهم يندمون في جهنم في وقت لا ينفع فيه الندم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

عباد الله! دعا إبراهيم عليه السلام قومهُ الذين يعبدون الأصنام بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وجادلهم بالتي هي أحسن، ولكنهم لم يستجيبوا له وأصروا على عبادة الأصنام تقليداً للآباء؛ فغيّر إبراهيمُ عليه السلام أسلوبَ الدعوة بأسلوبٍ جديد، ما هو هذا الأسلوب؟ وماذا قالوا له؟ وماذا فعلوا به؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.



قصة إبراهيم -عليه السلام- في تكسيره للأصنام

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف]، ويقول سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصةُ إبراهيم -عليه السلام- في تكسيره للأصنام**.

عباد الله!: إبراهيم عليه السلام قال لقومه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾، فأجابوهُ بإجابةٍ تدلُ على أنهم لا عقل لهم فقالوا: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾، فأخذ إبراهيم عليه السلام بكل لطفٍ ولينٍ يبين لقومه أن هذه الأصنام لا تسمعُ ولا تبصرُ ولا تنفعُ ولا تضر، لعلهم يعقلون، فقال لهم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾، فأجابوه أيضاً بإجابة تدل على أنهم لا عقل لهم، فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

***عباد الله!** إبراهيم عليه السلام عندما وجد أسلوب اللين واللطف لا ينفع

مع قومه، غيَّر أسلوبه معهم لعلهم يعقلون، فأغلظ لهم في القول، ورماهم بالضلال، وقرر أن يكسر هذه الأصنام التي يعبدونها؛ ليبرهن لهم أنها لا تنفع ولا تضر.

• وهذا الأسلوبُ يخبرنا عنه ربنا -جل وعلا- هناك في سورة الأنبياء:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء]، إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء].

***عباد الله!** إبراهيم عليه السلام يستخدمُ أسلوباً جديداً في دعوةِ قومه الذين يعبدون الأصنام، ويتمثلُ هذا الأسلوب في إعلان الحرب على هذه الآلهةِ المزعومة بالقولِ والفعلِ ليبين لقومهِ؛ أنها لا تنفع ولاتضر.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿٨٧﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت].

عباد الله! في هذه الآيات يخبرنا ربنا -جل وعلا- عن إبراهيم عليه السلام أنهُ أنكر على قومه عبادة الأوثان، وحقّرها عندهم وصغّرها وتنقّصها، وبين لهم أنها لا تنفع ولا تضر.

عباد الله! أتدرون بماذا أجابوه؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنبياء]. وهذا يدل على أن أهل الباطل في شكٍ من باطلهم.

- فأجابهم إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنبياء]، وهذا يدل على أن دعاة الحق على يقين من الحق الذي يدعون الناس إليه؛ لأنه ليس بعد الحق إلا الضلال.
- قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس].

***عباد الله!** إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أقسم بالله ليحطمن هذه الأصنام؛ ليثبت لقومه أنها لا تصلح أن تكون آلهة تبعد، فقال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الأنبياء]، فرسم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خطةً لتحطيم هذه الأصنام، فيها دليلٌ وبرهان على أن هذه الأصنام لا تصلحَ أن تكون آلهةً.

عباد الله! كان لقوم إبراهيم عيدٌ يذهبون إليه في كل عام، فطلب منه أبوه آزر أن يذهب معهم، فاعتذر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ۝٨٩﴾؛ ليقومَ بتنفيذ خطتهُ في غياب قومه.

قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۝٨٩ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۝٩٣﴾ [الصافات].

انظروا عباد الله! إلى خطة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء].

***عباد الله!** فلما رجع قوم إبراهيم من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبودهم: ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء]، وهذا فيه دليلٌ ظاهرٌ لهم لو كانوا يعقلون، وهو ما حلّ بآلهتهم التي كانوا يعبدونها؛ فلو كانت آلهةٌ لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء، لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقلهم وكثرة ضلالهم وخبالهم: ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء]، أي: يذكرها بالعيب والتنقص لها والازدراء بها؛ فهو المقيم عليها والكاسر لها.

***عباد الله!** قومُ إبراهيم يُحاكمون إبراهيم عليه السلام في الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد؛ لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامهُ، ويعاينون ما يحلُّ به من الاقتصاص منهُ؛ ليكون عبرةً لغيره ولكل من تُسوّلُ له نفسُهُ أن يعتدي على آلهتنا.

وهذا ما أراده إبراهيم عليه السلام ليقيم الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥)﴾ [الأنبياء]، فأقام إبراهيم عليه السلام الحجة على قومه، وجعلهم يعترفون أمام الناس أن آلهتهم جمادات لا تنطق ولا تنفعُ ولا تضرُ، ولذلك قال لهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [الصافات].

عباد الله! فالذي يعبد غير الله لا عقل له؛ لأن النفع والضر بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾ [فاطر].

***عباد الله!** أهل الباطل دائماً في كل زمان ومكان إذا انقطعت حجتهم أمام أهل الحق لجأوا إلى البطش والقتل والظلم والتهديد، وهذه دائماً حجة الضعفاء.

• وهذا ما فعله فرعون مع موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر].

• وهذا ما فعله قوم نوح مع نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء].

• وهذا ما فعله قوم لوط مع لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء].

• وهذا ما فعله قوم إبراهيم مع إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت:٢٤]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنبياء].

عباد الله! صدر القرارُ الجائرُ الظالمُ من المحكمةِ الظالمةِ بالحكم على إبراهيم عليه السلام بالإعدام حرقاً بالنار. فشرعوا يجمعون الحطب من كل مكانٍ، حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضتْ؛ تنذُر؛ لئن عوفيت لتحملنّ حطباً لحرق إبراهيم. ثم وضعوا الحطب في هذا البنيان وأشعلوا فيه النيران؛ فاشتغلت وتأججت والتهبت وعلا لها شررٌ لم يُر مثله قط. ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه ثم ألقوه في هذه النار، فقال إبراهيم: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قيل له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[آل عمران][1].

عباد الله! توكل إبراهيم على الله وحده والله-عز وجل- يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، ويقول سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦].

فلما توكل إبراهيم عليه السلام على الله وحده، جاء المخرج والفرجُ العظيم من هذا الكرب المبين؛ فصدر الأمر من رب العالمين. قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء].

فأرادوا أن ينتصروا؛ فخذلوا، وأرادوا أن يَغْلِبوا، فَغُلِبُوا، قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات].

عباد الله! الخسران المبين هو نهايةُ الباطل في الدنيا، وأما في الآخرة فأهل الباطل في أسفل سافلين في سواء الجحيم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٤٥٦٣).

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

عباد الله! أما الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من دعوة إبراهيم -عليه السلام- لقومه الذين يعبدون الأصنام، فهي كثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: الباطل ضعيفٌ لا حجة لهُ أمام الحق

يظهر ذلك من موقف إبراهيم عليه السلام مع قومه فإبراهيم عليه السلام وحدهُ، ولكنه صاحبُ الحق يقفُ أمام قومه جميعاً، ويقيمُ عليهم الحجةَ، ويجعلهم يعترفون أنهم يعبدون آلهةً لا تنفعُ ولا تضرُ ولا تسمعُ ولا تبصرُ ولا تنطقُ ولا تخلق، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام لقومه بكل قوةٍ وشجاعةٍ على مرأى ومسمعٍ من الناس جميعاً: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

عباد الله! وقد أخبرنا في كتابه أن الباطل لا يقفُ أمام الحق لضعفه، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

[الإسراء]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سبأ:٤٨]، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُبٍ، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سبأ] [1].

عباد الله! وقد توعد الله -عز وجل- الذين ينصرون الباطل بالعذاب والهلاك في الدنيا، وبالخزي والنار في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ إلى أن قال رب العزة: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾ [غافر].

عباد الله! فالله -عز وجل- هو الحق، والذي جاءت به الرسل هو الحق، وخلق الله السموات والأرض بالحق، ولذلك قال تعالى لعباده: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس]؛ فيا أهل الحق اصبروا على الحق الذي أنتم عليه، ولا تنخدعوا بزخرفة الباطل. قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النمل]، وقال له أيضاً: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم].

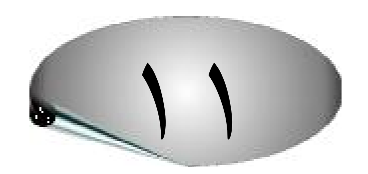
---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٤٢٨٧).

ثانياً: المكر السيء لا يحيق إلا بأهله

وهذا يؤخذُ من قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه؛ فقد مكروا به، وحاكموه أمام الناس جميعاً، فمكر الله بهم، وأقام الحجة عليهم، وهذا ما فعله فرعون مع موسى عليه السلام، عندما جمع الناس جميعاً ليشهدوا ما سيكون بين موسى والسحرة، فكان ذلك لصالح موسى؛ فآمن السحرة جميعاً، وعرف الناسُ أن ما جاء به موسى ليس سحراً، وإنما هو الحق من عند الله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل].

عباد الله! كيف دعا إبراهيم عليه السلام قومه الذين يعبدون الكواكب؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمةِ -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.



قصة إبراهيم -عليه السلام-
مع قومه الذين يعبدون الكواكب

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

***عباد الله!** موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزمِ من الرسل، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة إبراهيم -عليه السلام- مع قومه الذين يعبدون الكواكب.**

عباد الله! قومُ إبراهيمَ كما قلنا من أضل الناس، وهم فريقان: فريقٌ يعبدون الأصنام، وقد تبين لكم في الجمع الماضية كيف دعاهم إبراهيمُ عليه السلام إلى الله -عز وجل- بكل الأساليب، فلم يستجيبوا له، وفريقٌ يعبدون الكواكب، وهم من أخبث الطوائفِ وأعظمهم ضرراً على الخلق، وقد ناظرهم إبراهيم عليه السلام وأقام عليهم الحجة، وبينّ لهم أن الكواكب لا تصلحُ أن تكون آلهةً تعبدُ من دونِ الله.

*عباد الله! وقد أخبرنا الله -عز وجل- في سورة الأنعام عن مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه الذين يعبدون الكواكب، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

عباد الله! وكلامُنا عن هذه الآياتِ سيكونُ حول العناصر التالية:

العنصر الأول: قوم إبراهيم -عليه السلام- كانوا في ضلال مبين.

العنصر الثاني: إبراهيم -عليه السلام- يُناظرُ قومهُ الذين يعبدون الكواكب ويقيمُ الحجة عليهم.

العنصر الثالث: إبراهيم -عليه السلام- يُعلن الحربَ على الشركِ والمشركين.

العنصر الرابع: الأمنُ والأمانُ لا يكونُ إلا في ظل الإيمان.

العنصر الأول: قوم إبراهيم -عليه السلام- كانوا في ضلال مبين.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤)﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤)﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩)﴾ [الشعراء].

عباد الله! قومُ إبراهيم كانوا من أضل الناس؛ لأنهم قلدوا آباءهم في ضلالهم، في عبادتهم للأصنام، والذين يقلدون الآباء في ضلالهم يخسرون الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، قال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)﴾ [الصافات]، فاحذروا يا عباد الله! من التقليد الأعمى لدعاة الضلالة، وكثير ما هم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)﴾ [الأنعام].

العنصر الثاني: إبراهيمُ -عليه السلام- يناظر قومه الذين يعبدون الكواكب، ويقيم الحجة عليهم.

عباد الله! إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات يناظرُ قومهُ.

• والمناظرُ يقولُ الشيء الذي لا يعتقدهُ ليبنيَ عليه حجتهُ، وليقيمَ الحجةَ على خصمه. كما قال في تكسيره الأصنام لما قالوا له: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء]، فأشار إلى الصنم الذي لم يُكسرْهُ، فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، ومعلومٌ أن غرضهُ إلزامهم بالحجة وقد حصلت.

• وهذا أسلوبٌ بديعٌ من أساليب المناظرة، وهو أن يتكلم المناظرُ بكلام خَصومهِ، وبما هم عليه من باطلٍ، حتى إذا ظاهر الباطلُ أمامهم قذفَ عليه بالحقِ فيدمغه فإذا هو زاهق. فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ استخدم مع قومه هذا الأسلوب، فجلس معهم وهم ينتظرون الليل ليعبدوا هذه الآلهةَ المزعومة من النجوم والكواكب: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾، أي: على زعمكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غاب، ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام]؛ فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يريدُ من قومه أن يفكروا بعقولهم كيف تعبدون آلهةً تغيبُ عنكم تارةً وتظهرُ تارةً؟ فهذا لا يصلحُ أن يكون إلهاً.

• ثم انتقل بهم إلى القمر ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾، أي: على زعمكم، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾، أي: غاب، ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام].

• ثم انتقل بهم إلى الشمس؛ فهي أكبر: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾،

أي: على زعمكم، ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام].

عباد الله! إبراهيم عليه السلام في هذه المناظرة يبينُ لقومهِ الذين يعبدون الكواكب أنها لا تصلحُ للألوهيةِ، ولا أن تعبدَ مع الله -عز وجل-؛ لأنها مخلوقة مربوبةٌ مصنوعةٌ مدبرةٌ مسخرةٌ، تطلعُ تارةً وتأفلُ أخرى؛ فتغيبُ عن هذا العالم، والربُ -تعالى- لا يغيبُ عنه شيءٌ، ولا تخفى عليه خافيةٌ، بل هو الدائم الباقي بلا زوال، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

عباد الله! وقد ذهبَ بعضُ العلماء إلى أنّ إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات كان ناظراً في النجوم يبحثُ عن إلهه وربه، وهذا كلامٌ لا يصحُ وباطلٌ؛ لأنه يدل على أن إبراهيم عليه السلام قبل أن يهتدي إلى ربه كان مشركاً.

• وقد جاءت الأدلةُ تبين أن إبراهيم عليه السلام لم يكن مشركاً طرفة عين:

الدليل الأولُ: هذا إبراهيم عليه السلام يخبرنا عن نفسه أنه لم يكن من المشركين أبداً، قال تعالى على لسانه: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام]، وإبراهيم عليه السلام هو الذي قال في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم].

الدليل الثاني: الله -عز وجل- يخبرنا في كتابه أن إبراهيم عليه السلام لم يكن من المشركين طرفة عينٍ.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

قال الشنقيطي رحمه الله: (ونفي الكونِ الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدمْ عليه شركٌ يوماً ما)[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات].

والقلب السليم: هو الذي لم يعرف الشرك طرفة عين.

الدليلُ الثالثُ: قال ﷺ: «**كل مولودٍ يولدُ على الفطرة**»[2].

وقال ﷺ: «**قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء**»[3].

وقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ

---

(١) «أضواء البيان» (٢/ ١٨٠).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) **صحيح**، رواه مسلم (٢٨٦٥).

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢].

ومعناه على أحد القولين، كقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فإذا كان هذا في حق سائرِ الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل - الذي جعله الله: ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل] ناظراً في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السلمية، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شكٍ ولا ريب.

عباد الله! ومما يؤيدُ أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظراً لقومهِ فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً في الكواكب

العنصر الثالث: إبراهيم -عليه السلام- يعلنُ الحرب على الشركِ والمشركين

عباد الله!

- الشركُ ضلالٌ بعيد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء].
- الشركُ ظلمٌ عظيم، قال تعالى: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان].
- الشرك لا يغفره اللهُ أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء].
- الشرك سببٌ لدخول النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٧٢﴾ [المائدة].

• الشرك يحبطُ الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦].

• الشرك من أكبر الكبائر، يقول ﷺ لأصحابه يوماً: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» (ثلاثاً) قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «**الإشراك بالله..**»[1]، ولذلك عندما أقام إبراهيم عليه السلام الحجةَ على قومه، وبين لهم بالدليل السمعي والعقلي أن هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر، وأن الذي يستحقُّ العبادة وحده هو الله سبحانه وتعالى، الذي خلق كل شيءٍ؛ جادلوه وناظروه وخوّفوهُ بآلهتهم، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ -أي: جادلوه-، فأعلن إبراهيم عليه السلام الحرب على الشركِ وعلى المشركين فقال: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾، -أي: تجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو، وقد بصّرني وهداني إلى الحق، وأنا على بينةٍ منه؟ فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدةِ وشبهكم الباطلة؟!

• ثم قال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ -أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه، أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨) واللفظ له.

تؤثر شيئاً، وأنا لا أخافها، ولا أباليها، فإن كان لها كيد، فكيدوني بها، ولا تنظرون، بل عاجلوني بذلك.

• ثم قال لهم: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ -أي: أحاط علمه بجميع الأشياء، فلا يخفى عليه خافية-.

• ثم قال لهم: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام] -أي: فيما بينته لكم، أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة، فتنزجروا عن عبادتها؟ وهذه الحجة نظير ما احتج به نبي الله هودٌ عليه السلام على قومه عاد، فيما قص عنهم في كتابه، حيث يقول: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود:٥٣-٥٦].

• ثم قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ - أي: كيف أخاف من هذه الأصنام التي تبعدونها من دون الله، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾؟ فالخوف الحقيقي عليكم أنتم يا من تشركون بالله.

• ثم قال لهم: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام] -أي: فأي الطائفتين أصوب؟ الذي عبد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد ما لا يضر ولا ينفع بلا دليل؟ أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام] -أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

عباد الله! لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، قال الصحابة رضي الله عنهم: وأيُنا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان][1]؛ فالظلمُ في هذه الآية هو الشرك الأكبر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة]؛ فاحذروا يا عباد الله! أن تتورطوا في الشرك صغيراً كان أو كبيراً؛ فالمشرك من شر الناس في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة].

العنصر الرابع: الأمن والأمان لا يكون إلا في ظل الإيمان.

عباد الله! الأمن والأمان في الدنيا والآخرة لا يكون إلا للمؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ.....﴾ [الأنعام:٨١].

***ففي الآخرة.**

• في أرض المحشر المؤمنون في أمنٍ وأمان من الفزع الأكبر، قال تعالى:

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٠)، وهذا لفظه، ومسلم (١٢٤).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء].

• وفي الجنة: المؤمنون في أمن وأمان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدخان].

*وأما في الدنيا:

فإن الأمن والأمان من أجلِّ نعم الله تبارك وتعالى، امتن الله بها على قريش في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص]؛ فالأمن والأمان من أجلِّ نعم الله تعالى على العباد، فيها يجد الإنسان نفسه، ويؤدي وظيفته مطمئناً، ولذلك لما امتن الله تعالى على قريش بنعمة الأمن أمرهم أن يعبدوه شكراً، فقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش:٣، ٤].

وفي هذا الأمر إشارةٌ لطيفةٌ إلى أنه في حال الأمن يتمكن الناس من عبادة الله تعالى، وفي حال الخوف والقلق لا يتمكنون من عبادة الله، وإن أدّوها لم يؤدوها على وجهها المشروع أصلاً، وإنما يترخصون بما رخصه الله

لهم في حال الخوف والقلق، ولذا كانت صلاة الخوف تختلف في صفتها عن صفة الصلاة في حال الأمن، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة].

فلما كذبت قريشٌ رسولَها، وعصتْ أمرَ ربها، ولم يشكروه على ما أنعم به عليهم من نعمةِ الأمن، بدّل أمنهم خوفاً، وأذاقهم لباس الجوع والخوف، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل].

وبينما بدّل الله حال قريش من الأمن إلى الخوف، بدّل حال الطائفة القليلة المؤمنة من الخوف إلى الأمن، وحقق لهم وعده الذي وعدهموه. في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥].

وامتن الله على هذه العصبة المؤمنة بما حباها من نعمة الأمن، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال].

هذه هي نعمة الأمن والأمان، وهذه بعض آثارها، وإن القلب ليتقطع حسراتٍ حين ينظر يميناً وشمالاً في أحوال المجتمعات كلها فيجدها تتخبط

في ظلمات القلق والفزع، والخوف والفوضى والاضطراب، ويسأل بإشفاق: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر].

الجواب: نعم إنه الإيمان، إنه الإسلام وحده[1].

• فبالإيمان نصبحُ إخوةً قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**»[2].

• وبالإيمان نصبح كالجسد الواحد في حساسيته، قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[3].

• وبالإيمان نصبح كالبناء الواحد في قوته، قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً**»، وشبك بين أصابعه[4].

• وبالإيمان تنزلُ علينا البركات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

• وبالإيمان ننتصرُ على أعدائنا، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

---

(١) انظر كتاب «جوامع الكلم» للأخ الفاضل عبدالعظيم بن بدوي حفظه الله (ص٧٩).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

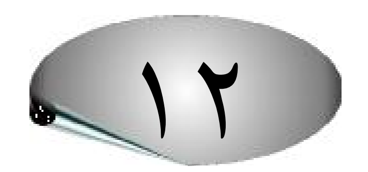
(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٤) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

• وبالإيمان نعيشُ في أمن وأمان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

عباد الله! دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أباه آزر إلى الله -تعالى- وأقام عليه الحجة، ودعا قومه الذين يعبدون الأصنام وأقام عليهم الحجة، ودعا قومه الذين يعبدون الكواكب وأقام عليهم الحجة، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

عباد الله! من الذي سيناظرهُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقيم عليه الحجة بعد ذلك؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.



قصة إبراهيم -عليه السلام- مع النمرود بن كنعان

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزمِ من الرسل. أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة إبراهيم -عليه السلام- مع النمرود بن كنعان.**

عباد الله! وكلامنا عن قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس].

العنصر الثاني: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

العنصر الثالث: الحياة والموت بيد الله وحده.

العنصر الأول: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.

عباد الله! خلق الله الإنسان من ترابٍ، من طينٍ، وجعلَ نسلهُ من سلالةٍ

من ماءٍ مهين، يدبُ هذا الإنسانُ على الأرض وبين جنبيه الأقذار، وإذا مات فهو جيفةٌ منتنةٌ، ومع ذلك ترى فريقاً من الناس إذا أعطاهم الله -عز وجل- صحةً ومالاً وجاهاً بغى وطغى وتكبرَ على عباد الله، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق].

ومن أمثلة هؤلاء:

• صاحب الجنتين في سورة الكهف، قال تعالى في وصفه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧﴾ [الكهف]؛ فانظروا عباد الله! إلى صاحب الجنتين كيف نسيَ نفسه، فتكبر على صاحبه المؤمن، وذكرهُ صاحبهُ المؤمن بأصلهِ بالتراب بالنطفة ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧﴾.

• قارون: قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٦-٧٨]؛ فانظروا عباد الله! إلى قارون كيف بغى على قومه بماله، ونصحهُ قومه فلم ينتصح.

عباد الله! كيف انتقم اللهُ من المتكبرين في الأرض بغير الحق؟ انتقم الله من صاحب الجنتين بأن حرمه جنتيهِ اللتين تكبر بهما على صاحبه.

قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف]، وانتقم الله من قارون الذي تكبر على قومه بماله بأن خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:٨١].

***عباد الله!** وهناك فريقٌ من الناس إذا أعطاهم الله مالاً وجاهاً وصحةً وملكاً بغى وطغى وتكبر على خلق الله، ولم يكتفوا بذلك، بل منهم من ادعى الربوبية والألوهية، وهؤلاء هم أسوأ الخلق ومن أمثلة هؤلاء:

- فرعون الذي قال لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، وقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، وقال لهم: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف].

- النمرود الذي آتاه الله الملك، فقد ملك الدنيا من مشارقها إلى مغاربها، يقال: أنه مكث أربعمائة سنة في ملكه. قال مجاهد: ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعةٌ: مؤمنانِ وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود عليهما السلام، وذو القرنين. والكافران: النمرود بن كنعان وبختنصر[1].

(١) انظر: «ابن كثير» (١/ ٦٢٠).

عباد الله! ومع ذلك تكبر النمرود في الأرض وبغى وطغى وادعى الربوبية لنفسه، ونازع الله في عظمته وسلطانه وكبريائه، فادعى أنه الإله من دون الله.

عباد الله! كيف انتقم الله من هذا الصنف من الناس؟

• أما فرعون فقد أذلهُ الله وأغرقهُ وجعلهُ آيةً لغيره قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

• وأما النمرود فقد أرسل الله إليه وإلى جنوده أفواجاً من البعوضِ حتى أنهم لم يروا الشمس من كثرتها، فأكلت لحومهم، وشربت دماءهم، ولم يبق إلا العظام، ولكن النمرود لم يصيبه شيء من ذلك، وكان الله -عز وجل- قد ادخر له عذاباً من نوع فريد، حيث سلط عليه بعوضةً دخلت في منخره فمكث أربعمائة سنةٍ يُضربُ رأسه بالمطارق وقيل بالنعال، وهي المدةُ نفسها التي طغى فيها وادعى الربوبية، ثم أماته الله شر ميتةً[1]؛ فانظروا عباد الله! إلى هذا الإله الكذاب النمرود، وهو يضربُ على رأسه بالنعال، أرأيتم إلهاً يضرب بالنعال؟ ولكن صدق الله العظيم الذي قال: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج:١٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة].

(١) انظر «تفسير الطبري» (٣/ ٢٥، ٢٦).

عباد الله! وقد دعى الله على هذه النوعية من البشر بالقتل والهلاك، فقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس].

العنصر الثاني: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾.

عباد الله! عاش إبراهيم عليه السلام في زمنٍ عصيبٍ، كان الناس فيه يتقلبون في ظلماتِ الشركِ والجهلِ والضلال، وقد ظهر في زمانه ذلك النمرود بن كنعان، ملكٌ جبارٌ متمردٌ يدعي الربوبية لنفسه، فلما سمع النمرود بدعوة إبراهيم عليه السلام طلب إبراهيمَ عنده ليسأله عن دعوته، فذهب إليه إبراهيم عليه السلام وناظره وأقام عليه الحجة.

عباد الله! والله -عز وجل- في كتابه يخبرنا عن هذه المناظرة، فيقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة].

- يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾، -أي: إلى جراءته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ فطغى وبغى ورأى نفسه مترئساً على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله.
- فقال إبراهيم: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، أي: هو المنفرد بأنواع التصرف،

وخص منه الإحياء والإماتة؛ لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا، والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة.

فقال ذلك المحاج: ﴿أَنَا أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ ولم يقل: أنا الذي أحيي وأميت؛ لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله، ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصاً فيكون قد أماته، ويستبقي شخصاً فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته، ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلاً عن كونه حجة، أطرد معه في الدليل.

• فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ﴾، أي: عياناً يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر ﴿فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقاً في دعواه، فلما قال له أمراً لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحاً يقدح في سبيله؛ ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ -أي: تحير فلم يرجع إليه جواباً، وانقطعت حجته، وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة]، بل يبقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه، ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في

جميع الأحوال[1].

• قال تعالى في وصف الكافرين والضالين الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [غافر].

• فانظروا عباد الله! إلى قوة الحق وضعف الباطل، فإبراهيم عليه السلام وحدهُ، ولكنه على الحق يقيمُ الحجةَ وينتصرُ على النمرود الذي يملك الدنيا من مشرقها إلى مغربها، ولكنه على الباطل؛ (فالحق أبلج والباطلُ لجلج)، قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة].

العنصر الثالث: الحياةُ والموتُ بيد الله وحده

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٦٧ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٦٨﴾ [غافر].

---

(١) انظر: «تفسير الكريم الرحمن» للشيخ السعدي (ص١١١).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر].

عباد الله! وقد أخبرنا الله -عز وجل- في كتابه في أربعةِ مواضع أنه أحيى الموتى في هذه الدنيا.

الموضع الأول: في الآيات التي تلي المناظرة التي كانت بين النمرود وإبراهيم عليه السلام، والتي قال فيها إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، وقال النمرود: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨]، قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة].

الموضع الثاني: في الآية التي تلي هذه الآيات.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! وإبراهيم عليه السلام على علمٍ وإيمان بأن الله هو الذي يحيي ويميت، ولكنه سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى؛ لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين.

الموضع الثالث: قتيلُ بني إسرائيل الذي أمرهم موسى أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧] إلى أن قال رب العزة: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! لما ذبح بنو إسرائيل البقرة بعد أن شددوا على أنفسهم وشدد الله عليهم، قلنا لهم: اضربوا القتيل -الذي اختلفوا فيمن قتله- ببعضها، أي: بعضو منها، فضربوه ببعضها فأحياهُ الله، فأخبر القتيل بقاتله، وكان في إحيائهِ وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى.

الموضع الرابع: الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفُ حذر الموت.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة]، فالله -عز وجل- وحدهُ هو الذي يحيي ويميت، وما فعلهُ النمرود فهو كذبٌ ودجلٌ وعنادٌ ودليلٌ على أنه لا عقل له، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

عباد الله! أما الدروسُ والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصة إبراهيمَ -عليه السلام- مع النمرود؛ فهي كثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: اللهُ -عز وجل- حي لا يموت قيومٌ لا ينام.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ [طه:١١١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الفرقان:٥٨].

فالله -عز وجل- حيٌ لا يموت والإنس والجن يموتون، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص]، وكان الفاروق عمر يتمثلُ بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغنِ عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياح له ... والإنس والجنُ فيما بينها تردُ
أين الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كلِّ أوبٍ إليها وافد يفدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

وقد مات فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، ومات النمرود الذي قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨].

ثانياً: إحياءُ الموتى بعد موتهم دليلٌ على البعثِ بعد الموت

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقد أمر الله رسوله ﷺ في ثلاثةِ مواضعَ من كتابه أن يقسم بالله أن الله يبعث الخلق بعد موتهم:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ:٣].

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس:٥٣].

وأخذ رجلٌ من الكفار عظماً ففتَّتهُ بيده، ثم قال: يا محمد! أيحيى اللهُ هذا بعد ما أرى؟ فقال ﷺ: «**نعم يُميتُكَ اللهُ ثم يحييك، ثم يُدخِلُكَ جهنم**».

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس][1]؛ فالله

(١) أخرجه الطبري (٢٩٢٤٣).

-عز وجل- يبعثُ الخلقَ يوم القيامةِ؛ ليحاسبهم على أعمالهم: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم].

فيا ابن آدم:

مثل وقوفك يوم العرض عرياناً	مستوحشاً قلق الأحشاء حيراناً
والنار تلهب من غيظ ومن حنقٍ	على العصاة ورب العرش غضباناً
اقرأ كتابك يا عبدِ على مهل	فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا؟
لما قرأت ولم تنكر قراءته	إقرار من عرف الأشياء عرفاناً
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبد عصى للنار عطشاناً
المجرمون غداً في النار يلتهبوا	والمؤمنون في دار الخلد سكاناً

ثالثاً: المتصرف في هذا الكون هو اللهُ وحده.

قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر].

عباد الله! والكفارُ يعترفون أن المتصرفَ والمدبر لهذا الكون هو اللهُ وحدهُ، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت].

عباد الله! دعا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه والنمرود، وأقام عليهم جميعاً الحجة ومع ذلك لم يستجبْ له أحدٌ إلا لوطٌ عليه السلام وزوجته سارة، فتركهم وهاجر، إلى أين هاجر إبراهيم عليه السلام؟ وماذا حدث له في هجرته؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.



هجرةُ إبراهيمَ -عليه السلام- إلى بلاد الشام

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظ التي بعنوان **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **هجرةُ إبراهيم -عليه السلام- إلى بلاد الشام**

عباد الله! عندما وجدَ إبراهيم عليه السلام من قومه صدوداً وإعراضاً وعناداً وإصراراً على الكفر خرج مهاجراً بزوجته سارة وابن أخيه لوطٍ عليه السلام إلى الأرض التي بارك الله فيها، وهي بلاد الشام.

قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات].

***عباد الله!** ولنا مع هذه الآيات وقفاتٌ:

الوقفة الأولى: الدينُ أغلى من كل شيءٍ

• فهذا إبراهيم عليه السلام ترك بلدهُ وأهله وأقرباءه وهاجر بدينه مع زوجته سارة وابن أخيه لوطٍ عليه السلام، إلى الأرض المباركة بلاد الشام؛ ليتمكن من عبادة ربه وإقامة دينه، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات].

• وهذا رسولنا ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم هاجروا من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

وقال ﷺ عندما خرج من مكة: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، والله! لولا أني أُخرجت منك، ما خرجت**»[1].

---

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، وصححه الحاكم (٣/ ٧)، وابن حبان (٣٧٠٠)، وانظر: [«المشكاة» (٢٧٢٥)].

عباد الله! ومنْ يهاجر بدينه يقع أجرُهُ على الله:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل].

- أما الذين يفتنون في دينهم بسبب بقائهم بين الكفار وفي بلاد الكفر فقد توعدهم اللهُ بالعذاب الأليم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

وقد حذر النبيُّ ﷺ المسلمين من البقاء بين الكفار في بلاد الكفر، فقال ﷺ: «**أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيمُ بين أظهر المشركين، لا تراءَى نارهما**»[1].

فيجب على المسلم أن يهاجر من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام؛ ليتمكن من عبادة ربه وإقامة دينه، ولا يجوز للمسلم أن يُسافر إلى بلاد الكفر إلا بشروط ثلاثةٍ:

الشرط الأول: أن يكون عندهُ علمٌ يدفع به الشبهات؛ لأن الكفار يُوردون على المسلمين شُبهاً في دينهم وفي رسولهم وفي كتابهم وفي أخلاقهم، في

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (١٦٠٤)، وأبو داود (٢٦٤٥)، وانظر: [«الإرواء» (١٢٠٧)].

كل شيء يُوردون الشبهة؛ ليبقى الإنسان شاكاً متذبذباً ...

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات؛ لأن الإنسان الذي ليس عنده دين إذا ذهب إلى بلاد الكفر انغمس؛ لأنه يجدُ زهرة الدنيا هناك، من خمر وزنى ولِواطٍ وغير ذلك.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك، مثل: أن يكون مريضاً يحتاج إلى السفر إلى بلاد الكفر للاستشفاء، أو يكون محتاجاً إلى علم لا يوجد في بلاد الإسلام متخصِّصٌ فيه؛ فيذهب إلى هناك، أو يكون الإنسان محتاجاً إلى تجارة، يذهب ويتّجرُ ويرجعُ.

المهم أن يكون هناك حاجة، ولهذا أرى أن الذين يسافرون إلى بلد الكفر من أجل السياحة فقط أرى أنهم آثمون، وأن كل قرش يصرفونه لهذا السفر فإنه حرام عليهم، وإضاعة لمالهم، وسيحاسبون عنه يوم القيامة) [(1)].

فإلى الله المشتكى من أناسٍ تركوا بلاد المسلمين، وذهبوا إلى بلاد الكفر، وعاشوا بينهم، وانسلخوا من دينهم؛ من أجل الدنيا الفانية، وخالفوا بذلك أمر ربهم وأمر رسولهم ﷺ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة].

الوقفة الثانية: بلادُ الشامِ بلادٌ مباركةٌ.

عباد الله! هاجر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى البلاد المباركة بلاد الشام، والشام هي

(1) انظر: «شرح رياض الصالحين» لفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين (1/ 87).

أرض فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وجزء من العراق، وهذه أرض مباركة قد بارك الله فيها في كتابه الكريم في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء].

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء:٨١].

قال ابن جرير الطبري: الأرض التي باركنا فيها، يعني الشام.

عباد الله! وجاءت الأحاديث النبوية الكثيرة تُخبر عن فضائل الشام.

- يقول ﷺ: «**طوبى لأهل الشام، طوبى لأهل الشام، طوبى لأهل الشام**»، قالوا: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال ﷺ: «**تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام**»(١).
- وقال ﷺ: «**ستُجندون أجناداً، جندٌ بالشام، وجندٌ بالعراق، وجندٌ باليمن**» فقام رجلٌ فقال: خر لي يا رسول الله! فقال: «**عليكم بالشام...؛ فإن الله -عز وجل- قد تكفل لي بالشام وأهله**».

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٣٩٥٤)، وأحمد (٥/ ١٨٤)، وصححه الحاكم (٢/ ٢٢٩)، وانظر: [«الصحيحة» (٥٠٣)].

قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يُحدث بهذا الحديث. ويقول: (ومن تكفل الله به فلا ضيعه عليه)[1].

• وقال ﷺ: «**إني رأيت عمودَ الكتاب، انتزع من تحت وسادتي فنظرتُ فإذا هو نورٌ ساطعٌ عُمدَ به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام**»[2].

• وقال ﷺ: «**إذا فسد أهل الشام فلا خيرَ فيكم، لا تزالُ طائفةٌ من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»[3].

الوقفة الثالثة: مَنْ تركَ شيئاً لله عوضهُ الله خيراً منه

عباد الله! لما هجرَ إبراهيم عليه السلام قومه في الله، وهاجر من بين أظهرهم، وترك بلادهُ وأهله وأقرباءه.

أولاً: أبدله الله أرضاً خيراً من أرضه، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء].

ثانياً: أبدلهُ الله أهلاً خيراً من أهله، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (٢١٢٤)، وأحمد (٥/ ٣٣)، وصححه الحاكم (٤/ ٥١٠)، وابن حبان (٧٢٦٢)، و«فضائل الشام» (٢).

(٢) **صحيح**، صححه الحاكم (٤/ ٥٠٩)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٩٢)].

(٣) **صحيح**، رواه أحمد (٣/ ٤٣٦)، والترمذي (٢١٩٢)، وصححه ابن حبان (٧٢٥٩)، وانظر: [«الصحيحة» (٤٠٣)].

ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات].

ثالثاً: آتاهُ اللهُ أجرهُ في الدنيا والآخرة، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت].

***عباد الله!** مكث إبراهيم عليه السلام وزوجتهُ سارة في بلاد الشام إلى ما شاء الله، ثم ارتحلوا إلى بلاد مصر؛ بسبب قحطٍ نزل ببلاد الشام، وهناك تعرض إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة لحادثٍ كان محنةً أعقبتها منحةٌ وتظهر المحنة والمنحةُ من الأحاديث التالية:

• عن أبي هريرة قال: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات[1]: اثنتان في الله؛ قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾[2] [الصافات]، وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[3] [الأنبياء:٦٣]. وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبارٍ من الجبابرة؛ فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس؛ فأرسل إليه وسأله عنها؛ فقال: من هذه؟ قال: أختي[4]. فأتى سارة؛ فقال: يا سارة!

(١) ليس الكذبُ هنا على حقيقته بل هو من باب المعاريض، وهذا جائزٌ عند الحاجة.

(٢) [إني سقيم] -أي: مريض القلب من كفركم-.

(٣) [بل فعلهُ كبيرهم هذا] -أي: على زعمهم الفاسد أنهم آلهة.

(٤) (أختي) -أي: أنها أخته في الإسلام.

ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني؛ فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني!

فأرسل إليها، فلما دخلت عليه؛ ذهب يتناولها بيده؛ فأُخِذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت الله، فأطلق، ثم تناولها الثانية؛ فأخذ مثلها أو أشد؛ فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت، فأطلق. فدعا بعض حجبته؛ فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، وإنما أتيتموني بشيطان! فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي؛ فأومأ بيده: مَهْيَمْ؟[1] فقالت: رد الله كيد الكفار -أو الفاجر- في نحره، وأخدم هاجر.

قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء[2].

• عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يكذِبْ إبراهيمُ إلا ثلاث كذبات:**

قوله: حين دُعِيَ إلى آلهتهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات]، **وقوله:** ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣].

وقوله لسارة إنها أختي».

---

(١) «مهيم» أي: ما الخبر.

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١)، «فتلك أمكم يا بني ماء السماء». قال ابن حبان في صحيحه (٥٧٠٧): كل من كان من ولد هاجر، يقال له: ولد ماء السماء؛ لأن من هاجر وقد ربي بماء زمزم وماء السماء الذي أكرم الله به إسماعيل. انظر: [«فتح الباري» (٦/ ٤٧٦)].

قال: «ودخل إبراهيم قريةً، فيها مَلِكٌ من الملوك أو -جبارٌ من الجبابرة- فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأةٍ من أحسنِ الناسِ، قال: فأرسل إليه الملِكُ -أو الجبارُ-: من هذه معك؟ قال: أختي. قال: أرسِلْ بها، قال: فأرسل بها إليه، وقال لها: لا تُكذِّبي قولي، فإني قد أخبرتُه أنك أختي، إن ما على الأرض مؤمنٌ غيري وغيُرك، قال: فلما دخلت إليه، قام إليها، قال: فأقبلت تَوضّأُ وتُصلي، وتقول: اللهم إن كنت تعلمُ أني آمنت بك وبرسولك، وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي، فلا تُسلط عليّ الكافر.

قال: فغُطّ حتى ركض برجله. قال أبو الزناد: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: إنها قالت: اللهم إنه إن يمُتْ، يُقَل: هي قتلتْهُ- قال: فأُرسل، ثم قام إليها، فقامت توضأ وتُصلي، وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنتُ بك وبرسولك، وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي، فلا تُسلط عليّ الكافر.

قال: فغُطَّ حتى ركض برجله -قال أبو الزناد، قال أبو سلمة: عن أبي هريرة: إنها قالت: اللهم إنه إن يمُتْ، يُقَالْ: هي قَتلته- قال: فأرسل، فقال في الثالثة، أو الرابعة: ما أرسلْتُم إليّ إلا شيطاناً ارجعوها إلى إبراهيم، وأعطُوها هاجر.

قال: فرجعتْ، فقالت لإبراهيم: أشعرْت أن الله تعالى ردّ كيد الكافر، وأخدَم وليدةً؟!»[1].

---

(١) **صحيح**، أخرجه البخاري (٢٢١٧)، وهذا اللفظ لأحمد (٢/ ٤٠٤).

***عباد الله! في هذه الحادثة التي وقعت لإبراهيم -عليه السلام- وزوجته سارة فوائدة كثيرةٌ، منها:**

الفائدة الأولى: «احفظ الله يحفظك».

عباد الله! «احفظ الله»، يعني: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامرهً ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامرهُ بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوزها.

«يحفظك» يعني أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

- **وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:**

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله.

النوع الثاني: من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان.

عباد الله!

- وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام، فقد حَفِظَ الله فحفظه الله عندما أُلقي في النار، وحفظه عندما حاول الظالم أن يعتدي على زوجته.
- وهذا ما فعله يوسف عليه السلام فقد حفظ الله في بيت امرأة العزيز، وحفظ

الله في السجن، وحفظ الله في رئاسته، فحفظه الله فنجاهُ من فتنة امرأة العزيز، ونجاه من السجن، فأخرجه منه ومكنه في الأرض.

- وهذا ما فعله يونس عليه السلام فقد حفظ الله قبل أن يبتلعه الحوت، وحفظ الله في بطن الحوت، فحفظه الله ونجاه من الغم.

- وهذا ما فعله رسول الله ﷺ فقد حَفِظَ الله في كل حياته، فحفظه الله وهو في الغار، فقال ﷺ لأبي بكر: «**لا تحزن إن الله معنا**».

- وهذا ما فعلته سارة فقد حفظت الله، فحفظها الله من هذا الجبار الظالم. فعندما أراد الظالم أن يعتدي عليها قالت: «اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تُسلّط عليّ الكافر». فاستجاب الله لها، وحفظها من هذا الظالم، فخلى سبيلها وأخدمها هاجر.

- وهكذا يا عباد الله! المرأةُ إذا حفظت فرجها وحافظت على شرفها، يحفظها الله، ويرفعُ شأنها في الدنيا والآخرة.

- فهذه سارة مع أن الظالم لم يحصل على ما أراد منها ورأى منها، الصلاح من وضوءٍ وصلاةٍ ودعاءٍ فعظمت في نظره فأخدمها هاجر.

- وهذه المرأة التي قالت لابن عمّها: «اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه»؛ فعظمت في نظره، فتاب إلى الله؛ بسبب حفظها لفرجها، فلم يزن بها،

وترك لها المال الذي أعطاها، وتركها وهي أحب الناس إليه[1].

عباد الله! هذا في الدنيا أما في الآخرة يقول ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»[2].

ولذلك قال ﷺ في وصيته: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**»[3]، وفي رواية: «**احفظ الله تجده أمامك**».

وكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً**»[4].

فيا أمة الإسلام! احفظوا الله بإقامة دينه في أنفسكم وفي حياتكم، يحفظكم الله من كل سوءٍ، وينصركم على أعدائكم، ويخرجكم من الدنيا على الإيمان، ويدخلكم في الآخرة الجنة.

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٢١٥)، ومسم (٢٧٤٣).

(٢) **حسن**، رواه أحمد (١/ ١٩١)، وصححه ابن حبان (٤١٦٣)، وانظر: [«صحيح الترغيب» (١٩٣٢)].

(٣) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٥١٦) وقال: **حسن صحيح**، و[صححه الألباني في «المشكاة» (٥٣٠٢)، وظلال الجنة (٣١٥)]، والرواية لأحمد (١/ ٣٠٧) والضياء في «المختارة»، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٤١-٥٤٢) وقال: حديث كبير عال، وصححه أيضاً الألباني في [«الصحيحة» (٢٣٨٢) من حديث ابن عباس، وشاهده الأخير من حديث أنس].

(٤) **ضعيف**، رواه الحاكم (١/ ٥٢٥)، وابن حبان (٩٣٠)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٠٠٣) وهو آخر أقواله، وقارن مع «الصحيحة» (١٥٤٠)، وسيأتي (ص٢٣٧).

الفائدة الثانية: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

عباد الله! فهذا إبراهيم عليه السلام عندما أراد الظالمُ أن يعتدي على زوجته سارة فزع إلى ربه بالصلاة، يدعو ربه، وفزعت سارة إلى الصلاة تدعو ربها أن يحفظها من هذا الكافر الظالم الجبار، فاستجاب الله لهما وحفظ إبراهيم عليه السلام وزوجته من شرِ هذا الظالم.

كيف لا؟ والله عز وجل- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)﴾ [البقرة].

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)﴾ [البقرة].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة يقول حذيفة رضي الله عنه: كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبَهُ أمرٌ صلّى[1].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- في غزوة بدرٍ الكبرى: يقول علي رضي الله عنه: (لقد رأيتُنا يوم بدرٍ وما منا إلا نائم، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يصلي إلى شجرة، ويدعو حتى أصبح..)[2].

٢- في غزوة الأحزاب: يقول حذيفة رضي الله عنه: (لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق -أي: يوم الأحزاب- فقام صلى الله عليه وسلم فصلى هوياً من

(١) **حسن**، رواه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، وانظر: [«صحيح سنن أبي داود» (١١٩٢)].
(٢) **صحيح**، رواه أحمد (١/ ١٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٥)، وصححه ابن حبان (٢٢٥٤)، وابن خزيمة (٨٩٩)، وانظر: [«صحيح الترغيب» (٥٤٥)].

الليل، ثم قال: «**مَنْ يأتنا بخبر القوم -أي العدو- أشترطُ له الرجعة، وأضمنْ له الجنة**».

قال حذيفة: فما قام أحدٌ من شدة الجوع والبرد والريح. قال حذيفة: فصلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل، ثم التفت إلينا، وقال: «**من يأتنا بخبر القوم؟ أشترط له الرجعة وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة**». قال حذيفة: فلم يقم أحد من شدة الخوف والجوع والبرد. يقول حذيفة: فلما لم يقمْ أحدٌ، قال رسول الله ﷺ: «**قم يا حذيفة**»[1].

٣- لما كُسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فزع إلى الصلاة، فصلى بالناس، ثم وعظهم، فقال ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى تنكشف**»[2]، وفي لفظ للبخاري: «**حتى تنجلي**».

وقال ﷺ: «**هذه الآيات التي يرسلُ الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره**»[3].

فيا أمة الإسلام! إذا نزل بكم كربٌ أو شدةٌ، أو بلاءٌ أو كادَ ومكر بك

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٧٨٨).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (١٠٤٣)، ومسلم (٩١٥).

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (١٠٥٩)،ومسلم (٩١٢).

أعداءُ الإسلام ففزعوا إلى الله بالصلاة المشروعة، ولا تفزعوا إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة].

الفائدة الثالثة: المؤمن في هذه الدنيا مبتلى.

عباد الله! يبتلي ربنا -جل وعلا- عباده المؤمنين في هذه الدنيا؛ ليرفع درجاتهم، والابتلاء يكون على قدر الدين.

قال ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثلُ، فالأمثلُ يُبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينهُ اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبُه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة**»[1]، وقال ﷺ: «**إن عِظَم الجزاءِ مع عِظَمَ البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم. فمن رضِيَ فله الرضا، ومن سخط فله السُخط**»[2].

- فهذا إبراهيم عليه السلام الذي نحن في صدد الحديث عنه يضرب لنا أروع الأمثلة في الصبر على الابتلاء:

أولاً: ابتُلي بوالدٍ كافر، ومن أكبر الابتلاء أن يبتلى الرجل بوالدٍ كافر.

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي (٧٤٨١)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وصححه ابن حبان (٢٩٠٩)، والحاكم (١/ ٤٠)، وانظر: [«الصحيحة» (١٤٣)].

(٢) **حسن**، رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وانظر: [«الصحيحة» (١٤٦)].

يأمره بالكفر، وينهاه عن الدين والإسلام، ومع ذلك صبر إبراهيم عليه السلام على هذا الابتلاء ودعا أباه إلى عقيدة التوحيد، وصبر على أذى والده له، حين قال له: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم]، تهديد له بالرجم والطرد ومع ذلك صبر على الابتلاء.

ثانياً: ابتُلي إبراهيم عليه السلام بقوم كفار يعبدون الأصنام والنجوم والكواكب بالليل والنهار، ومع ذلك صبر على دعوتهم إلى عقيدة التوحيد، وصبر على أذاهم.

ثالثاً: ابتلي إبراهيم عليه السلام بالإلقاء في النار التي أجّجها له الظالمون؛ أوقدوا له ناراً حامية وألقوه فيها، ومع ذلك صبر على هذا الابتلاء وقال: «حسبي الله ونعم الوكيل».

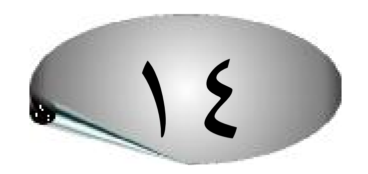
رابعاً: ابتُلي إبراهيم عليه السلام بالهجرة من الوطن والأهل، ومع ذلك صبر واحتسب ابتغاء مرضاة الله.

خامساً: وابتلي إبراهيم عليه السلام بهذا الظالم الذي حاول أن يعتدي على زوجته سارة، ولكن الله حفظه وحفظ زوجته.

• وهذا أيوب عليه السلام ابتُلي بمرض طال فيه عناؤه، وابتلي بفقد المال والولد فصبر أيوب عليه السلام صبراً جميلاً على الابتلاء، حتى إن الله -عز وجل- قال فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

• وهذا يوسف عليه السلام ابتُلي بإخوته الذين ألقوه في غيابة الجب؛ يريدون أن يتخلصوا منه، وابتلي بامرأة العزيز التي راودته عن نفسه، وابتُلي بالسجن بضع سنين، ومع ذلك صبر على الابتلاء صبراً جميلاً حتى أن الله -عز وجل- قال فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف].

عباد الله! رجع إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة ومعهم هاجر من بلاد مصر إلى بلاد الشام، فماذا حدث لإبراهيم عليه السلام بعد ذلك؟ هل تزوج من هاجر؟ وهل رزقه الله منها أولاداً؟ وماذا حدث معه ومع هاجر وابنها؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.



هجرةُ إبراهيمَ -عليه السلام-
إلى مكةَ وبناءَ البيتِ العتيق

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **هجرة إبراهيم -عليه السلام- إلى مكة وبناءُ البيت العتيق**.

عباد الله! رجع إبراهيم -عليه السلام- بزوجته سارة ومعها هديتها هاجر، من بلاد مصر إلى بلاد الشام مرةً ثانيةً، وفرحت سارة بهاجر، وأحبتها حباً شديداً، ووهبتها لإبراهيم عليه السلام، فولدت له إسماعيل عليه السلام. ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يخرج بهاجر وولدها إلى مكة، ويتركها هناك؛ ليُعَمِرَ بهما هذا الوادي المبارك، فامتثل إبراهيم عليه السلام لأمر ربه وخرج بهما إلى هناك حيث لا ماء ولا زرع.

عباد الله! تعالَوا بنا لنستمع إلى عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما وهو يخبرنا الخبر.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أولُ ما اتخذ النساءُ المِنْطقَ من قِبَل أمّ إسماعيل اتّخذت مِنطِقاً؛ لتُعفِّيَ أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل -وهي تُرضعه- حتى وضعها عند البيتِ عند دوحةٍ فوق زمزم من أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماءٌ فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمرٌ، وسِقاءٌ فيه ماءٌ، ثم قفّى إبراهيم مُنطلقاً، فتبِعته أمّ إسماعيل فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء؟ فقالت له ذلك مِراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لن يُضيّعنا، ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثّنيةِ حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم].

وجعلت أمّ إسماعيل تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السّقاء عطِشت وعطِش ابنُها، وجعلت تَنظر إليه يتلوّى -أو قال: يتَلبّط- فانطلقت كراهيةَ أن تنظر إليه، فوجدت الصّفا أقربَ جبلٍ في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظرُ هل ترى أحداً، فلم

ترَ أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعتْ طرف درعها، ثم سعت سعيَ المجهودِ حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروةِ فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً؛ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبعَ مراتٍ.

قال ابنُ عباسٍ: قال النبي ﷺ: «**فذلك سعيُ الناس بينهما**».

• فلما أشرفت على المروةِ سمعت صوتاً فقالت: صَهٍ -تريدُ نفسَها- ثم تسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غِواث، فإذا هيَ بالملكِ عند موضعِ زَمزم، فبحث بعقبهِ -أو قال بجناحِهِ- حتى ظهر الماءُ، فجعلت تحُوضهُ وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرِفُ منَ الماءِ في سِقائها وهوَ يفوزُ بعدَ ما تغرِفُ.

قال ابن عباس قال النبي ﷺ: «**يَرحَمُ اللهُ أمَّ إسماعيل لو تركَت زمزمَ -أو قال: لو لم تغرف من الماء- لكانت زمزمُ عيناً معيناً. قال فشربت وأرضعتْ ولدَهَا، فقال لها الملكُ: لا تخافوا الضَّيْعَةِ، فإنَّ ها هنا بيتَ الله، يبني هذا الغلامُ وأبوهُ، وإنَّ الله لا يضيع أهله**».

• وكان البيتُ مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيولُ فتأخذُ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرَّت بهم رُفقة من جُرهُمِ -أو أهلُ بيتٍ من جُرهُم- مُقبِلينَ من طريق كداء، فنزَلوا في أسفل مكةَ، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إنَّ هذا الطائر ليَدورُ على الماء، تعهدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسَلوا جَرِيّاً أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا

فأخبروهم بالماء، فأقبلوا -قال: وأمَّ إسماعيل عند الماء- فقالوا: أتأذَنِينَ لنا أن ننزِل عندَكِ؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ فألفى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تحبُ الإنسَ، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهلِيهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهلُ أبياتٍ منهم، وشبَّ الغُلامُ وتعلَّمَ العربيةَ منهم، وأنفَسَهُم وأعجبتهم حينَ شَبَّ، فلما أدركَ زوَّجوهُ امرأةً منهم. وماتت أمُّ إسماعيل.

• فجاء إبراهيمُ بعدَ ما تزوَّجَ إسماعيل يُطالِعُ تَرِكتَهُ، فلم يجدْ إسماعيل، فسألَ امرأتَهُ عنه فقالت: خرجَ يبتغي لنا، ثم سألها عن عَيشِهم وهيئَتِهم، فقالت: نحنُ بشَرٍّ نحنُ في ضيقٍ وشدَّة. فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجُكِ فاقرئي عليه السلام، وقولي لهُ: يُغيِّرْ عتبة بابه. فلما جاء إسماعيلُ كأنهُ آنسَ شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟

قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عَيشُنا، فأخبرتُه أنا في جَهدٍ وشِدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول:غَيِّرْ عتبةَ بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقَكِ، إلحقي بأهلِكِ، فطلَّقها.

• وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيمُ ما شاء الله، ثم أتاهم بعدُ فلم يجده، فدخلَ على امرأته فسألها عنه فقالت: خرجَ يبتغي لنا.

قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشِهم وهيئتِهم. فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنَتْ على الله. فقال: ما طعامُكم؟ قالت: اللحُم، قال: فما شرابُكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم الماء.

قال النبي ﷺ: «**ولم يكن لهم يومئذٍ صَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو عليهما أحدٌ بغير مكةَ إلا لم يُوافِقاهُ. قال: فإذا جاء زوجُكِ فاقرئي عليه السلام، ومُرِيهِ يُثبتْ عتبة بابه. فلما جاء إسماعيلُ قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخٌ حسنُ الهيئة-وأثنت عليه- فسألني عنك فأخبرتهُ، فسألني كيف عيشُنا فأخبرتهُ أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمُرُكَ أن تُثبتَ عتبة بابِك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أُمسككِ**».

• ثم لَبِثَ عنهم ما شاءَ الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يَبري نَبْلاً له تحت دَوحةٍ قريباً منَ زَمزَمَ، فلما رآهُ قام إليه فصنَعا كما يَصنَعُ الوالدُ بالولد والوَلَدُ بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمَرَكَ ربّك. قال: وتُعينُني؟ قال: وأُعِينُك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً -وأشار إلى أكمة مرتفعةٍ على ما حولها- قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيمُ يبني، حتى إذا ارتفع البناءُ جاء بهذا الحجَرِ فوضعَهُ لهُ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيلُ يناوِلهُ الحجارة، وهما

يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]. قال: فجعلا يبنيانِ حتى يدُورا حولَ البيت، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾][(١)].

***أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من هجرة إبراهيم -عليه السلام- بزوجته هاجر وابنها إلى مكةَ، فهي كثيرةٌ جداً، منها:**

أولاً: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

عباد الله! من توكل الله فهو حسبُه. أي: كافيه.

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

ويُفسِرهُ أن الخليلين إبراهيمَ ومحمداً -عليهما الصلاة والسلام- عُوديا من قِبلِ أُناسٍ لا طاقة لهما بهم، فتوكلا على الله فكفاهما اللهُ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]. قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلقِيَ في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران][(٢)].

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٤٥٦٣).

عباد الله! فمن توكل على الله كفاهُ، ومن توكل على غيره خذلهُ.

قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

أتدرون لما يا عباد الله؟ لأنَّ الأمورَ كُلَّها بيدِ الله وحده.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود].

* ولذلك أمر اللهُ عبادهُ المؤمنين أن يتوكلوا عليه وحده.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء].

عباد الله! والتوكلُ على اللهِ وحدهُ لهُ ثمراتٌ في الدنيا والآخرة، منها:

١- من توكل على الله أحبهُ الله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

٢- من توكل على الله عصمهُ اللهُ من الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء].

عن أنس بن مالكٍ أن النبي ﷺ قال: «**إذا خرجَ الرجُلُ من بيتِهِ، فقال: بسمِ اللهِ، توكلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يُقال حينئذٍ: هَدِيتَ وكُفِيتَ ووقيتَ وتنحَّى عنه الشيطانُ، فيقول له شيطانٌ آخر: كيف لك برجُلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووقِيَ**»[1].

٣- من توكل على الله أدخلهُ اللهُ الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، قال ﷺ: «**عرضت علي الأمم، ... فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبهون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ثم نهضَ فدخلَ منزلهُ، فخاض الناسُ في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، فقال بعضهم: فلعلهمُ الذين صَحِبُوا رسولَ الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**» فأخَبَروهُ، فقال: «**هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»[2].

٤- من توكل على الله حق توكله رزقه كما يرزق الطيرَ، قال ﷺ: «**لو**

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩١٧)، وانظر: [«صحيح الترغيب» (١٦٠٥)].

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

أنكم تتوكلون على الله حقّ توكله لرُزقتم كما يُرزَقُ الطيرُ تغدو خِماصاً وتروحُ بطاناً»[1].

عباد الله! وها هي أمُّ إسماعيلَ تضربُ لنا أروعَ الأمثلةِ في التوكل على الله، عندما وضعها إبراهيم عليه السلام عند البيت الحرام في وادٍ غير ذي زرعٍ، وتركها ورجع، تبعته فقالت له: يا إبراهيمُ! أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيسٌ ولا شيء؟ فقالت له: ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: «إذن لا يضيعنا».

وفي روايةٍ: قالت: «حسبي»، وفي روايةٍ قالت: «رضيت بالله». فجعل الله لها مخرجاً ورزقها وابنها وهي في هذا المكان فناداها جبريل عليه السلام فقال: من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم، قال: فإلى من وكلكما؟ قالت: إلى الله. قال: وكلكما إلى كافٍ»[2].

عباد الله! وضرب جبريلُ الأرضَ بجناحهِ، فنبع الماءُ بإذن الله، وقال جبريلُ لها: «لا تخاف الضيعة، فإن هاهنا بيت الله، بنيه هذا الغلامُ وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله».

فمن الذي حفظ أمّ إسماعيل وابنها في هذا المكان الذي لا إنس فيه ولا

---

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٠)، وصححه الحاكم (٤/ ٣١٨)، وابن حبان (٧٢٨)، وانظر: [«الصحيحة» (٣١٠)].

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٤٨٦).

شيء؟ إنه الله، فمن الذي أرسل جبريل وأمرهُ أن يضرب الأرض بجناحهِ فيخرج الماءُ من الأرض؟ إنه الله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

ثانياً: الأخذ بالأسباب من ديننا.

عباد الله! التوكلُ على الله لا ينافي الأخذَ بالأسباب؛ فكلاهما واجبٌ، فالأخذ بالأسباب واجب، والتوكل على الله واجب.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات].

ثم أمر بالسعي على الرزق، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة].

وأخبر سبحانه أن النصر من عنده، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران].

ثم أمر بأخذ الأسباب، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال].

فالأخذُ بالأسباب لا يُنافي التوكل، وإنما المرادُ من التوكل بعد الأخذ بالأسباب عدم الالتفات إليها والاعتماد عليها، فمن اعتمد على شيء وُكل

إليه. ولذلك لما قال القائل يوم حنين: لن نُغلب اليوم من قلّة، لم تُغن عنهم كثرتهم، وتسلط عليهم عدوهم، فولوا الأدبار، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت، ولما ضعفت قوتهُم وعجزت حيلتُهم يوم بدر أحسنوا التوكل على الله فنصرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران][1].

وها هي أمُّ إسماعيل توكلت على الله وأخذت بالأسباب؛ فبحثت عن الماء هنا وهناك؛ تصعدُ على الصفا وتنظر ثم تسعى بين الصفا والمروة، وهذا كله منها أخذٌ بالأسباب.

ثالثاً: الدعاءُ يستجابُ بعد الطاعة والعمل الصالح

وهذا يؤخذُ من دعاءِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١- استجاب إبراهيم لأمر ربه أولاً فوضع زوجتهُ هاجر وابنها في المكان الذي أمرهُ الله به. وبعد أن نفذ إبراهيم أمر ربه رفع يديه إلى الله بالدعاءِ فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم].

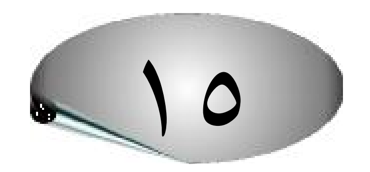
٢- عندما أمر الله أن يبني البيت الحرام قام بتنفيذ أمر الله أولاً ثم دعا هو وإسماعيل -عليهما السلام-

(١) انظر كتاب «أحباب الله» (ص٧٤) لأخي وشيخي الفاضل الدكتور عبدالعظيم بدوي -حفظه الله.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة].

عباد الله! استجاب إبراهيم عليه السلام لأمر ربه ثم دعا فاستجاب الله له. فمن أراد أن يستجيب الله له فليقدم عملاً صالحاً بين يديَ دعائه.

عباد الله! ما هو الابتلاء الذي سيتعرض له إبراهيم عليه السلام بعد ذلك؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.



(الذبيح إسماعيل -عليه السلام-)

قصة ابتلاء أخرى مع إبراهيم -عليه السلام-

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزمِ من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة إبراهيم -عليه السلام- في بلائه المبين**

عباد الله! يقول ﷺ: «**أشدُ الناسِ بلاءً الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الناسُ على قدرِ دينهم، فمن ثخن دينه اشتدّ بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعُفَ بلاؤهُ، وإنّ الرجل ليصيبه البلاءُ حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة**»[1].

(١) **صحيح**، سبق تخريجه (ص١٨٩).

فها هو إبراهيم عليه السلام إمامُ الموحدينَ وخليلُ ربّ العالمين يضربُ لنا أروعَ الأمثلة في الصبر على البلاء.

• أمر بأن يأخذَ ولدهُ إسماعيل وأمهُ ويَضَعُهُما في وادٍ غير ذي زرعٍ ليس به حسيسٌ ولا أنيسٌ، فامتثل أمر الله في ذلك، وتركهما هناك ثقةً بالله وتوكلاً عليه، فجعل الله لهما فرجاً ومخرجاً، ورزقهما من حيث لا يحتسب.

• ثم أمر الله إبراهيمَ عليه السلام بعد ذلك أن يذبحَ ولده إسماعيل عليه السلام بِكْرَهُ ووحيدَهُ الذي ليس له غيرُهُ، والذي جاءهُ بعد الثمانين من عمره، فامتثل إبراهيم لأمر ربه، وكان هذا بلاءً مبيناً كما وصفه الله -عز وجل- فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الصافات].

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى قصةِ ذبح إبراهيم الحليمَ لولده إسماعيل الحليم-عليهما السلام- كما أخبرنا ربنا-عز وجل- عنها في كتابه في سورة الصافات. يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات].

عباد الله! ولنا مع هذه الآيات وقفاتٌ:

الوقفةُ الأولى: طلبُ الذرية الصالحة موضعُ اهتمام الأنبياء والصالحين

يخبرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه أن الأنبياء وعباد الله الصالحين يسألونه أن يرزقهم الذرية الصالحة.

- فهذا إبراهيم عليه السلام لما هاجر من بلاد قومه يسأل ربهُ أن يهب لهُ ولداً صالحاً، فاستجاب الله له ورزقه غلاماً حليماً وهو إسماعيل عليه السلام قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ [الصافات].
- وهذا زكريا عليه السلام دعا ربه أن يرزقه الذرية الطيبة قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)﴾ [آل عمران].
- وها هم عباد الرحمن يسألون الله الذرية الصالحة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)﴾ [الفرقان] إلى أن قال رب العزة في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾ [الفرقان].
- عباد الله! فالأنبياء: والصالحون يسألون الله الذرية الصالحة ولم يكتفوا بذلك بل سألوا الله أن يُصلح ذريتهم وأن يجعلهم من المسلمين.
- فهذا إبراهيم عليه السلام يقول في دعائه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾ [البقرة].

وقال أيضاً: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم].

وقال إبراهيم عليه السلام أيضاً: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

* أتدرون لما يا عباد الله؟

١ – لأنّ الولدَ إذا ماتَ صغيراً ينفعُ أبويه يومَ القيامة.

قال ﷺ: «**ما من مسلِمَيْن يموتُ لهما ثلاثةٌ أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، فيقال لهم: أدخلوا الجنة، فيقولون حتى يدخل آباؤنا، فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**»[1].

٢– لأن الولد الصالحَ تقرُّ عين والديه به، ويدعو لهما.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

٣– لأن الولد الصالح ينفعُ أبويه بعد موتهما.

قال ﷺ: «**إذا مات الإنسانُ انقطع عملُهُ إلا من ثلاث؛ صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[2].

---

(١) **صحيح**، رواه النسائي (١٨٧٦)، والبيهقي (٤/ ٦٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه، [قال الألباني في «أحكام الجنائز» (٢٣): سنده صحيح على شرط الشيخين]، وأصله في البخاري (١٠٢)، ومسلم (٢٦٣٢).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (١٦٣١).

وقال ﷺ: «**من قرأ القرآن وتعلّمه وعَمِلَ به؛ ألبسَ والداه يوم القيامة تاجاً من نورٍ، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلتان لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**»[1].

الوقفةُ الثانية: بلاءٌ مبين يعقُبهُ فرجٌ من رب العالمين.

عباد الله! لما هاجرَ إبراهيم عليه السلام وترك بلدهُ وقومهُ لأنهم لم يستجيبوا له سأل ربَّهُ أن يرزقهُ ذريةً صالحةً.

• قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات].

وهذا الغلام الحليمُ هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أولُ ولدٍ بُشّرَ به إبراهيم عليه السلام وهو أكبرُ من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب.

• قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصافات:١٠٢] أي:كَبرَ وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معهُ. وقد كان إبراهيم عليه السلام يذهب في كل وقتٍ يتفقّدُ ولدهُ وأمّ ولدهِ بالوادي الذي لا إنس فيه ولا شيء عند بيت الله الحرام وينظرُ في أمرهما، وقد ذُكِرَ أنه كان يركبُ على البراق سريعاً إلى هناك[2].

---

(١) **صحيح**، رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٨)، وقال صحيح على شرط مسلم، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٩٢٦) من حديث بريدة بن الحصيب، وانظر: [«الصحيحة» (٢٨٢٩)].

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٥١).

• قوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات:١٠٢].

عباد الله! «ورؤيا الأنبياء، وحيٌ»[1] وإنما أعلم إبراهيم عليه السلام ابنهُ بذلك ليكون أهونَ عليه، وليَخْتبرَ صبرهُ وجَلَدَهُ وعَزْمَهُ من صغرهِ على طاعة الله وطاعة أبيه.

• قوله: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات:١٠٢] أي: اقض لما أمركَ اللهُ من ذبحي ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات] أي: سأصبرُ واحتسب ذلك عند الله -عز وجل- وصدق إسماعيل عليه السلام فيما وعد. ولهذا قال تعالى في وصفه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم].

• قولهُ: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصافات] أي: استسلما وانقاداً، إبراهيم امتثل أمر اللهِ، وإسماعيل طاعةَ اللهِ وأبيه، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ أي: صرعهُ على وجهه ليذبَحُه من قفاهُ، ولا يُشاهِدَ وجَهَهُ عند ذبحه، ليكون أهون عليه.

يقولُ ابن عباس رضي الله عنهما: «لما أُمِرَ إبراهيم عليه السلام بالمناسكِ عَرَضَ لهُ الشيطانُ عند السّعيِ، فسابقه فسبقَهُ إبراهيمُ، ثم ذهب به جبريل عليه السلام إلى جمرةِ العقبةِ، فعرض له الشيطانُ، فرماهُ بسبعِ حصياتٍ حتى ذهب، ثم

(١) **صحيح**، رواه البخاري (١٣٨)، وأصله عند مسلم (٧٦٣).

عرض له عند الجمرة الوسطى فرماهُ بسبع حصياتٍ، وثمّ تلّه للجبين، وعلى إسماعيل عليه السلام قميصٌ أبيضُ، فقال له: يا أبت! إنهُ ليس لي ثوبٌ تُكفّنُني فيه غيرهُ فاخلعهُ حتى تُكفنني فيه، فعالجه ليخلعهُ، فنوديّ من خلفه: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصافات] فالتفت إبراهيمُ، فإذا هو بكبشٍ أبيض أقرن أعينَ...»[1] ولذلك قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: الشيطانُ ترجمون، وملة أبيكم تتبعون»[2].

• قولهُ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ [الصافات:١٠٤-١٠٥] أي: قد حصلَ المقصودُ من رؤياكَ بإضجاعِكَ وَلدَكَ للذَّبحِ.

• قوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصافات] أي: هكذا نصرفُ عمَّن أطاعنا المكارهَ والشدائدَ، ونجعلُ لهم من أمرهم فَرَجاً ومَخرجاً.

كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق].

• قولهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ [الصافات] أي: الاختبارُ الواضحُ الجليُّ، حيثُ أُمِرَ بذبح ولدهِ، فسارعَ إلى ذلك مستسلماً لأمرِ اللهِ، منقاداً لطاعتِهِ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ [النجم].

(١) ، رواه أحمد (١/ ٢٩٧)، والبيهقي (٥/ ١٥٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٢٨)، وانظر [«صحيح الترغيب» (١١٥٦)].

(٢) ، رواه البيهقي في «السنن» (٥/ ١٥٣)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، وصححه على شرط الشيخين، انظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١١٥٦)].

• قولهُ: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصافات] أي: بكبشٍ أبيضَ أَقرنَ أَعينَ.

فانظروا عباد الله! بلاءٌ عظيم أعقبَهُ فرجٌ من رب العالمين.

الوقفةُ الثالثة: برُ الآباء من أخلاقِ الأنبياءِ

عباد الله! فهذا إسماعيلُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يضربُ لنا أروعُ الأمثلةِ في بر الآباء.

أولاً: عندما قال له أبوه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات:١٠٢] فقال إسماعيلُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الابن البار: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾ [الصافات].

ثانياً: عندما جاء إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لزيارة إسماعيل ولم يجدهُ فقال لزوجته: اقرئي عليه السلام وقولي له يُغيرْ عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال لزوجته: هل جاءكم من أحدٍ؟ قالت: نعم جاء شيخٌ كذا وكذا. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم. أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غيّر عتبة بابك. قال إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ذاك أبي وقد أمرني أن أُفارِقَكِ. الحقي بأهلك. فطلقها وهذا من البرِّ يا عباد الله.

ثالثاً: عندما جاءهُ مرةً أخرى فلم يجدهُ فقال لزوجته: اقرئي عليه السلام ومُريه يُثبتُ عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال: هل أتاكم من أحدٍ؟ قالت: نعم. أتانا شيخٌ حسنُ الهيئة. قال: فهل أوصاكم بشيء. قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمُرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسككِ وهذا من البر يا عباد اللهِ.

رابعاً: عندما جاء إبراهيم عليه السلام فوجد إسماعيل عليه السلام يبري نبلاً له تحت دوحةٍ قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالدُ بالولد، والولدُ بالوالدِ. ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمرٍ. قال: فاصنع ما أمرك ربُك. قال: وتُعينني. قال: وأُعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً.

فجعل إسماعيل عليه السلام يأتي بالحجارة، وإبراهيم عليه السلام يبني. حتى إذا ارتفع البناءُ جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل عليه السلام يناولهُ الحجارة وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة] وهذا من بر إسماعيل عليه السلام لأبيه.

• برُّ الآباء يا عباد الله! من أخلاق الأنبياء، وذلك لأن برَّ الآباءِ من أحب الأعمال إلى الله -تعالى- بعد عبادته.

قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

• فعلى المسلم أن يتق الله في والديه فإن الله قد وصاهُ بهما.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الأحقاف:١٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[1].

---

(١) **صحيح**، رواه ابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد (٤/ ١٣١)، والحاكم (٤/ ١٥١)، وانظر: [«الصحيحة» (١٦٦٦)].

واعلموا عباد الله! أن رضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما قال ﷺ: «رضا الربِّ في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما»[1].

الوقفة الرابعة: مَنْ هو الذبيح؟

عباد الله! الذبيحُ هو إسماعيل عليه السلام للأدلة التالية:

أولاً: قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات] الغلامُ الحليمُ هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولدٍ بُشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبرُ من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نصِّ كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ ولإبراهيم عليه السلام ستٌّ وثمانون سنةً، وولدَ إسحاق وعُمرُ إبراهيم عليه السلام تسعٌ وتسعون سنةً.

وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه وحيدهُ، وفي نسخةٍ أخرى: بكرهُ، فأقحموا ها هنا كذباً وبهتاناً «إسحاق»، ولا يجوز هذا لأنه مخالفٌ لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب فحسدُوهم ..[2].

وسأل عمر بن عبد العزيز وهو خليفةٌ رجلاً كان يهودياً فأسلمَ وحسُنَ إسلامهُ وكان يرى أنه من علمائهم. قال له: أي ابني إبراهيم أُمِرَ بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم

---

(١) **حسن**، رواه الترمذي (١٨٩٩)، والحاكم (٤/ ١٥٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: صحيح على شرط مسلم، وانظر: [«صحيح الترغيب»: (٢٥٠٣)].

(٢) [انظر: تفسير «ابن كثير» (٥/ ٣٥٠)].

يحسُدونكم معشر العربِ، على أن يكون أباكم الذي كان من أمرِ الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أُمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم.

ثانياً: لما ذكر ربُنا -جل وعلا- قصةَ إبراهيم عليه السلام وابنه الذبيحَ في الآيات التي معنا من سورة «الصافات».

قال: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤﴾ [الصافات] قال بعدها: ﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١١٢﴾ [الصافات].

فهذه بشارةٌ من الله -تعالى- له شكراً على صبرهِ على ما أُمِرَ به، وهذا ظاهرٌ جداً في أن المبَشَّرَ به غيرُ الأولِ.

ثالثاً: اللهُ -عز وجل- قد بشَّرَ سارّة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فكيف يأمر الله إبراهيم بذبح إسحاق وقد أخبره أنه سيكبرُ ويتزوج ويولد لهُ ولدٌ اسمه يعقوب قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ [هود]. أي: فلا يكون فيه امتحان لإبراهيم (وابنه) عليهما السلام لعلمهما أنه لن يحصل.

رابعاً: اللهُ-عز وجل- سمى الذبيحَ حليماً فقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات] لأنه لا أحلمَ ممن أسلمَ نفسَهُ للذبح طاعة لربه.

• وسمى إسحاق عليماً قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الذاريات].

خامساً: لا ريب أن الذبيح كان بمكة، ولذلك جُعلت القرابين يومُ النحر بها، كما جُعِل السعيُ بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً

لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله؛ ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه، ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل، وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زماناً ومكاناً، ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم، لكانت القرابين والنحر بالشام، لا بمكة[1].

وهذا دليلٌ واضحٌ على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام؛ لأنه كان هو المقيمُ بمكة، وإسحاق عليه السلام لا نعلمُ أنه قدم مكة في حال صغره.

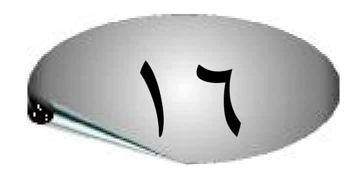
سادساً: الآثار الكثيرةُ عن الصحابة ومن بعدهم تدل على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام. قال عبد الله بن الإمام أحمد -رحمه الله-: سألت أبي عن الذبيح، من هو؟ إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: إسماعيل وكان الحسن البصري لا يشكُّ في ذلك: أن الذي أُمِرَ بذبحِهِ من ابني إبراهيم إسماعيل عليه السلام[2].

عباد الله! ضرب لنا إبراهيم عليه السلام أروع الأمثلة في الاستجابة لأمر ربه حتى لو أمره أن يذبح ولده الذي ليس له غيره والذي جاءه على كبر. وها هو عليه السلام يضرب لنا أروع الأمثلة في الجود والكرم ماذا فعل إبراهيمُ عليه السلام مع ضيفانهِ؟

---

(١) [انظر: «زاد المعاد» (١/ ٧٣، ٧٤)].

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٥/ ٣٥٦).



قصةُ إبراهيمَ -عليه السلام- مع ضيوفه.

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة إبراهيمَ -عليه السلام- مع ضيوفه.**

عباد الله! إكرام الضيف من ديننا، من عقيدتنا، من إيماننا.

قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلْيُكْرِمْ ضيفه**»[(١)]، وقال ﷺ: «**المؤمن غرٌّ** -أي: لا يخدع، ظاهرهُ يوافقُ باطنَه- **كريم، والفاجر خِبٌّ** -أي: خداع- **لئيم**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧٨)، ومسلم (٣١).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣)، وأحمد (٢/ ٣٩٤)، وأبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤)، وقال: غريب، انظر: [«السلسلة الصحيحة» (٩٣٥)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

• إبراهيم عليه السلام أول مَنْ ضيفَ الضيف.

قال ﷺ: «**كان أولُ مَنْ ضيّفَ الضّيفَ إبراهيمَ، وهو أول من اختتنَ على رأس ثمانين سنةً، واختتن بالقدوم**»[1].

عباد الله! وضرب لنا إبراهيم عليه السلام أروعَ الأمثلة في إكرام الضيف، ولذلك أخبرنا اللهُ في كتابه عن كرمِ إبراهيم عليه السلام لضيوفه لنأسى به.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة].

عباد الله! تعالوا بنا لنعيش مع الآيات التي تتحدثُ عن كرمِ إبراهيم عليه السلام لضيوفهِ.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات].

---

(١) **حسن**، رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦١٥)، وابن عساكر كما في [«السلسلة الصحيحة» (٧٢٥)] للشيخ الألباني.

عباد الله! من هم ضيوف إبراهيم عليه السلام؟

هم رسلُ اللهِ من الملائكة الكرامِ، وقالوا: هم جبريلُ وإسرافيلُ وميكائيلُ قدموا على إبراهيم في صورة شبابٍ حسانٍ.

• لماذا جاءت الضيوفُ لإبراهيم عليه السلام؟

جاءوا ليبشروه وهم في طريقهم إلى قوم لوطٍ ليدمروا قريتهم ويهلكوهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [هود:٦٩].

• ما هي هذه البشرى؟

بشرت الضيوفُ إبراهيم عليه السلام وسارّةَ بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب:

قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر].

• ماذا قالَ إبراهيم عليه السلام بعد أن بشروهُ؟

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر].

• وماذا قالتْ سارّةُ؟ وماذا فعلتْ عندما سمعت البشرى؟

قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾-أي: في صرخةٍ وصيحةٍ- ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾-أي: ضربت على وجهها تعجباً كما تتعجب النساء من الأمر العجيب- ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات].

***عباد الله!** كيف يكونُ الكرمُ وآدابُ الضيافةِ؟

تعالوا بنا لنتعلم الكرمَ وآداب الضيافة من إبراهيم عليه السلام فقد أكرم ضيوفه وأحسن استقبالهم ولذلك أثنى الله عليه في الآيات التي معنا من وجودهٍ متعددةٍ:

أحدها: أنه وصف ضيفهُ بأنهم مكرمون فقال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات] أي: الذين أكرمهم إبراهيم عليه السلام.

الثاني: قولهُ تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [الذاريات]. فلم يذكرْ استئذانهم، ففي هذا دليلٌ على أن إبراهيم عليه السلام قد عُرف بإكرام الضيفان واعتاد الضيوف الدخول بدون استئذان، بل استئذان الداخلِ دخوله، وهذا غاية ما يكونُ من الكرم.

الثالثُ: قولُهُ لهم: ﴿سَلَٰمٌ﴾. بالرفع، وهم سلموا عليه بالنصب فقالوا: ﴿سَلَٰمًا﴾. والسلامُ بالرفع أكملُ فإنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على

الثبوت، والمنصوب يدلُ على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، فإبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسنَ من تحيتهم فإن قولهم: ﴿سَلَامًا﴾. يدل على سلمَنا سلاماً. وقوله: ﴿سَلَامٌ﴾ أي: سلام عليكم.

الرابع: أنه لما أنكرهم ولم يعرفهم قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥﴾ ولم يقل: أنتم قومٌ منكرون، فحذْفُ المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه راغَ إلى أهله ليجيئهم بنُزُلهم. قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ والروغان هو الذهاب في اختفاءٍ بحيثُ لا يكادُ يشعرُ به الضيف، وهذا من الكرم.

السادس: أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضّيافة، فدلّ على أن ذلك كان مُعدّاً عندهم مهيّأ للضيفان، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.

السابع: قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦﴾[الذاريات:٢٦]، وقوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾ [هود:٦٩] دل على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل فأمر لهم، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

الثامن: أنه جاء بعجلٍ كاملٍ، ولم يأتِ بجزءٍ منه، وهذا من تمام كرمه صلى الله عليه وسلم.

التاسع: أنه عجلٌ سمينٌ لا هزيلٌ، ومعلومٌ أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يُتّخذُ للاقتناء والتربية، فآثر به ضيفانه.

العاشر: أنه قربهُ إليهم بنفسهن ولم يأمر خادمهُ بذلك قال تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الذاريات:٢٧].

الحادي عشر: أنه قربهُ إليهم ولم يقربهم إليه، وهذا أبلغُ في الكرامة أن يجلس الضيف، ثم يقرب الطعام إليه، ويحمله إلى حضرته، ولا تضع الطعام في ناحية، ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

الثاني عشر: أنه قال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧﴾ [الذاريات] وهذا عرض وتلطُّف في القول، وهو أحسن من قوله: كلوا، أو مُدُّوا أيديكم، ونحوها.

فهذه هي آدابُ الضيافة وهي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلُفٌ وتكلّفٌ إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب شرفاً وفخراً[1].

* **عباد الله!** أما الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذُ من قصة إبراهيم -عليه السلام- مع ضيوفه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: إكرام الضيف من أخلاق الأنبياء والصالحين.

يقول ﷺ: «**الكريمُ ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** -عليهم السلام-»[2].

(١) انظر: «جلاء الأفهام» (ص٣٠٩).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٩٠)، ومسلم (٢٣٧٨).

• فهذا يوسفُ عليه السلام الذي أكرمَ إخوتهُ وأحسن نزلهم بعد ما فعلوا فيه ما فعلوا.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف] وهذا هو كرم الأنبياء.

وهذا إبراهيم عليه السلام الذي ضرب لنا أروع الأمثلةِ في الكرمِ وآداب الضيافة.

ورسولنا ﷺ أكرم الناس على الإطلاق، يقول أنس رضي الله عنه: «**كان النبي ﷺ أحسنَ الناس، وأجودَ الناسِ، وأشجع الناس**»[1]. ويقول أنسٌ أيضاً: «**كان النبي ﷺ لا يدخرُ شيئاً لغدٍ**»[2].

ويقول جابرٌ رضي الله عنه: «**ما سُئل النبي ﷺ عن شيءٍ قط فقال: لا**»[3].

ويقول عبد الله بن بُسرٍ رضي الله عنه: «**كان له ﷺ جَفْنَةٌ لها أربعُ حِلَقٍ**»[4].

ويقول عبد الله أيضاً: «**كان له ﷺ قصعةٌ يُقال لها الغراءُ يحملُها أربعةُ رجالٍ**»[5].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٠٤٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٢) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٣٦٢) وقال: غريب، وصححه ابن حبان (٦٣٤٤)، والضياء في «المختارة» (٢٦٠١)، وانظر: [«صحيح الترغيب» (٩٣٠)].

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٤) **صحيح**، رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ انظر الحديث التالي.

(٥) **صحيح**، رواه أبو داود (٣٧٧٣)، والضياء (٧٣)، وانظر: [«الصحيحة» (٢١٠٥)].

كيف لا؟ وهو الذي يقول ﷺ: «**إن الله كريمٌ يحبُّ الكرم**»[1]، ويقول ﷺ: «**إن الله كريمٌ يحبُّ الكرماء**»[2]، ويقول ﷺ: «**إن الله جوادٌ يحبُّ الجودَ**»[3]، ويقول ﷺ: «**لا خير فيمن لا يُضيِّفُ**»[4]، ويقول ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تُدخلَ على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً**»[5].

***عباد الله!** ومن الأمثلة على كرمه ﷺ:

١- عن المقداد رضي الله عنه قال: أقبلتُ أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعُنا وأبصارُنا من الجهدِ، فجعلْنا نعرضُ أنفُسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحدٌ منهم يقبلُنا. فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهلهِ، فإذا ثلاثة أعْنُزِ. فقال النبي ﷺ: «**احتلِبُوا هذا اللبن بيننا**». قال: فكنا نحتلِبُ فيشربُ كل إنسانٍ منا نصيبَهُ، ونرفعُ للنبي ﷺ نصيبه ... الحديث»[6].

(١) **صحيح**، رواه الحاكم (١/ ٤٨) وصححه، والبيهقي في «الشعب» (٨٠١١) وعزاه باللفظ الثاني السيوطي في «الجامع الصغير» لابن عساكر، والضياء، و[صححه الألباني باللفظين].

(٢) **صحيح**، انظر الحديث السابق.

(٣) **حسن**، رواه الترمذي (٢٧٩٩)، وأبو يعلى (٧٥٩)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٣٦، ١٦٢٧)].

(٤) **حسن**، رواه أحمد (٤/ ١٥٥)، وحسّنه الألباني في [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٣٣)].

(٥) **صحيح**، رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والأصبهاني في «الترغيب»، وصححه الألباني في [«الصحيحة» (١٤٩٤، ٢٧١٥)].

(٦) **صحيح**، رواه مسلم (٢٠٥٥).

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: والله الذي لا إله إلا هو، إنْ كُنتُ لأعتمدُ بكبدي على الأرضِ من الجوع، وإنْ كُنتُ لأشُدُّ الحجرَ على بطني من الجوع، ولقد قعْدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ بي النبي ﷺ فتبسّمَ حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: «أبا هِرٍّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحقْ» ومضى فاتّبعتهُ، فدخل فاستأذن، فأذن لي فدخلتُ، فوجدَ لبناً في قدحٍ فقال: «من أين هذا اللبن؟». قالوا: أهداه لك فلانٌ -أو فُلانةٌ-.

قال: «أبا هِرٍّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحقْ إلى أهل الصُّفَّةِ فادعُهُم لي». قال: وأهل الصّفةِ أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، وكان إذا أتتهُ صدقةٌ بعث بها إليهم، ولم يتناولْ منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهُمْ فيها. فساءني ذلك. فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفّة! كنتُ أحق أن أُصيب من هذا اللبن شربةً أتقوّى بها، فإذا جاءوا وأمرني فكنت أنا أُعطيهم؛ وما عسى أن يبلُغني من هذا اللبن. ولم يكن من طاعةِ الله وطاعة رسول الله ﷺ بُدّ، فأتيتهم فدعوتَهم، فأقبلوا واستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت.

قال: «يا أبا هِرّ» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «خُذ فأعطِهم». قال: فأخذت القدح، فجعلت أُعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يَرْوَى، ثم يردُ عليّ القدحَ، فأعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يَرْوَى، ثم يَرد عليّ القدحَ حتى انتهيت

إلى النبي ﷺ، وقد رَوَى القومُ كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّمَ فقال: «أبا هِرّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيتُ أنا وأنت» قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعُدْ فاشربْ» فقعدت فشربتُ، قال: «اشربْ» فشربتُ، فما زال يقول: «اشربْ» حتى قلت: لا، والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً! قال: «فأرني» فأعطيته القدحَ، فحمد الله تعالى، وسمّى وشرب الفضلةَ»[1].

٣- وفي غزوة حنين أعطى رسول الله ﷺ أُناساً مائةً من الإبل يتألفهم، وشاع في الناس أن محمداً ﷺ يُعطي عطاءً من لا يخشى الفقر، فجاء الأعراب من كل مكانٍ يسألونه حتى اضطروه إلى مضيق وحبسوه عن المسير فتعلق رداؤه بشجرةٍ، فقال ﷺ: «**أيها الناس أعطوني ردائي فوالله لو كان لي مثل هذه العضاه -أي: الشجر- نعماً لقسمته فيكم، لا أحبس عنكم شيئاً، ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً**»[2].

*ومن الأمثلة على كرم الصحابة رضي الله عنهم:

١- عن أبي هريرة قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهودٌ -أي: أصابني الجهد والجوع- فأرسل إلى بعض نسائهِ فقالت:

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٢٨٢١، ٣١٤٨).

والذي بعثك بالحق! ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. حتى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مثلَ ذلك: لا. والذي بعثك بالحق! ما عندي إلا ماءٌ.

فقال: من يُضيفُ هذا الليلة، رحمه الله». فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلى رحْلِهِ فقال لامرأته: هل عندكِ شيءٌ؟ قالت: لا إلا قوتُ صِبياني. قال: فعلّليهم بشيءٍ. فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكلُ. فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضيفُ. فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»[1].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يومٍ أو ليلةٍ فإذا هو بأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما فقال: «**ما أخرجكما من بُيوتِكُما هذه الساعة؟**» قالا: الجوعُ يا رسول الله! قال: «**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا**» فقاموا معه. فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، قالت: مرحباً وأهلاً فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلانٌ؟**».

قالت: ذهب يستعذِبُ لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافاً

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) واللفظ له.

مني، قال: فانطلق فجاءهم بعِذقٍ فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورُطبٌ. فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدْيَةَ -أي: السكين- فقال له رسول الله ﷺ: «**إياك والحلُوب**» فذبح لهم فأكلوا من الشاةِ. ومن ذلك العِذق وشربوا»[1].

عباد الله! فالكرمُ من أخلاق الأنبياء والصالحين، والكريمُ يحبه الله ويحبهُ الناس ومن الكرم إطعامُ الطعامِ لوجه الله، وإطعامُ الطعامِ سبب لدخول الجنة.

• قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

وقال ﷺ: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناسُ نيامُ، تدخلوا الجنة بسلامٍ**»[2].

ثانياً: الشحُ والبخلُ ليس من أخلاق المؤمنين

عباد الله! إذا كان الجودُ والكرمُ من أخلاق الأنبياء والصالحين، فإن الشح والبخل ليس من أخلاق المؤمنين؛ وذلك لأن الشحّ والبخلّ والإيمان لا يجتمعان في قلبٍ واحدٍ أبداً.

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٠٣٨).

(٢) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، وصححه الحاكم (٤/ ١٦٠)، وانظر: [«الصحيحة» (٥٦٩)].

قال ﷺ: «**لا يجتمعُ غُبارٌ في سبيل الله، ودُخانُ جهنم في وجه رجلٍ أبداً، ولا يجتمعُ الشحُّ والإيمان في قلب عبدٍ أبداً**»[1].

ولذلك جاء الإسلامُ يحذرُ من الشحِّ والبخلِّ. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد].

وقال ﷺ: «**إياكم والشحَّ فإنما هلك من كان قبلكم بالشح؛ أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**»[2].

ولذلك كان ﷺ يستعيذُ من البخل فيقول ﷺ: «**اللهم إني أعوذُ بك من البخل**»[3].

ثالثاً: أن يُكْرِمَ الضيفُ أولاً ثم يُسأل عن سبب مجيئه

فإبراهيم عليه السلام أكرم ضيوفه وأحسن استقبالهم ثم سألهم عن سبب مجيئهم.

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الذاريات].

---

(١) **صحيح**، رواه النسائي (٣١١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٥)، وانظر: [«المشكاة» (٣٨٢٨)].

(٢) **صحيح**، رواه أبو داود (١٦٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٥٣)، وصححه ابن حبان (٥١٥٤)، والحديث أصله في مسلم (٢٥٧٨).

(٣) **صحيح**، رواه البخاري (٦٣٦٥).

رابعاً: الأنبياء أرحمُ الخلق بالخلق

فإبراهيم عليه السلام لما عرف من ضيوفه أنهم ملائكةٌ وجاءوا لإهلاك قوم لوطٍ لأنهم يأتون فاحشةً ما سبقهم بها أحدٌ من العالمين؛ أخذ يجادلهم في قوم لوط قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥)﴾ [هود].

عباد الله! ما هو الجدال الذي كان من إبراهيم عليه السلام للملائكة؟ أخبرنا الله عنهُ في سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢)﴾ [العنكبوت].

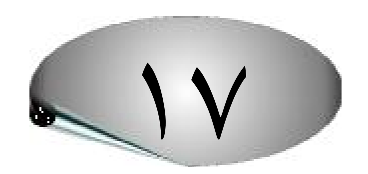
ولذلك قالت الملائكةُ لإبراهيم عليه السلام: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)﴾ [هود:٧٦] فأهلك اللهُ قومَ لوطٍ ونجا لوطاً والذين آمنوا معه.

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)﴾ [الذاريات].

وها هو صالحٌ عليه السلام دعا قومهُ فلم يستجيبوا له فأهلكهم الله فتولى عنهم وقال: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)﴾ [الأعراف].

فالأنبياءُ هم أرحمُ الخلق بالخلقِ يقول الله -عز وجل-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء].

عباد الله! ها هو إبراهيم عليه السلام ضرب لنا أروع الأمثلة في الكرمِ وآداب الضيافة، وها هو يضرب لنا أروع الأمثلة في الدعاء.



إبراهيم -عليه السلام- والدعاء

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **إبراهيم -عليه السلام- والدعاء.**

عباد الله! الدعاءُ عبادةٌ من أجل العبادات قال ﷺ: «**الدعاءُ هو العبادة**»(١).

- ولذلك أمر اللهُ عبادَهُ بالدعاءِ ووعدهم بالاستجابةَ

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والترمذي (٢٩٦٩)، وصححه ابن حبان (٨٨٧)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٦٥٤)].

ويقول سبحانه في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي**»[1]. ويقول أيضاً: «**قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل**»[2].

ويقول أيضاً في الحديث القدسي: «**يا عبادي! لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوني، فأعطيت كلّ إنسانٍ منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيطُ إذا أدخل البحر**»[3].

• وقد حث رسول الله ﷺ أمته على الدعاء

فقال ﷺ: «**ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء**»[4]، وقال ﷺ: «**إن الله حييٌّ كريمٌ، يستحي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يردّهما صفراً خائبتين**»[5]، وقال ﷺ: «**إن الدعاء ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم -عباد الله- بالدعاء**»[6]، وقال ﷺ: «**إذا سأل أحدكم فليكثر؛ فإنما يسأل ربه**»[7].

---

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٣٥٤٠)، انظر: [«الصحيحة» (١٢٧)].

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٣٩٥).

(٣) **صحيح**، رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٤) **حسن**، رواه الترمذي (٣٢٩٢)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد (٨٣٩٣)، وصححه الحاكم (١/ ٤٩٠)، وابن حبان (٨٦٧)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٩)].

(٥) **صحيح**، رواه الترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وأبو داود (١٤٨٨)، وصححه ابن حبان (٨٧٣)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٥)].

(٦) **حسن لغيره**، رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وانظر [«صحيح الترغيب» (١٦٣٤)].

(٧) **صحيح**، رواه عبد بن حميد (١٥٠٠)، وصححه ابن حبان (٨٨٦)، واللفظه له، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (١٢٦٦، ١٣٢٥)].

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢] ويقول ﷺ: «**من لم يسألِ الله يغضب عليه**»[1].

ابن آدم!

لا تسألنّ بَنيّ آدم حاجةً	وسل الذي أبوابه لا تُحْجَبُ
الله يغضب إن تركت سؤاله	وبنَيُّ آدم حين يُسأل يغضبُ
فالزمْ مُساءَلة الإلهِ فإنما	في فضلِ رحمةِ ربّنا نتقلّبُ

عباد الله! وأحرص الناس على الدعاء هم أنبياء الله قال تعالى في وصفهم: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

وها هو إبراهيم عليه السلام يضرب لنا أروعَ الأمثلة في الدعاء لنفسه، ولذريته ولوالديه، وللمؤمنين، وسجل الله لنا، في كتابه أدعية إبراهيم عليه السلام لنتأسى به.

أولاً: أدعيةُ إبراهيم -عليه السلام- لنفسهِ ولوالديه وللمؤمنين

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الشعراء] إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ

---

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٣٣٧٣)، وأبو يعلى (٦٥١٧)، وانظر: [«الصحيحة» (١٣٢٥)].

إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

• وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

• وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات] وهو إسماعيلُ عليه السلام من هاجر وقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾[الصافات].

• ومن أدعية إبراهيم عليه السلام وهو يبني الكعبة بيتَ الله الحرام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! كان بعضُ السلف إذا قرأ هذه الآية بكى بكاءً شديداً وقال: يا خليل الرحمن ترفعُ قواعدَ بيتِ الرحمن وأنت مشفقٌ أن لا يتقبل منك: وهذا هو حال المؤمنين المُخلص قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

قالت عائشةُ: يا رسول الله! ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أهو الذي يزني ويسرقُ ويشربُ الخمر؟ قال: «**لا يا بنتَ الصّدّيق! ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو يخاف أن لا يُتقبل منه**»[1].

(١) حسن، رواه ابن ماجه (٤١٩٨)، وانظر: [«الصحيحة» (١٦٢)].

• ومن أدعية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً وهو يبني الكعبة قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

***عباد الله! على المسلم أن يتأسى بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه:**

• بأن يسأل ربهُ أن يلحقه بالصالحين كما سأل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء].

وكما سأل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل].

وكما سأل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

• ويسألُ المسلمُ ربه الجنة:

كما سأل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه فقال: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء].

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه: «**اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ**»(١).

---

(١) **صحيح**، رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وأحمد (٦/ ١٤٦)، وصححه الحاكم (١/ ٥٢١-٥٢٢)، وابن حبان (٨٦٦)، وانظر: [«الصحيحة» (١٥٤٢)].

وقال ﷺ لرجلٍ: «**ما تقول في الصلاة؟**» قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسنُ دندنتك ولا دندنة معاذ. فقال ﷺ: «**حولها ندندن**»[1].

- ويسأل المسلم ربه أن يغفر لوالديه. المؤمنين أما إن ماتوا على الكفر فلا يجوزُ أن يدعو لهم؛ كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه فقال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الشعراء].

وقال إبراهيمُ عليه السلام أيضاً: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

وكما سأل نوح عليه السلام ربه فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨].

- وعلى المسلم أن يسأل ربهُ دائماً أن لا يُخْزِه يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق:٩] كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه فقال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

فمن ستره الله في هذا اليوم فهو المستور، ومن فضحه الله فهو المفضوح ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق].

﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر].

---

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (٧٩٢)، وابن ماجه (٩١٠)، وصححه ابن حبان (٨٦٥)، وانظر [«الكلم الطيب» (١٠٤)].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة]، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾[الزمر]، اللهم استرنا يوم تبلى السرائر.

• وعلى المسلم أن يسأل ربه الذرية الصالحة:

كما سَأل إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات].

• وعلى المسلم أن يسأل ربه أن يتقبل منه أعمالهُ الصالحة:

كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه فقال: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

• وعلى المسلم أن يسأل ربه الثبات على الإسلام:

كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه فقال: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة:١٢٨].

وكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً**»[(١)].

وسأل يوسف عليه السلام ربه فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

• وعلى المسلم أن يسأل ربه أن يرزقه توبة نصوحاً قبل الموت

كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه فقال: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨٦).

وكان رسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول مئة مرة: «**رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم**»[1].

• وعلى المسلم أن يدعو لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات كما فعل إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم]، فالمؤمن الصادق هو الذي يدعو لنفسه ولإخوانه المؤمنين.

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

ثانياً: أدعية إبراهيم -عليه السلام- لذريته

عباد الله! إبراهيم عليه السلام كان أباً حريصاً على صلاح ذريته، يظهر ذلك من أدعيته التي سجلها الله لنا في كتابه لنتأسى به.

• سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يكونوا صالحين وأئمة في الدين فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة].

فاستجاب الله -تعالى- لخليله فجعل ذريتهُ صالحين وجعلهم أئمةً في الدين وجعل في ذريته النبوة والكتاب إلى يوم الدين.

---

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٢٩٢)، وأحمد (٢/ ٢١)، وصححه ابن حبان (٩٢٣)، وانظر: [«الصحيحة» (٥٥٦)].

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

قال الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيره: (فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بابنه محمد ﷺ وعليهم أجمعين)[١].

• وسأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يحفظه وذريته من الشرك وعبادة الأصنام

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

• وسأل إبراهيم عليه السلام ربه الأمن والرزق والبركة لذريته

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

(١) تفسير الشيخ السعدي (ص٦٨٦).

إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم].

عباد الله! بدأ إبراهيم عليه السلام دعائه بطلب نعمة الأمن لذريته قبل طلب الرزق لهم، وهذا يدلُّ على أن نعمة الأمن أعظم أنواع النعم والخيرات، وأنه لا يتم شيءٌ من مصالح الدّين والدنيا إلا به. وأنه إذا انتفى الأمن في البلاد لم يفرغْ الإنسان لشيءٍ آخر من أمور الدين والدنيا.

وسُئلَ بعض العلماء: الأمن أفضل من الصحة؟ فقال: الأمن أفضل. ولا شك في عظم قدر نعمة الأمن. ويتجلى هذا كذلك في قول الرسول الكريم ﷺ: «**من أصبح منكم آمناً في سِربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»[١]. وفي رواية: «**بحذافيرها**»[٢] ولكن لا يقدر غالباً هذه النعمة حق قدرها إلا من ابتُلي بفقدها.

اللهم اجعل البلاد التي فيها ذرياتنا بلاداً آمنة مطمئنة، وأدِم الأمن والاستقرار فيها آمين يا سميع يا مجيب.

• هذا وقد استجاب الله تعالى دعوة خليله عليه السلام هذه قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) ، رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، والحميدي (٤٣٩)، وصححه ابن حبان (٦٧٠)، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (٢٣١٨)].

(٢) انظرها في «الآحاد والمثاني» (١٨٧٢) لابن أبي عاصم.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

قال العلامة القرطبي -رحمه الله تعالى- في تفسيره: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا﴾ [القصص:٥٧] أي: يُجمع إليه ثمرات كل أرض وبلد[1].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله تعالى- في تفسيره: (أي تجمع إليه الثمرات على اختلاف أنواعها من الأراضي المختلفة، وتُحمل إليه) [2].

ولا غرابة في ذلك، فإن من سنن الله الثابتة أن من آثر الآخرة على الدنيا لم يحرمه الله تعالى من خير الدنيا كما أخبر بذلك الصادق البشير نبينا الكريم ﷺ بقوله: «**ومن كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[3].

وسأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يبارك لذريته فيما رُزقوا، لما جاء إبراهيم عليه السلام إلى بيت إسماعيل عليه السلام بمكة، ولم يكن إسماعيل موجوداً، فسأل زوجته عن عيشهم وهيئتهم فكان مما سأل أن قال: «ما طعامكم؟» قالت: «اللحم». قال: «فما شرابكم؟» قالت: «الماء». قال: «اللهم بارك لهم في اللحم والماء»[4]. وجاء في رواية أخرى أن إبراهيم عليه السلام قال: «اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم».

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣٠٠).

(٢) «فتح القدير» (٤/ ٢٥٥).

(٣) **حسن**، رواه الترمذي (٢٣٨٩) من حديث أنس، ورواه أحمد (٥/ ١٨٣)، وابن ماجه (٤١٠٥) من حديث زيد بن ثابت، وانظر: [«الصحيحة» (٩٤٩، ٩٥٠)].

(٤) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٦٤).

قال: فقال أبو القاسم ﷺ: «**بركةٌ بدعوة إبراهيم** عليه السلام»[1]. قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- أي: في طعام أهل مكةَ وشرابهم بركةٌ[2].

• وسأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في ذريته رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم

فقال في دعائه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة] وقد استجاب الله -عز وجل- دعوة إبراهيم عليه السلام فبعث في ذريته من سلالة إسماعيل عليه السلام أفضل الرسل والأنبياء محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ولا رسول.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢)﴾ [الجمعة].

وقال ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»[3].

عباد الله! أمرنا الله في كتابه أن نتأسى بإبراهيم عليه السلام:

فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة:٤] فعلى المسلم أن يتأسى بإبراهيم عليه السلام في دعائه.

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٦٥).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٤٥٠).

(٣) **صحيح**، رواه عبد الله بن أحمد (٥/ ١٣٩)، وصححه الحاكم (٢/ ٦٠٠)، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥)].

أولاً: يسأل المسلم ربه أن يرزقه توبةً نصوحاً قبل الموت كما سأل إبراهيم ربه فقال: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

وكان ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[1].

ولذلك يا عباد الله! لأن من وفقه الله للتوبة تاب فالفضل كله لله -عز وجل- قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة].

ثانياً: على المسلم أن يسأل ربه لنفسه ولذريته ولبلده المسلم الأمن والأمان، وذلك لأن نعمة الأمن والأمان من أعظم نعم الله على العباد، بعد نعمة الإيمان، ولذلك دعا بها إبراهيمُ ربهُ فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥]. وقد استجاب الله دعائه فجعل مكة بلداً آمناً في الجاهلية والإسلام.

وامتن الله -عز وجل- على قريش بهذه النعمة، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش]، ففي ظل الأمن والأمان يتمكن الإنسان من عبادة الله -تعالى-.

عباد الله! ويتحقق الأمن والأمان في البلاد بتقوى الله -عز وجل- والسمع والطاعة لولاة الأمر. ولذلك قال ﷺ في وصيته البليغة التي

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٦٣٠٧).

ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد**».

ثالثاً: أن يسأل المسلم ربه أن يحفظهُ وذريته والمسلمين من الشرك وعباد الأصنام متأسياً بإبراهيم عليه السلام الذي قال في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم]:

١- لأن الشرك ظلمٌ عظيم قال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

٢- لأن الشرك يحبط الأعمال قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام].

٣- لأن الشرك سببٌ لدخول النار قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

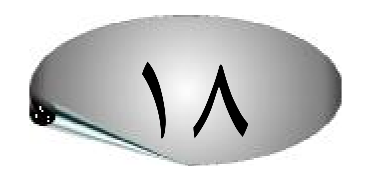
٤- لأن الشرك من أكبر الكبائر قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً. قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله**»[1].

٥- لأن الشرك ذنب لا يغفره الله أبداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

عباد الله! ها هو إبراهيم عليه السلام ضرب لنا أروع الأمثلة في الجود والكرم وإكرام الضيف، وها هو قد ضرب لنا أروع الأمثلة في الدعاء، وها هو عليه السلام يضرب لنا أروع الأمثلة في الولاء والبراء.

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).



إبراهيم -عليه السلام- والولاء والبراء

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **إبراهيم -عليه السلام- والولاء والبراء.**

عباد الله!

- الدينُ عند الله الإسلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩].

- والإسلام دينٌ كاملٌ ونعمةٌ تامةٌ

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

- ومن ابتغى ديناً غير الإسلام فهو من أخسر الخاسرين في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

• والأنبياءُ جميعاً من آدم عليه السلام إلى محمدٍ ﷺ جاءوا بالإسلام:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

• والإسلام متمثلٌ في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله) فما من نبي بعثه الله إلا قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣].

وقال ﷺ: «**من قال: (لا إله إلا الله) مخلصاً (من قلبه) دخل الجنة**»[1].

وقال ﷺ: «**أمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)**»[2].

• ومن لوازم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله): الولاء والبراء أي: يجب على المسلم الذي قال: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) صادقاً من قلبه أن يتبرأ من الكفر وأهله الذين كفروا بـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله) كما يجب عليه أن يحب الإيمان ويوالي أهله الذين قالوا: (لا إله إلا الله محداً رسول الله)، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي

(١) **صحيح**، رواه أحمد (٥/ ٢٣٦)، وصححه ابن حبان (٢٠٠)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٣٥٥)].

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥٧)﴾ [البقرة].

*الولاء والبراءُ أوثق عُرى الإيمان

قال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في اللهِ، والبغضُ في الله**»(١).

الولاء والبراءُ دليلان على كمال الإيمان:

قال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(٢).

• الولاءُ والبراءُ يجعلانك من أولياءِ الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٦٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٦٤)﴾ [يونس].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «**مَن أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تناله ولايةُ الله -عز وجل- بذلك، ولن يجد عبدٌ طعمَ**

---

(١) **حسن لغيره**، رواه الطبراني (١١٣٧٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٨)، وأحمد (٤/ ٢٨٦)، والحاكم (٢/ ٤٨٠)، وانظر: [«الصحيحة» (٩٩٨، ١٧٢٨)].

(٢) **صحيح**، رواه أبو داود (٤٦٨١)، وانظر: [«الصحيحة» (٣٨٠)].

الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك»[1]. أي: يوالي في الله ويعادي في الله.

عباد الله! الولاء معناهُ: الحب، والنصرة، والاتباع، والقرب، فقولنا: فلانٌ يوالي فلاناً؛ أي: يحبه وينصره ويتبعه ويتقرب منه، وولاء المؤمن يكون لله ولرسوله، ولكل المؤمنين الذين قالوا لا إله إلا الله، وجاؤوا بشروطها وعملوا بمقتضاها. والدليل من كتاب ربنا: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [المائدة].

- وعقيدةُ الولاءِ والبراءِ تظهرُ واضحةً في حزب الله الصادق؛ (محمد ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يوم الدين).

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

- وقال تعالى في وصف المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾ [الحشر]؛ صدقوا في ولائهم لله ولرسولِه وللمؤمنين.

- وقال تعالى في وصف الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر].

(١) «جامع العلوم والحكم» (٣٠).

• وقال تعالى في وصف الذين جاءوا من بعدهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

عباد الله! المهاجرون خرجوا من ديارهم حباً لله والأنصارُ استقبلوهم في ديارهم حباً لله، والذين جاءوا من بعدهم يدعون لهم محبةً لله. ولذلك تحققت بينهم الأخوةُ في الله كما وصفهم الله فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

• وأصبحوا بهذا الولاء كالبناء الواحد في قومه قال ﷺ: «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» وشبك ﷺ بين أصابعه[١].

• وأصبحوا كالجسد الواحد في حساسيته قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[٢].

• ونزلت عليهم رحمةُ الله -تعالى-: قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

عباد الله! والبراءُ معناه: البغُض والكراهية والابتعاد والنفور. يقال فلانةٌ يتبرأ من فلانٍ، أي: يبغضه ويكرهه ويعاديه وينفر منه. والمؤمن يتبرأ

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٢٥٨٦).

من كل من كفر بـ (لا إله إلا الله) ولا يواليه مهما كان قربه استجابةً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة].

ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

عباد الله! لماذا يجبُ علينا أن نتبرأَ من الكفارِ ولا نواليهم؟

أولاً: لأن موالاة الكفارِ حرامٌ.

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ثانياً: لأنهم كفروا بـ (لا إله إلا الله).

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥].

ثالثاً: لأن الكفار لا يُحبوننا

قال تعالى: ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة].

رابعاً: لأن الكفار ينفقون أموالهم ليصدونا عن سبيل الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

خامساً: لأن الكفار يعملون بالليل والنهار ليردونا عن ديننا.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧].

وقال تعالى: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! وقد ضرب لنا إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معهُ أروع الأمثلةِ في التبرأ من الكفر وأهلهِ وأمرنا الله أن نتأسى به، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة].

***عباد الله!** في هذه الآيات يأمرنا ربنا -جل وعلا- أن نتأسى بإبراهيم عليه السلام في ثلاثةِ أمور:

الأول: أن نتبرأ من الكفار ومما يعبدون من دون الله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤].

الثاني: أن نكفر بهم وبدينهم الباطل ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾.

الثالث: أن نعلن العداوة والبغضاء لهم حتى يؤمنوا بالله وحده ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾.

***عباد الله!** انطلاقاً من عقيدة الولاءِ والبراءِ، وتأسياً بإبراهيم عليه السلام فلا يجوز للمسلم:

أولاً: أن يوالي الكفار، استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

ثانياً: لا يجوز أن يتشبه بالكفار في أي أمر من الأمور التي هي من (خواص) صفاتهم كاللباس وغير ذلك؛ استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[١].

ثالثاً: لا يجوز للمسلم أن يقيم بين أظهر الكفار، فالذين يهاجرون من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر، ويتجنسون بجنسية الكفار ويعيشون بين أظهر الكفار، فليعلموا أن من فعل ذلك فقد عصى الله ورسوله، يقول صلى الله عليه وسلم: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»[٢].

---

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (٤٠٣١)، وانظر: [«الإرواء» (١٢٦٩)].

(٢) **صحيح**، رواه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، والنسائي (٤٧٨٠)، وانظر: [«الإرواء» (١٢٠٧)].

رابعاً: لا يجوز للمسلم أن يتخذ بطانة له من الكفار.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118)﴾ [آل عمران].

خامساً: لا يجوز للمسلم أن يستغفر للكافر ولو كان من أقرب الناس إليه.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)﴾ [التوبة].

سادساً: لا يجوز للمسلم أن يطيع الكفار.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149)﴾ [آل عمران].

سابعاً: لا يجوز للمسلم أن يركن إلى الكفار.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)﴾ [البقرة: ٢٥٤].

عباد الله! الولاءُ والبراءُ من ديننا، من عقيدتنا، من لوازم (لا إله إلا الله) ومذهب أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء وسطٌ بين الإفراط والتفريط.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه، فإن

الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية)، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩].

فجعلهم إخوةً مع وجودِ القتال والبغي؛ وأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر، وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللص نقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم[1].

*فالناس في نظر أهل السنة والجماعة بحسب الحب والبغض والولاء والبراء ثلاثة أقسام:

(١) «مجموع الفتاوى» (ج ٢٨/ ٢٠٨-٢٠٩).

القسم الأول: من يُحبُّ محبةً خالصةً لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخلَّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ومن سلك سبيلهم.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام، كالرافضة والخوارج، نسأل الله العافية.

القسم الثاني: من يُبغض ويعادي بغضاً ومعاداةً خالصين لا محبة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخُلَّص.

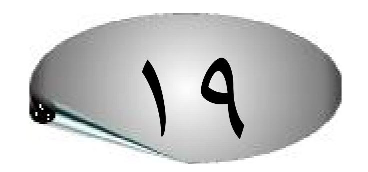
قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة:٢٢].

القسم الثالث: من يُحبُّ من وجه ويُبغض من وجه، فيجتمع فيه المحبة والعداوة، وهم عصاة المؤمنين؛ يحبون لما فيهم من الإيمان، ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك. ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم؛ فلا يجوز السكوت على معاصيهم، بل ينكر عليهم، ويؤمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وتقام عليهم الحدود والتعزيزات؛ حتى يكفوا عن معاصيهم، ويتوبوا من سيئاتهم، لكن لا يُبْغَضون بغضاً خالصاً فيتبرأ منهم؛ كما تقوله

الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يحبون ويوالون حباً وموالاة خالصين؛ كما تقوله المرجئة، بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة[1].

عباد الله! بهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن قصة إبراهيم عليه السلام ولكن ما هي الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذ من قصة إبراهيم عليه السلام؟ هذا الذي سنعرفه في الجمع القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

(١) «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» (ص٣١٧-٣١٩).



الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة إبراهيم -عليه السلام-

التقليد الأعمى للآباء يمنع من الاستجابة للأنبياء

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذ من قصة إبراهيم -عليه السلام-**

عباد الله! قصة إبراهيم عليه السلام التي تكلمنا عنها في الجمع الماضية، والتي أخبرنا الله عنها في كتابه فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ، كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: التقليدُ الأعمى للآباء يمنعُ من الاستجابة للأنبياء

عباد الله! إبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عقيدة التوحيد، وبيّن لهم بالحجة والبرهان أن الأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر ولا تسمع

الدعاء، ومع ذلك لم يستجيبوا له، أتدرون ما السبب يا عباد الله؟ السبب هو التقليدُ الأعمى للآباء.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء].

*عباد الله! التقليدُ الأعمى للآباء منع كثيراً من الناس من الاستجابة للأنبياء

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة].

*عباد الله! التقليدُ الأعمى للآباء مرضٌ خطيرٌ قديمٌ أصابَ جميعَ الأممِ فمنعهم من الاستجابة للرسل.

- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف].

• وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم].

• وها هم قومُ هودٍ منعهم التقليدُ الأعمى للآباء من الاستجابة لرسولهم هودٍ عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف].

فكان ردُّهم عليه: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف].

• وها هم قومُ صالح منعهم التقليدُ الأعمى للآباء من الاستجابة لرسولهم صالحٍ عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود:٦١].

فكان ردهم عليه: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ [هود].

• وها هم قومُ شعيب منعهم التقليدُ الأعمى للآباء من الاستجابة لرسولهم شعيبٍ عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٨٤].

فكان ردهم عليه: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود].

• وها هو أبو طالب منعهُ التقليد الأعمى للآباء من الاستجابة لرسول الله ﷺ. لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهلٍ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمّ! قل لا إله إلا الله. كلمةً أشهدُ لك بها عند الله**». فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله[1].

عباد الله! التقليد الأعمى للآباء يمنع من الاستجابة للأنبياء

فطر الله الناس جميعاً آباءً وأبناءً على التوحيد، فأخذ عليهم العهد والميثاق بذلك وهم في صُلب أبيهم الأول آدم، حتى لا يعتذر الأبناء عن ضلالهم بضلال آبائهم.

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٤).

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف].

أي: إنما امتحنّاكم حتى أقررتم بما تقرّر عندكم من أن الله ربكم، خشية أن تُنكروا يوم القيامة فلا تقروا بشيء من ذلك، وتزعموا أن حجة الله ما قامت عندكم ولا عندكم بها علمٌ بل أنتم عنها غافلون[1]، ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٣] -فقلدوهم في شركهم- ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف] فقد أودع الله في فِطركم ما يدلكم أن الذي مع آبائكم باطل، وأن الحق مع ما جاءت به الرسل، والواجب على الإنسان إذا عقل وبلغ سنّ الرشد أن ينظر في أحوال آبائه وملتهم واعتقادهم، فإن وجدهم على غير هُدى ولا كتابٍ منير ووجد عقيدتهم تخالف دين الفطرة الذي فطر الله الناس عليها، وتخالف دين الحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل عليهم كتبه ترك ملتهم وخالف عقيدتهم واتبع الدين الحق، كما فعل الخليل إبراهيم عليه السلام فقد تبرأ عليه السلام من عقيدة أبيه وقومه وأسلم وجهه لله.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف].

(١) السعدي (١١٣، ١١٤/ ٣).

• وقد أمرَ اللهُ تعالى بالتأسي بالخليلِ في البراءة من الكافرين. فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وإن نظر العاقل في ملة آبائه وعقيدتهم فوجدهم على الحق اتبعهم وتبرأ ممن خالفهم كما فعل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

حيث حكى الله تعالى عنه أنه قال لصاحبي السجن: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف][1].

*__عباد الله!__ فالتقليد الأعمى للآباء والسادة والكبراء ضلالٌ مبين في الدنيا، وعذابٌ وندمٌ وحسرةٌ في الآخرة. والله -عز وجل- في كتابه يخبرنا عن حال المقلدين للآباء والسادة والكبراء وهم يندمون يوم القيامة في وقت لا ينفع فيه الندم.

• قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

---

(١) [انظر: كتاب «دين الفطرة» لشيخي الفاضل عبدالعظيم بن بدوي حفظه الله (ص١/ ٣٦٣)].

• وقال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾. السبب الذي أوصلهم إلى هذا العذاب الأليم: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

• وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر].

• وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك].

فالتقليدُ الأعمى للآباء والسادةِ والكبراءِ ضلالٌ مبين في الدنيا، وعذابٌ وندم وحسرةٌ في الآخرةِ. ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر].

***عباد الله!** أما تقليد الأنبياء ففيه سعادة الدنيا، والآخرة وذلك لأن الأنبياء يتبعون الوحي من الله ولا ينقطعون عن الهوى، وحتى لا يكون للناس على الله حجةٌ فقد بعث في كل أمةٍ رسولاً وأوحى إليه وأمره أن يتبع ما يوحى إليه.

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية].

• وقد أمرَ اللهُ رسولَهُ أن يقولَ للناس: إني أتبعُ ما يوحى إليَّ من ربي، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأحقاف:٩].

• وقد أمرَ اللهُ الناسَ أن يتبعوا الرسلَ وما أوحيَ إليهم من ربهم

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الأعراف:٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام].

عباد الله! فاتباعُ الأنبياءِ فيه الهدايةُ إلى كل خير

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور].

• وفيه الفوز العظيم في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

ولذلك كان يعقوبُ عليه السلام حريصاً عند موته أن يترك أولادهُ على اتباع الأنبياء في عبادتهم لله -عز وجل-

قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة].

فالزموا يا **عباد الله!** طريق الأنبياء، واحذروا التقليد الأعمى للآباء.

عباد الله! ولم يقف التقليد الأعمى من الأبناء للآباء عند حدود الاعتقاد، بل امتدّ ليشمل البدهيات التي تستقبحها عقول الصبيان والبنات، فقد كان العرب في الجاهلية إذا أرادوا الطواف بالبيت تجردوا من ثيابهم كما ولدتهم أمهاتهم، وقالوا: لا نطيع الله في ثياب عصيناه فيها.

عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة تقول:

اليـــوم يبـــدو بعـــضه أو كلـــه   ومـــا بـــدا منـــه فـــلا أحلـــه

قال فنزلت: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١].

والتعري في ذاته فاحشة مستقبحةٌ في نظر العقلاء إلا أن حجة القوم فيه أن آباءهم كانوا يفعلون ذلك، ولابد أن يكون الله أمرهم بذلك. قال تعالى منكراً عليهم ذلك: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! والناظر في أحوال المسلمين اليوم يرى أنهم قد وقعوا في التقليد في كل شيء، فهناك من يعتقد في الأقطاب والأبدال وأنهم يجتمعون في كل عام لتدبير الكون.

وهناك من يعتقد في الأولياء أنهم ينفعون ويضرون، بل ويسمعون من يدعونهم مع أن الكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام لم يعتقدوا فيهم أنهم يسمعون أو ينفعون أو يضرون.

قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء].

وهناك من ينذر للأولياء ويذبح لهم، ويزورهم ويعتكف عندهم ويتمسح بتربتهم ولا حجة معه فيما يعتقد ويفعل إلا كثرة ما يفعل ذلك.

وهناك من الشباب المتحمس الغيور على دينه من سمع بأن مرتكب الكبيرة كافر، فاعتقد هذا تقليداً لمن سمعه دون أن يعرف أن ذلك مذهب الخوارج.

وهناك من النساء المتبرجات الكاسيات العاريات الكثيرات والكثيرات، ولا حجة معهن على جواز فعلهن إلا أن كلهن كذلك، والموضة هكذا.

وهناك من الرجال الكثيرين الذين حلقوا لحاهم وأسبَلُوا ثيابهم وليس معهم حجةٌ إلا أن الناس كلهم كذلك.

وأما جري شبابنا وراء التقليد الأعمى فحدّث عنه ولا حرج: فهذا شابٌ أرخى شعره لماذا؟ لأن فلاناً أرخى شعره، وثان حلق رأسه، لماذا؟ لأن فلاناً حلق رأسه، وثالث لبس لباساً يخالف عادته لماذا؟ لأن فلاناً لبس هذا اللباس. ولو أن الأمر اقتصر في التقليد في العادات مع الصالحين والصالحات لقلت:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

ولكن التقليد الأعمى هو للكافرين والكافرات، والفنانين والفنانات، والممثلين والممثلات ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

والنبي ﷺ يقول: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1].

---

(١) **صحيح**، سبق (ص٢٥٢)

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾ [الحشر]. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الطلاق:١٠][1].

• **عباد الله!** فالتقليد الأعمى مرضٌ خطيرٌ أصاب الأمم قبلنا فمنعهم من الاستجابة لرسلهم فضلوا وأضلوا وقد أخبر رسولنا ﷺ أن هذا المرض سيصيب أمتهُ فقال ﷺ: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جُحرِ ضَبّ لاتبعتموهم**». قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[2].

وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراعٍ**» فقيل يا رسول الله كفارس والروم. فقال: «**ومن الناسُ إلا أولئك؟**»[3].

وقد قلّدنا اليهود والنصارى في بناء المساجد على القبور مع تحذير النبي ﷺ لنا من ذلك.

وقلّدناهم في رفع القبور وتشييدها، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

وقلّدناهم في أعيادنا وأعراسنا ولباسنا وبيوتنا و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة].

---

(١) [انظر كتاب: «دين الفطرة» لشيخي الفاضل عبدالعظيم بن بدوي حفظه الله (ص٣٦٤-٣٦٧)].

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٣) **صحيح**، رواه البخاري (٧٣١٩).



القلبُ السليمُ ينفعُ صاحبَهُ يوم يقومُ الناسُ لرب العالمين

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ويقول سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزمِ من الرسل، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة إبراهيم -عليه السلام-**

عباد الله! قصة إبراهيم عليه السلام فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرة جداً منها:

ثانياً: القلبُ السليمُ ينفعُ صاحبهُ يومَ يقومُ الناسُ لرب العالمين

وهذا يؤخذ من دعاء إبراهيم عليه السلام الذي قال فيه: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

ومن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات].

وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق] والقلبُ المنيبُ هو القلبُ السليمُ.

***عباد الله!** الله -عز وجل- يبعثُ الناس جميعاً يوم القيامة من قبورهم ليحاسبهم على أعمالهم ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم].

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

• وهذا اليومُ الذي يَرجعُ فيه العبادُ إلى ربهم ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر].

يقول اللهُ -عز وجل- في وصف هذا اليوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج].

ويقول سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير].

ويقول -عز وجل-: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار].

ابن آدم!

مثــــلِ لنفـــسكَ أيهـــا المغـــرورُ ... يــوم القيامــة والــسماء تمــورُ
إذا كورتْ شـمسُ النهـار وأُدنيـتْ ... حتـى عـلى رأس العبـادِ تـسيرُ
وإذا النجــوم تــساقطت وتنــاثرت ... وتبــدلت بعــد الــضياء تــدورُ
وإذا البحـارُ تفجـرت مـن خوفهـا ... ورأيتهــا مثــل الجحــيم تفــورُ
وإذا الجبـــال تقلعـــت بأصـــولها ... فرأيتهــا مثــل الــسحابِ تــسيرُ
وإذا العــشار تعطلــت وتخربــت ... خلــت الــديار فــما بهــا معمــرُ
وإذا الوحوش لدى القيامة أُحشرتْ ... وتقــول للأمــلاكِ أيــن نــسيرُ؟!

- **عباد الله!** في هذا اليوم الشديد ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء]
- ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ﴾ -أي: لا يقي المرء من عذاب الله مالُهُ، ولو افتدى بملءِ الأرضِ ذهباً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة].

فالكافرُ والمنافقُ والمجرمُ يريدُ أن يفتدى من عذابِ الله بمالِه يومَ القيامة فيقولُ الله لهم: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد].

- ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج] إلى قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

- ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

والقلب السليمُ هو القلبُ الخالي من الشرك والنفاقِ والرياء، وهو القلبُ الخالي من البدعةِ، المطمئن على السنةِ، وإبراهيم عليه السلام جاء ربه بقلب سليم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات].

قال تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة].

*__عباد الله!__ يوم القيامة؛ يوم يقومُ الناسُ لرب العالمين لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم أتدرون لما يا عباد الله؟

أولاً: لأنَّ سعادةَ الإنسان وشقاوتهُ، وحياته وموتهُ تتوقف على القلب، فهو في الجسد كالراعي في رعيته إذا صلَحَ صَلح الجسدُ كلُهُ، وإذا فَسَد فسد الجسد كلهُ قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسدِ مضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[1].

ثانياً: لأن القلب هو محلُ النياتِ التي بها تصلحُ الأعمال وتُقبل، أو تردُّ وتَبطلُ قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»[2]. والنية محلها القلب، فإن صلحت صلح النياتُ قُبلت الأعمال عند الله، وإن فسدت النيات رُدت الأعمال على صاحبها.

ثالثاً: لأن القلب هو محل التقوى

- قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف:٢٦].
- وقال ﷺ: «**التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا وأشار إلى صدره**»[3].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٣) **صحيح**، رواه مسلم (٢٥٦٤).

• وسُئل ﷺ عن القلب المخموم فقال: «**هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغيٍ ولا حسد**»[1].

فالتقي الذي امتلأ قلبه تقوى، وهو الذي ينجو يوم القيامة من عذاب الله ويفوز بالجنة. وهل أعدت الجنة إلا للمتقين؟

رابعاً: لأن القلب هو محلُّ القرآن

• قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ -أي القرآن- ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]

• وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

خامساً: لأن القلب هو محل نظر الله تعالى.

قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[2]. فصاحب القلب السلمي؛ امتلأ قلبه إخلاصاً لله، وعملهُ وافق السنة فنجا من عذاب الله وفاز بالجنة.

***عباد الله!** فالقلب شأنه كبير، وأثرهُ على الإنسان في الدنيا والآخرة عظيم، والقلب أشرفُ ما في الإنسان؛ إن زاغ؛ زاغ صاحبهُ، وإن ضلّ؛ ضلّ صاحبه، وإن اهتدى؛ اهتدى صاحبهُ، ولا نجاةِ للعبد يوم القيامة من

---

(١) **صحيح**، رواه ابن ماجه (٤٢١٦)، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (٩٤٨)].

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٢٥٦٤).

عذاب الله إلا بالقلب السليم، فالعاقل هو الذي يهتم بصلاح قلبه، ولا يكون صلاح القلبِ إلا بما يلي:

أولاً: أن يزينه بزينة الإيمان؛ بالعقيدة الصحيحة؛ بالتوحيد

قال ﷺ في دعائه: «**اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين**»[1].

وهذا الدعاء مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [التغابن].

والإيمانُ قولُ باللسان واعتقاد في القلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ثانياً: أن ينورهُ بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ -أي: بالإيمان- ﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

(١) **صحيح**، رواه أحمد (٣/ ٤٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣٧٠)، وصححه الحاكم (١/ ٥٠٦)، وانظر: [«فقه السيرة» (٢٦٤)].

وقال ﷺ: «**ما أصاب أحداً قطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابنُ أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله عز وجل همّه وأبدله مكان حُزنه فرحاً**»[1].

ثالثاً: أن يطمئنهُ بذكر الله

فالقلب يا عباد الله! لا يطمئنُ أبداً إلا بذكر الله قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

والقلب لا يحيى إلا بذكر الله. قال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربّه والذي لا يذكر ربه مثلُ الحيّ والميت**»[2].

رابعاً: أن يرققه بزيارة القبور وتذكر الموت والبعث والنشور قال ﷺ: «**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترقُّ القلب وتدمع العين، وتذكر الآخرة**»[3]. ولكن الكثير من الناس عن الموت والقبر والبعث غافلون وحالهم كما قال القائل:

---

(١) **صحيح**، رواه أحمد (١/ ٣٩١)، وصححه الحاكم (١/ ٥٠٩)، وابن حبان (٩٦٨)، وانظر: [«الصحيحة» (١٩٩)].

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

(٣) **حسن**، رواه أحمد (٣/ ٢٣٧)، والحاكم (١/ ٣٧٦)، وانظر: [«الجنائز» (١٨٠)].

أمـــا والله لـــو علـــم الأنـــام لم خلقــوا لمـــا هجعــوا ونـــاموا
لقــد خُلقــوا لأمــر لــو رأتــهُ عيــونُ قلــوبهم تــاهوا وهــاموا
ممـــاتٌ ثـــم قـــبر ثـــم حـــشرٌ وتـــوبيخ وأهـــوالٌ عظـــام
ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـالٌ فــصلوا مــن مخافتــهِ وصــاموا
ونحــــن إذا أمرنــــا أو نهينــــا كأهــل الكهــف أيقــاظٌ نيــام

خامساً: أن يحفظهُ من المعاصي والذنوب.

عباد الله! المعاصي والذنوب تسوِّدُ القلبَ وتميتُه قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين] والرانُ هو: أثر المعاصي على القلوب.

قال ﷺ: «**تعرض الفتن** -أي: المعاصي- **على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشربها نكتت فيه نكتةٌ سوداء وأي قلبٍ أنكرها نكتت فيه نكتةٌ بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه، قلب أبيض فلا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض**»[(1)].

وكما قال القائل:

رأيــتُ الــذنوب تميــتُ القلــوبَ وقـــد يُـــورث الـــذلّ إدمانُهـــا
وتــركُ الــذنوب حيــاةُ القلــوبِ وخـــيرٌ لنفـــسك عـــصيانها

(١) صحيح، رواه مسلم (١٤٤).

سادساً: أن يحفظهُ من أمراض القلوب.

ومنها: مرضُ الشهوة قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].

ومنها: مرضُ الشبهة قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠].

ومنها: الحسدُ والتباغض والتدابر ولذلك قال ﷺ محذراً من هذه الأمراض: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا**»[(١)].

سابعاً: أن يدعو الله دائماً أن يهدِ قلبه ويصلحهُ ويثبتهُ على الإسلام.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

وكان ﷺ يكثر من الدعاء بهداية القلوب فيقول ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك**»[(٢)]. ويقول ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبتْ قلبي على دينك**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) **صحيح**، رواه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، وأحمد (٦/ ٣٠٢)، والحاكم (١/ ٥٢٦)، وانظر: [«المشكاة» (١٠٢)].

ويقول ﷺ: «**اللهم إني أعوذُ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم**»[(١)].

ويقول ﷺ: «**اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتصلح أمري وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتنور قلبي، وتغفر لي ذنبي**»[(٢)].

عباد الله! واعلموا أن القلوب تنقسمُ إلى ثلاثة أقسام: قلب سليم، وقلب ميت، وقلب مريض.

أما القسم الأول: وهو القلب السليم الصحيح، فهو القلب الذي سَلِمَ من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسَلِم من عبودية ما سواه، وسَلِم من تحكيم غير شرعه، وسلم من الاقتداء بغير رسوله، هو القلب الذي خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة وتوكلاً، وإنابة وإخباتاً وخشية ورجاءً، وخلُصَ عمله لله، فإن أحبّ أحبّ في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله.

صاحب هذا القلب السليم هو الذي ينجو يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩﴾ [الشعراء].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٣٧٧)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥١٩) وصححه، وكذلك صححه الحافظ ابن حجر؛ كما في «الفتوحات».

عباد الله! أما القسم الثاني فهو القلب الميت.

هذا القلب لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده، بل هو منقطع لشهواته ولذاته، فهو متعبد لغير الله حباً، وخوفاً، ورجاءً ورضىً وسخطاً وتعظيماً وذلاً، إن أحبّ أحبّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فالهوى إمامُهُ، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه.

عباد الله! مخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سُمّ، ومجالسته هلاك، وقد توعد الله أصحاب هذه القلوب بالويل فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر].

وأعد الله جهنم لأصحاب هذه القلوب فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ -أي: ولقد خلقنا لجهنم- ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة]. أي: على القلوب القاسية الميتة.

عباد الله! أتدرون لماذا توعدهم اللهُ بالويل والعذاب الأليم في جهنم؟ لأن قلوبهم ميتة.

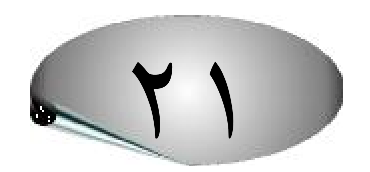
قال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر].

عباد الله! أما القسم الثالث وهو القلب المريض.

فهذا القلب له حياة وبه علة، فله مادتان، تمده هذه مرة وهذه أخرى وهو لما غلب عليه منهما إن غلب عليه مرضه التحق بالقلب الميت القاسي، وإن غلب عليه صحته التحق بالقلب السليم.

عباد الله! وقد جمع الله -عز وجل- بين هذه القلوب الثلاثة في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج].



﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذ من قصة إبراهيم -عليه السلام-**.

عباد الله! قصة إبراهيم عليه السلام فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

ثالثاً: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ **[الجن].**

عباد الله!

- المسجدُ بيتُ الله، رُفِعَ لذكر الله، لإقامة الصلاة، لقراءة القرآن لعبادة الله وحدهُ لا شريك له.

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

• **المسجد**: أحب بقاع الأرض إلى الله قال ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**»(١).

• **المسجدُ**: بيتُ المؤمنين الأتقياء، قال ﷺ: «**المسجد بيت كل مؤمن**»(٢).
وقال ﷺ: «**المسجدُ بيتُ كل تقي**»(٣).

• **المسجدُ**: من أحبه وتعلق قلبه به كان يوم القيامة في ظل عرش الرحمن قال ﷺ: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم: «**ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد**»(٤).

*ولذلك أمر الله بتطهير المساجد من الشرك والأصنام والبدعِ والخرافات ومما لا يليق بها.

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٦٧١).

(٢) هو لفظ أبي نعيم في «الحلية» (٦/ ١٧٦)، وهو التالي:

(٣) **حسن**، رواه عبد الرزاق (٢٠٠٢٩)، والطبراني (٦٠٢٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨١٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٧٦)، وانظر: [«الصحيحة» (٧١٦)].

(٤) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

قال تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

ولما دخلَ رسول الله ﷺ مكة فاتحاً منتصراً أمر المسلمين بتحطيم الأصنام، وتطهير البيت الحرام منها، وشارك ﷺ في ذلك بيده، فكان يهوي بقوسه إليها فتتساقط على الأرض تحت الأقدامِ وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ].

*****عباد الله!** المساجدُ لله، وهي بيوتُ الله، فيجب على المسلمين أن يعمروها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة]. وإعمارُها يكون بما يلي:

أولاً: بالإخلاص في بنائها

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وقال ﷺ: «**من بنى مسجداً لا يريد به رياءً ولا سُمعةً؛ بنى الله له بيتاً في الجنة**»[1].

(١) حسن، رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٠٠٥)، وانظر: [«الصحيحة» (٣٣٩٩)].

وقال ﷺ: «**من بنى لله مسجداً كمفحص قطاةٍ؛ بنى الله له بيتاً في الجنة**»[1].

وقال ﷺ: «**مَن بنى مسجداً -يبتغي به وجه الله-، بنى الله له بيتاً في الجنة**». وفي رواية: «**بنى الله له مثله في الجنة**»[2].

ثانياً: بالصلاةِ فيها لله -عز وجل-

عباد الله! المؤمنُ يصلي في المسجد لله، والمنافقُ إذا صلى في المسجد صلى للناس.

- قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

- وقال تعالى في وصف المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

عباد الله! صلاة الجماعة في المسجد واجبةٌ على الرجال إلا من عذرٍ شرعي، وقد جاءت الأدلةُ في الكتاب والسنة تأمرُ وتحثُّ على الصلاةِ في المسجد.

- قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة].

---

(١) هو رواية لحديث مسلم: انظر الحاشية التالية.

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

• وأتى النبيَّ ﷺ رجلٌ أعمى فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه فقال له: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم. قال: «**فأجب**»[(١)].

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سرّه أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف»[(٢)].

وقد حثّ النبي ﷺ أمته على صلاة الجماعة في المسجدِ قال ﷺ: «**من راح إلى مسجد الجماعة؛ فخطوةٌ تمحو سيئة، وخطوة تكتب له حسنةً ذاهباً وراجعاً**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاةٍ مكتوبةٍ فصلاها مع الإمام؛ غُفِرَ له ذنبه**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٦٥٣).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٦٥٤).

(٣) **حسن**، رواه أحمد (٢/ ١٧٢)، وصححه ابن حبان (٢٠٣٧)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٩)].

(٤) **صحيح**، رواه أحمد (١/ ٦٧)، وصححه ابن خزيمة (١٤٨٩)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٠)]، وأصل الحديث في مسلم (٢٣٢).

وقال ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح؛ أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»[(١)].

وقال ﷺ: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[(٢)].

وقال ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامنٌ على الله، إن عاش رُزق وكُفيَ، وإن مات أدخله الله الجنة، من دخل بيته فسلّم، فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله»[(٣)].

وقال ﷺ: «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد فهو زائر لله، وحقٌّ على المزور أن يكرم الزائر»[(٤)].

ثالثاً: وعمارة المسجد تكون بدروس العلم الشرعي فيه

قال ﷺ: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة -أي: عمّتهم-، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[(٥)].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٦٢)، مسلم (٦٦٩) واللفظ له.

(٢) **صحيح**، رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣) من حديث بريدة، والمشكاة (٧٢١)، وصححه الحاكم (١/ ٢١٢)، وابن خزيمة (١٤٩٩) من حديث سهل بن سعد، وانظر: [«صحيح الترغيب» (٤٢٥)].

(٣) **صحيح**، رواه أبو داود (٢٤٩٤)، وصححه الحاكم (٢/ ٧٣)، وابن حبان (٤٩٩)، والمشكاة (٧٢٧).

(٤) **صحيح**، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠١٦)، وانظر: [«الصحيحة» (١١٦٩)].

(٥) **صحيح**، رواه مسلم (٢٦٩٩).

وقال ﷺ: «**من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً، أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله**»[1].

***عباد الله!** المساجدُ لله، المساجد بيوتُ اللهِ، فيجب على المسلمين أن يطهروها من كل ما لا يليقُ بها.

أولاً: أن يطهروها من الشرك

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وقال تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].

• ومن الأمور التي تؤدي إلى الشرك: بناء المساجد على القبور ولذلك حذر النبي ﷺ من بناءِ المساجد على القبور.

قال ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». قالت عائشة رضي الله عنها فلولا ذاك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً[2].

• وتقول عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة جعل يُلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتم كشفها عن

---

(١) **صحيح**، رواه ابن ماجه (٢٢٧)، وأحمد (٢/ ٤١٨) وصححه الحاكم (١/ ٩١)، وابن حبان (٨٧)، وانظر: [«صحيح الترغيب» (٨٧)].

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (١٣٣٠) ومسلم (٥٢٩).

وجهه، وهو يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». تقول عائشة: يحذر مثل الذي صنعوا[1].

- وقالت عائشة رضي الله عنها لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها: مارية فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت: (فرفع النبي ﷺ رأسه فقال): «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[2].
- وقال ﷺ قبل موته بخمس: «... **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ إني أنهاكم عن ذلك**»[3].
- وقال ﷺ: «**إن من شرار الناس من تُدركهُ الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد**»[4].

ثانياً: على المسلمين أن يطهروا المساجدَ من البدع

لأن الابتداع في دين الله حرام، وقد حذر النبيُّ ﷺ فقال: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[5].

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٤٣٥-٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).
(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).
(٣) **صحيح**، رواه مسلم (٥٣٢).
(٤) **حسن**، أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥)، وصححه ابن حبان (٦٨٠٧)، وابن خزيمة (٧٨٩)، وحسنه الهيثمي (١/ ٢٤٩)، وانظر: [«تحذير الساجد» (٢٣)].
(٥) **صحيح**، سبق (ص٧٥).

وقال ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[2].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «**كل بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة**»[3].

وقال الإمام مالك: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم دينا) [4].

وقال أبو إدريس الخولاني: (لأن أرى في المسجد ناراً لا أستطيع إطفاءها أحب إليّ من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها) [5].

ثالثاً: على المسلمين أن يطهروا المساجد من أمور الدنيا

١- كإنشاد الضالة

فإن هذا حرامٌ. قال ﷺ: «**من سمع رجلاً ينشدُ ضالةً -أي: يطلبها- في المسجد فليقل: «لا ردّها الله عليك، فإن المساجد لم تُبن لهذا»**[6].

وقال ﷺ للأعرابي الذي نشدَ جَمَلَهُ الأحمرَ في المسجد: «**لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له**»[7].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أهل السنة» (١٢٦).

(٤) «الابتداع» (١٧١).

(٥) «الاعتصام» (١/ ٨٢).

(٦) **صحيح**، رواه مسلم (٥٦٨).

(٧) **صحيح**، رواه مسلم (٥٦٩).

٢- وكالبيع والشراء

فإن البيع والشراء في المسجد حرامٌ قال ﷺ: «**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك**»[١].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد[٢].

رابعاً: على المسلمين أن يطهروا المساجد من الروائح الكريهة والقاذورات ومما لا يليقُ بالمسجدِ

١-كأكل البصل والثوم وشرب الدخان وغيرها

قال ﷺ: «**من أكلَ من هذهِ الشجرة -يعني الثوم- فلا يقربَنَّ مسجِدَنَا**»[٣]. وفي رواية لمسلم: «**مساجدنا**».

وقال ﷺ: «**من أكل البصلَ، والثومَ، والكُرّاثَ، فلا يقربَنّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»[٤].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب يوم الجمعة فقال في خطبته: ثم إنكم أيها الناسُ تأكلون شجرتين ما أراهُما إلا خبيثتين: البصل، الثوم. لقد

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (١٣٢١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٠٤)، وصححه الحاكم (٢/ ٥٦)، وابن حبان (١٦٤٨)، وابن خزيمة (١٣٠٥)، وانظر: [«الإرواء» (١٢٩٥)].

(٢) **صحيح**، رواه أبو داود (١٠٧٩)، وابن ماجه (٧٤٩)، والترمذي (٣٢٢)، وأحمد (٦٣٨٩)، وصححه ابن خزيمة (١٣٠٤)، وانظر: [«الثمر المستطاب» (٦٧٦)].

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).

(٤) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤) والسياق له.

رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحَهُما مِنَ الرجلِ في المسجد أمر به فأُخرج إلى البقيع فمن أكلهما، فليمتهما طبخاً[1].

٢- وكالبول والبصاق وغيره

• قال ﷺ: «**البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»[2].

• وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: «**رأى في جدار القبلة مخاطاً، أو بزاقاً، أو نخامة فحكه**»[3].

• وقال ﷺ للرجل الذي بال في المسجد: «**إن هذه المساجد لا يصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله -تعالى-، والصلاة وقراءة القرآن**»[4].

• وقال ﷺ: «**من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة تفله بين عينيه**»[5].

• وقال ﷺ: «**يُبعث صاحب النخامةِ في القبلة يوم القيامة وهي في وجهه**»[6].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٥٦٧).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٠٧)، ومسلم (٥٤٩).

(٤) **صحيح**، رواه مسلم (٢٨٥).

(٥) **صحيح**، رواه أبو داود (٣٨٢٨)، وصححه ابن حبان (١٦٢٧)، وابن خزيمة (٩٢٥)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٢٢)].

(٦) **صحيح**، صححه ابن حبان (١٦٣٦)، وابن خزيمة (١٣١٣)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٢٣)].

عباد الله! فالذي يؤذي المسلمين بأي رائحةٍ كريهة آثمٌ، والذي يؤذي المسلمين بأي شيءٍ يلقيه في المسجد آثمٌ، والذي يؤذي المسلمين بصوت جهازه الخلوي آثمٌ، والذي يؤذي المسلمين بتخطي الرقاب في يوم الجمعة آثمٌ، والذي يؤذي المسلمين بصوته العالي في المسجد آثمٌ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

ورسول الله ﷺ أمرنا أن ننظف المساجد من كل ما يؤذي المسلمين.

• تقول عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله ﷺ ببناءِ المساجد في الدُّور -أي: القبائل- وأن تُنظف وتُطيب[1].

• وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتخذ المساجد في ديارنا -أي: في قبائلنا- أحيائنا- وأمرنا أن ننظفها[2].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن امرأة سوداء كانت تقُمُّ المسجد -أي: تكنسهُ- ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها بعد أيام فقيل له: إنها ماتت. فقال ﷺ: «**أفلا كنتم آذنتموني؟**» -أي: أعلمتوني بموتها حين ماتت- فأتى قبرها فصلى عليها[3].

---

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (٤٥٥)، والترمذي (٥٩٤)، وابن ماجه (٧٥٨، ٧٥٩)، وصححه ابن حبان (١٨٣٢)، وابن خزيمة (١٢٩٤)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٧٢٤)].

(٢) **حسن لغيره**، رواه أحمد (٥/ ١٧) وهذا لفظه، وأبو داود (٤٥٦)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٧٢٤)].

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٦٠)، ومسلم (٩٥٦).

*عباد الله! المساجد لله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾، والدعوة فيها يجب أن تكون لله، لا لحزب، ولا لفكرٍ، ولا لجماعة. قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

فيجبُ على العلماءِ والوعاظِ والخطباءِ وأئمة المساجدِ أن يستخدموا المساجد في الدعوة إلى الله تعالى.

كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

وأمر اللهُ رسولَهُ أن يقول للناس: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

- فعلى خطيب الجمعة أن يدعو الناس في خطبته إلى الله؛ يذكرهم بالله؛ ويذكرهم بنعم الله عليهم، ويذكرهم بالموت والقبرِ والبعث والحساب والجنة والنار. فإن الله سبحانه سمى خطبةَ الجمعة ذكراً.

فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الجمعة] ورسول الله ﷺ سمى خطبة الجمعة ذكراً.

قال ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكةُ على أبوابِ المسجد، يكتبون من جاءَ من الناس على قدر منازلهم؛ فرجل قدم جزوراً، ورجلٌ**

قدم بقرةً، ورجلٌ قدمَ شاةً، ورجلٌ قدم دجاجةً، ورجلٌ قدم عصفوراً، ورجلٌ قدم بيضةً، فإذا أذن المؤذن، وجلس الإمام على المنبر طووا الصحف، ودخلوا المسجد يستمعون الذكر»[1].

وقال ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غُسلَ الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنةً، ومن راح في الساعةِ الثانية، فكأنما قرب بقرةً، ومن راح في الساعةِ الثالثة، فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمامُ، حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[2].

وقال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كلِّ بابٍ من أبواب المسجد ملائكةٌ يكتُبون الناس على قدر منازلهم؛ الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر»[3].

فلا يجوز لخطيب الجمعة أن يجعلها سباً وشتماً، أو أن يجعلها دعوةً لحزبٍ أو فكرٍ أو تنظيمٍ أو جماعةٍ، يوالي ويعادي من أجلها، فإن هذه دعوةٌ جاهليةٌ تُفرقُ الأمة والله -عز وجل- يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

(١) حسن، رواه أحمد (٣/ ٨١)، والنسائي (١٣٨٧)، وانظر: [«صحيح الترغيب» (٧١١)]، وحسنه المنذري، واستنكر الشيخ لفظ عصفور، وصوب: دجاجة، لكنه عند أحدهما بهما معاً.

(٢) صحيح، متفق عليه، رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

(٣) صحيح، متفق عليه، رواه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠)، وهذا لفظ ابن ماجه (١٠٩٢).



قصةُ موسى -عليه السلام-
فضائل موسى -عليه السلام-
جرائمُ فرعون -عليه لعنة الله-

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلمُ فيها عن قصص أولي العزم من الرسل. أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى -عليه السلام-**.

عباد الله! قصة موسى عليه السلام مع فرعون -عليه لعنة الله-، قصة تتكرر في كل زمانٍ ومكانٍ، فهي تُصور الصراع بين الحق والباطل، وبين جند الرحمن وجندِ الشيطان، وبين أولياء الله وأعداء الله، وبين أئمة الهدى وأئمة الضلال.

• موسى عليه السلام في هذه القصة جاء بالحق من عندِ ربه يظهرُ ذلك من قوله لفرعون: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا

ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٠٤، ١٠٥] ومن قوله لقومه بعد أن ذاقوا أنواع الأذى والعذاب من فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف].

• وأما فرعون –عليه لعنة الله– في هذه القصة فقد جاء بالباطل من عند هواه والشيطان ويظهر ذلك من قوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف] ومن قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات].

*عباد الله! المعركة بين الحق والباطل في كل زمان ومكانٍ واحدةٌ، ونتيجتها أيضاً واحدةٌ وهي انتصارُ الحق وأهله، وهزيمة وهلاك الباطل وأهله، وتظهر هذه النتيجة في قصة موسى عليه السلام مع فرعون –عليه لعنة الله– من قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص].

ومن قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء].

*عباد الله! وقد أخبرنا الله في كتابه في أول سورة القصص عن قصة موسى مع فرعون مجملةً، ثم فصلها لنا بعد ذلك في نفس السورة.

فيقول سبحانه: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً

﴿مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)﴾ [القصص].

عباد الله! تعالوا بنا لنتعرف في هذا اليوم على موسى عليه السلام من خلال الكتاب والسنة.

- موسى عليه السلام من أولي العزم وكان رسولاً نبياً

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]. وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١)﴾ [مريم].

- موسى عليه السلام الذي كلمهُ اللهُ -عز وجل- بلا واسطةٍ

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)﴾ [الشعراء].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**سألتُ ربي مسألةً، ووددتُ أني لم أسأله، قلتُ: يا ربّ! كانت قبلي رسلٌ؛ منهم من سخّرتْ له الرياحُ، ومنهم من كان يُحيي الموتى، و[كلمت موسى]. قال: ألم أجدك يتيماً، فآويتك؟ ألم أجدك ضالاً؛ فهديتكُ،**

ألم أجدك عائلاً؛ فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك ووضعتُ عنك وزرك؟ قال: فقلت: بلى يا رب! فودِدتُ أن لم أسأله»[1].

وقال ﷺ في حديث الشفاعة: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذلك؟ يجمعُ [الله] الناس -الأولين والآخرين- في صعيدٍ واحدٍ يُسمعهم الدّاعي؛ وينفذهم البصر وتدنو [منهم] الشمس، فيبلغ الناس من الغمِّ والكربِ ما لا يُطيقون، وما لا يحتملون، فيقول [بعض] الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؛ إلى] ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون [إلى] من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم عليه السلام ... ثم يأتون نوحاً عليه السلام ... ثم يأتون إبراهيم عليه السلام فيقول: نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله، فضّلك الله برسالاته وبكلامه على الناس؛ اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَهُ مثلهُ، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ..»[2].

عباد الله! أدلةٌ من الكتاب والسنة تدل على أن الله كلّم موسى تكليماً، وفي هذا تشريفٌ لموسى عليه السلام فهو كليمُ الله، وفي هذا ردٌ على المعتزلة وفرق الضلالِ الذين يُنكرون أن الله كلّم موسى تكليماً.

(١) **صحيح**، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٩)، وفي «الأوسط» (٣٧٩٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢٩٩١)، وصححه الحاكم (٢/ ٥٢٧).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

• موسى عليه السلام الذي أثنى الله -عز وجل- عليه في كتابه، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا (٥١) وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا (٥٢) وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا (٥٣)﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤)﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ (٣٩)﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي (٤١)﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا (٦٩)﴾ [الأحزاب].

قال بعضُ السلف: كان من وجاهته أنهُ شفع في أخيه عند الله، وطلب منهُ أن يكون معه وزيراً، فأجابه اللهُ إلى سؤاله وأعطاهُ طلبتهُ وجعلهُ نبياً.

قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي (٣١) وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي (٣٢) كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا (٣٣) وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا (٣٥) قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦)﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا (٥٣)﴾ [مريم].

• موسى عليه السلام الذي خط الله -عز وجل- له التوراة بيده، قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾ [الأعراف:١٤٥].

وفي حديث احتجاج آدم وموسى -عليهما السلام- عند ربهما قال آدم: «أنت موسى. اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك -أي: التوراة- بيده»[1].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٦١٤)، و مسلم (٢٦٥٢).

• موسى عليه السلام الذي ضرب أروعَ الأمثلة في الصبر على الأذى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنّ موسى كان حَيِيّاً سَتِّيراً، لا يُرى مِن جلدِهِ شيءٌ؛ استحياءً منه -وفي طريق: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عُراةً؛ ينظرُ بعضهم إلى سوأةِ بعض، وكان موسى يغتسل وحدهُ-، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: [والله] ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده؛ إما برصٍ، وإما أُدْرَةٍ -أي: نفخة في الخصية-، وإما آفةٍ، وإن الله أراد أن يُبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغَ؛ أقبل إلى ثيابه ليأخُذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي [يا] حجر! ثوبي [يا] حجر! حتى انتهى إلى ملإٍ من بني إسرائيل، فرأوه عُرياناً أحسن ما خلق الله فقالوا: [والله ما بموسى من بأس] وأبرأهُ مما يقولون، وقام الحجرُ، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه**».

[قال أبو هريرة]: فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً[1].

فذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب] وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف:٥].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: لما كان يومُ حنين؛ آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة؛ فأعطى الأقرع بن حابس مئةً من الإبلِ، وأعطى عُيينة مثل ذلك، وأعطى أُناساً من أشرف العرب، وآثرهم -يومئذٍ- في القسمة، فقال رجلٌ من الأنصارِ: والله؛ إذن هذه لقسمة ما عُدِلَ فيها! وما أُريد فيها وجه الله!! قال: فقلت: والله لأخبرنّ رسول الله ﷺ، قال: فأتيته [وهو في أصحابه]، فأخبرته (وفي رواية: فساررته) بما قال، قال: فتغيّر (وفي رواية: فتمعَّر) وجهه؛ حتى كان كالصِّرفِ. (وفي رواية: فغضب من ذلك غضباً شديداً، واحمّر وجهُه) [حتى تمنيتُ أني لم أذكره له]، ثم قال: «**فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟!**». قال: ثم قال: «**يرحم الله موسى؛ قد أوذيَ بأكثر من هذا فصبر**»[1].

• موسى عليه السلام صاحب الشريعة العظيمة والأمة الكثيرة في زمانه.

عباد الله! شريعة موسى عليه السلام كانت شريعة عظيمةً ومن الأدلة على عظيم شريعته قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء].

عباد الله! فشريعة موسى عليه السلام شريعةٌ عظيمةٌ في زمانه، وشريعة محمدٍ ﷺ أعظم شريعةٍ على الإطلاق. وأمة موسى عليه السلام أمةٌ كثيرةٌ، ولكنّ أمة

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

محمدٍ ﷺ أكثر منها، والدليل على ذلك قال ﷺ: «**عُرضت عليّ الأمم؛ فرأيت النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه الرُهيطُ (وفي رواية النفر)، [والنبي يمر معهُ العشرة، والنبي يمر معه الخمس]، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحدٌ (وفي رواية: يمر وحده)، [فنظرت]؛ إذ رُفِع لي سوادٌ عظيم (وفي رواية: كثير) [سد الأفق] فظننت أنهم أمتي (وفي رواية: قلت: يا جبريل! هؤلاء أمتي؟ قال: لا) فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه؛ ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقال لي: انظر إلى الأفق الآخر؛ فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أُمتكَ ومعهم سبعون ألفاً قُدَّامَهُم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»[1].

• موسى عليه السلام الناصح الأمينُ لأمته، ولأمة محمدٍ ﷺ ويظهر ذلك من حديث الإسراء والمعراج.

يقول ﷺ: «**ثم عرج بنا إلى السماء السادسة. فاستفتح جبريل** عليه السلام **قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ فرحّبَ ودعا لي بخير**».

وفيه: «فأوحى الله إليّ ما أوحى. ففرض عليّ خمسين صلاةً. في كل يوم وليلةٍ. فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاةً. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يُطيقون ذلك؛ فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٤١٠، ٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب! خفف على أمتي فحطّ عني خمساً. فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمساً. قال: إن أمتك لا يُطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد! إنهن خمسُ صلواتٍ كل يوم وليلةٍ. لكل صلاةٍ عشرٌ فذلك خمسون صلاة.

ومن همّ بحسنةٍ فلم يعملها كُتبت له حسنةً. فإن عملها كُتبت له عشراً ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً. فإن عملها كُتبت سيئةً واحدةً. قال: فنزلت حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ منه»[1].

وهذا دليلٌ على شفقة موسى عليه السلام ونصحه لرسولنا ﷺ وأمته، وهذا هو خُلقُ الأنبياء جميعاً.

***عباد الله!** يقول الله -عز وجل- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [القصص] فهذا موسى عليه السلام رسول الله، من أولي العزم، أما فرعون -عليه لعنة الله- إمام الضلالة فجرائمه ومعاصيه عظيمة خطيرة. فتعالوا بنا لنتعرف على جرائمه من خلال كتاب الله:

• فرعون -عليه لعنة الله- الذي قال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝﴾ [النازعات].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٦٢).

• فرعون –عليه لعنة الله– الذي قال لقومه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص].

• فرعون –عليه لعنة الله– الذي قال لقومه: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف].

• فرعون –عليه لعنة الله– الذي قال: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر]، وقال: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف].

• فرعون –عليه لعنة الله– الذي قال لقومه عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾ [الشعراء].

• فرعون –عليه لعنة الله– الذي قال للسحرة بعد أن آمنوا: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١﴾ [طه].

• فرعون –عليه لعنة الله– الذي كذب وعصى، وأضل قومهُ وما هدى، قال تعالى في وصفه: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات]، وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ [طه].

• فرعون -عليه لعنة الله- الذي علا في الأرض وكان من المفسدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

عباد الله! هذا فرعون -عليه لعنة الله- وهذه جرائمه، ولذلك أهلكه الله، وجعلَ في هلاكِه عبرةً لمن أراد أن يعتبر.

قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص].

عباد الله! قصة موسى عليه السلام مع فرعون -عليه لعنة الله-، معركةٌ بين الحق والباطل ... معركةٌ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بين موسى عليه السلام وفرعون.



قصة موسى -عليه السلام-

من ولادته إلى أن خرج من بلاد مصر خائفاً من فرعون

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى -عليه السلام- من ولادته إلى أن خرج من بلاد مصر خائفاً من فرعون.**

عباد الله! موسى عليه السلام وُلد في ظروفٍ صعبةٍ جداً.

- يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياءَ وملوكاً، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك، ما يَشكون فيه، وكانوا يظنون أنه يوسف ابن يعقوب. فلما هَلَكَ قالوا: ليس هكذا كان وعد إبراهيم.

فقال فرعون: فكيف ترون؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشّفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا ذلك. فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم والصّغار يُذبحون، قالوا: ليُوشِكَنّ أن تُفنوا بني إسرائيل فتصيروا أن تُباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاماً كل مولودٍ ذكر، فيقل نباتهم، ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً، فيشبّ الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مُكاثرتهم إياكم، ولن يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم. فأجمعوا أمرهم على ذلك، فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يُذبح فيه الغلمان، فولدته علانيةً آمنةً، فلما كان من قابلٍ حملت بموسى عليه السلام، فوقع في قلبها الهمّ والحُزن ما دخل عليه وهو في بطن أمه، مما يُراد به.

فأوحى الله إليهم أن ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص][1].

ويخبرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه عن الظروف الصعبة التي وُلد فيها موسى عليه السلام فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ [القصص].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوتٍ ثم تُلقيه في اليم. فلما ولدت فعلت ذلك، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان،

---

(١) **صحيح**، أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى (٢٥٦٣)، وانظر: [«مشكل الآثار» (٥٢)].

فقالت في نفسها: ما فعلت يا بني؟!، لو ذُبح عندي فواريته وكفنته كان أحبّ إليّ من أن ألقيه إلى دوابّ البحر وحيتانه).

• قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص]. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ هذا الوحي وحي إلهامٍ وإرشادٍ؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل:٦٨]، وليس هو بوحيٍّ نبوة[1].

قال الإمام ابن العربي -رحمه الله-: (هذه الآية من أعظم آي القرآن فصاحةً؛ إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان)[2].

فالأمران هما: أرضعيه، ألقيه. والنهيان هما: لا تخافي، ولا تحزني. والبشارتان والخبران هنا: إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

***عباد الله!** يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (فانتهى الماءُ به حتى أوفى به عند فرضةِ مُستقى جواري امرأة فرعون، فلما رأينه أخذنه فَهَمَمْن أن يفتحن التابوت، فقال بعضهن: إن في هذا مالاً، وإنا إن فتحناه لم تُصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يُخرجن منه شيئاً حتى دفعنه إليها. فلما فتحته رأت فيه غلاماً، فألقي عليها منه محبةٌ لم يُلق منها على أحدٍ قط.

وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من ذكر كل شيءٍ، إلا من ذكر موسى. فلما سمع الذبّاحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه.

---

(١) «صحيح الإنباء» (ص٢٥٦).

(٢) «أحكام القرآن» (٣/ ٤٩١).

فقالت لهم: أقِروه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم. فأتت فرعون فقالت: [قرةُ عين لي ولك] فقال فرعون: يكون لك، فأما لي فلا حاجة لي فيه؛ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي يُحلفُ به لو أمرّ فرعون أن يكون قُرة عين له، كما أمرّت امرأته، لهداه الله كما هداها، ولكن الله حرمه ذلك**».

فأرسلت إلى من حولها، إلى كل امرأةٍ لها لبنٌ لتختار له ظئراً، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت امرأةُ فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فأحزنها ذلك. فأمرت به فأُخرج إلى السوق ومجمع الناس، ترجو أن تجد له ظئراً تأخذه منها، فلم يقبل وأصبحت أم موسى والهاً، فقالت لأخته: قُصّي أثره واطلبيه، هل تستمعين له ذكراً؟ أحيٌّ ابني أم قد أكلته الدواب؟ ونسيتْ ما كان الله وعدها فيه، فبصُرتْ به أخته عن جُنبٍ وهم لا يشعرون -والجنب: أن يسمو بصرُ الإنسان إلى شيءٍ بعيد، وهو إلى جنبه، وهو لا يُشعر به-.

فقالت من الفرح حين أعياهم الظئورات: أنا أدلكم على أهل بيتٍ يكفلونه لكم وهم له ناصحون. فأخذوها فقالوا: ما يُدريك؟ ما نصحهم له؟ هل تعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظئورة الملك، ورجاء منفعة الملكِ. فأرسلوها فانطلقت إلى أمها، فأخبرتها الخبر، فجاءت أمه، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصّه

حتى امتلأ جنباه ريّاً، وانطلق البُشراء إلى امرأة فرعون يُبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئراً.

فأرسلت إليها فأتت بها وبه، فلما رأت ما يصنعُ بها قالت: امكثي ترضعي ابني هذا، فإني لم أحب شيئًا حبّه قط. قالت أم موسى: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تُعطينيه، فأذهب به إلى بيتي، فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت، فإني غير تاركةٍ بيتي وولدي، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فيه، فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز موعوده، فرجعت به إلى بيتها من يومها، وأنبته الله نباتاً حسناً، وحُفظ لما قد قضى فيه).

يقول الله عز وجل: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص].

***عباد الله! في هذه الآيات فوائدُ**

الفائدةُ الأولى: «احفظ الله يحفظك»

فها هي أمُّ موسى عليها السلام حفِظَتْ ربها بأن استجابت لأمره ونهيه عندما قال لها: ﴿أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ [القصص:٧]، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ [القصص:١٣].

فحفظها اللهُ وثبتها على الإيمان، وحفظ ولدها وردَّهُ إليها كما وعدها ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ [القصص].

• فالذي ثبت قلب أم موسى بأن جعلها تضع موسى عليه السلام في التابوت ثم تلقه في اليم ... إنه هو الله. والذي حفظ موسى في اليم .. إنه هو الله. والذي حفظ موسى في بيت فرعون ... إنه هو الله. والذي ألقى محبة موسى في قلب امرأة فرعون .. إنه هو الله. والذي جعل موسى لا يقبل ثدياً إلا ثدي أمه .. إنه هو الله. والذي ردّ موسى إلى أمه .. إنه هو الله.

ولذلك امتن الله -سبحانه وتعالى- بهذه النعم على موسى عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه:٣٧-٤٠].

عباد الله! وقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام! إني أُعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(١)].

(١) **صحيح**، سبق تخريجه (ص١٨٦).

وفي رواية غير الترمذي: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرّفْ إلى الله في الرخاء يعرفك في الشّدةِ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكربِ وأن مع العُسرِ يُسراً**».

فيا عبد الله! احفظ الله يحفظك، فهذا إبراهيم عليه السلام حفظ الله فحفظه الله في النار، وهذا يوسف عليه السلام حفظ الله فحفظه الله من فتنة امرأة العزيز، وحفظه في السجن. وهذا يونس عليه السلام حفظ الله فحفظه الله في بطن الحوت. وهذا محمدٌ ﷺ حفظ الله فحفظه الله في الغار.

الفائدة الثانية: الأخذ بالأسباب من ديننا

عباد الله! فها هي أمُّ موسى عليه السلام أوصى الله إليها فقال: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص] ومع ذلك أخذت بكل أسباب النجاة لولدها: فأرضعته، ووضعته في تابوتٍ محكمٍ، وقالت لأخته قُصيه.

• فالتوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب فكلاهما واجبٌ.

• فها هي مريم يأمرها ربنا -جل وعلا- بالأخذ بالأسباب فيقول سبحانه لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم:٢٥، ٢٦].

وإلا فالله -عز وجل- قادرٌ على أن يرزقها بدون الأخذ بالأسباب كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ [آل عمران].

وإنما يريد الله -عز وجل- أن يُعلّم عباده أن الأخذ بالأسباب من الدين.

• وها هي أمّ إسماعيل عليه السلام التي قالت لإبراهيم عليه السلام عندما تركها وابنها في وادٍ غير ذي زرعٍ: يا إبراهيم! لمن تتركنا هاهنا، فقالت له ذلك مراراً وهو لا يلتفت إليها، فقالت: يا إبراهيم آلله أمرك بهذا؟ فقال لها: نعم، فقالت: إذاً لا يضيّعنا. وهذا توكلٌ منها على الله -عز وجل- ومع ذلك أخذت بأسباب النجاةِ لها ولابنها، فأخذت تبحثُ عن الماء هنا وهناك، وتصعدُ على الصّفا وتنظر ثم تسعى بين الصفا والمروة، وتصعدُ على المروة وتنظر، فعلت ذلك سبع مراتٍ تبحث عن الماء، وهذا كله من الأخذ بالأسباب.

عباد الله! فالأخذُ بالأسبابِ واجبٌ، والتوكلُ على الله واجبٌ، ولذلك قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات]، ثم أمر بالسعي على الرزق قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك:١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران].

ثم أمر بالأخذ بأسباب النصر فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]. فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، وإنما المرادُ من التوكل بعد الأخذ بالأسباب عدم الالتفات إليها والاعتماد عليها.

الفائدة الثالثة: الإيمانُ يزيدُ وينقصُ.

وهذا يؤخذ من قوله تعالى عن أمِّ موسى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ -أي: من كل شيءٍ من أمور الدنيا إلا من موسى- ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص]. والمراد بالإيمان هنا: زيادته.

عباد الله! الإيمان نطقٌ باللسان، واعتقادٌ في القلب، وعملٌ بالجوارح يزيد بالطاعة وينقصُ بالمعصية. ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، الحياءُ شعبةٌ من الإيمان**»[1].

الفائدة الرابعة: ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص:١٣]

عباد الله! وعدَ اللهُ أمِّ موسى أن يردَّ إليها ولدها وأن يجعلَهُ من المرسلين قال تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص] فرد اللهُ موسى عليه السلام إلى أمه كما وعدها قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له.

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم].

والله -عز وجل- يقول أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [فاطر:٥]، ويقول سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يونس]، ويقول -عز وجل- ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر:٧٧]..

عباد الله! وقد وعد اللهُ المؤمنين الصادقين الذين يعملون الصالحات أن ينصرهم على عدوهم ويمكنهم في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]. وقد نصر اللهُ رسولَهُ والمؤمنين كما وعدهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة:٢٥].

- ووعد اللهُ المؤمنين أن يدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١﴾ [مريم].

عباد الله! وأدخلهم اللهُ الجنة كما وعدهم فهاهم أهلُ الجنة إذا دخلوا الجنة يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر].

وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [الأعراف].

فيا عباد الله! إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنكُم الشيطان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

وها هو الشيطان في نار جهنم مع حزبه يعترفُ أن وعد الله حق.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم].

***عباد الله!** يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (فلما بلغ أشُدّه وكان من الرجال لم يكن أحدٌ من آل فرعون يخلص إلى أحدٍ من بني إسرائيل معه بظلم ولا سُخرة، حتى امتنعوا كل الامتناع. فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة

إذا هو برجلين يقتتلان، أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى غضباً شديداً، لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم، لا يعلم الناس إلا أنما ذلك من الرّضاع، إلا أمّ موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك ما لم يُطلعْ عليه غيره.

فوكز موسى الفرعوني فقتله، وليس يراهما أحدٌ إلا الله -عز وجل- والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص]، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص] فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار. فأتي فرعون فقيل له: إنّ بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون، فخذْ لنا بحقنا ولا تُرخص لهم.

فقال: ابغُوني قاتله ومن يشهد عليه، فإن الملك وإن كان صفوه على قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت. فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم. فبينما هم يطوفون ولا يجدون ثبتاً إذ موسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي يُقاتل رجلاً آخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه، وكرَه الذي رأى، فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني.

فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [القصص] فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعدما قال له ما قال، فإذا هو غضبانُ كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعدما قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ

﴿١٨﴾، أن يكون إياه أراد، ولم يكن أرادهُ إنما أراد الفرعوني. فخاف الإسرائيلي وقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِ﴾، وإنما قالهُ مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتُلَهُ فتتاركا، وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [القصص] فأرسل فرعون الذّباحين ليقتلوا موسى، فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هينتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم، فجاء رجلٌ من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر)[1].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص].

عباد الله! في هذه الآيات فوائد:

الفائدة الأولى: من اعترفَ بذنبه واستغفرَ ربهُ غفر له.

وهذا يؤخذ من قولِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفعله عندما وكز القبطي فقضى عليه: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص].

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٣١٠).

قال القرطبي -رحمه الله-: ندم موسى عليه السلام على هذا الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه.

قال قتادة: عرف والله المخرج فاستغفر، ثم لم يزل ﷺ يعدّ ذلك على نفسه مع علمه بأنه قد غفر له، حتى إنه في القيامة يقول: «إني قتلت نفساً لم أومَر بقتلها». وإنما عدّه على نفسه ذنباً وقال: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر، وأيضاً فإن الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم[1].

عباد الله! فالاعتراف بالذنب والاستغفار والندم سببٌ للمغفرة.

• فهذا يونس عليه السلام عندما التقمه الحوتُ اعترف بذنبه واستغفر، قال تعالى عنه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

• وهذا داودُ عليه السلام قال الله عنه: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص].

• وهذا آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٦/ ٤٩٧٦، ٤٩٧٧).

الفائدة الثانية: التحذير من مُعاونةِ ومناصرةِ ومساعدةِ المجرمين

وهذا يؤخذُ من قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٧﴾ [القصص] أي: لا أعين أحداً على معصية.

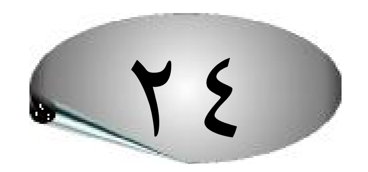
فيا عباد الله! القاتل مجرمٌ فلا يجوز لك أن تعينه على القتل، والظالم مجرمٌ فلا يجوز لك أن تعينه على الظلم، والمرابي مجرمٌ ولا يجوز ذلك لك أن تعينه على أكل الربا، والزاني مجرمٌ فلا يجوز لك أن تعينه على الزنا، وشارب الخمر مجرمٌ فلا يجوز لك أن تعينه على شرب الخمر، وبائع المخدرات مجرمٌ فلا يجوز لك أن تعينه على ترويج المخدرات.

الفائدة الثالثة: الخوف الطبيعي الفطري لا يُلامُ الإنسانُ عليه

كخوف أم موسى على ولدها قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ﴾ [القصص]. وخوف موسى من فرعون وملئه قال تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨]. ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١]. ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾ [الشعراء:٢١].

عباد الله! بعد أن قتل موسى عليه السلام القبطي أصبح في المدينة خائفاً يترقب؛ لأن فرعون أصدر قراراً بقتله. فماذا يفعل موسى عليه السلام؟ جاءه رجلٌ من أقصى المدينة يسعى قال له: يا موسى! إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين.

عباد الله! إلى أين خرج موسى عليه السلام؟ وماذا حدث له هناك في هذه البلاد؟ ومتى عاد منها إلى بلاد مصر مرة أخرى؟



قصة موسى -عليه السلام- في بلاد مدين

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الكهف:١٣].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى -عليه السلام- في بلاد مدين**

موسى -عليه السلام- يخرجُ من بلاد مصر خائفاً من فرعون

عباد الله! لما وصل الخبر إلى فرعون أن الذي قتل القبطي هو موسى، أصدر فرعون قراره للذّباحين أن يقتلوا موسى، فخرجوا لتنفيذ أمره، ولكن سبقهم رجلٌ ناصحٌ من أقصى المدينة يسعى، يحب موسى ويخافُ عليه، قال: يا موسى! إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين، فاستجاب موسى لنصيحة هذا الرجل وخرج مباشرةً من بلاد مصر خائفاً طريداً فريداً يتلفت، لم يكن قد تجهز لسفر ولم يأخذ معه ما يدله على الطريق، ولكنه توجه إلى ربه بالدعاء فقال: رب نجني من القوم الظالمين.

• قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص].

عباد الله! في هاتين الآيتين فائدةٌ عظيمةٌ ألا وهي: **أن النصيحة من الدين** قال ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

*والنصيحةُ من أخلاق الأنبياءِ والصالحين.

فهذا نوحٌ عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢].

وهذا هودٌ عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

وهذا صالحٌ عليه السلام يقول لقومه بعد أن هلكوا: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وهذا الرجلُ الصالحُ الذي جاء من أقصا المدينة يقول لموسى:

﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص].

وهذا مؤمنُ آل ياسين الذي جاء من أقصا المدينة يسعى يقول لقومه ناصحاً لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس].

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٥٥).

*النصيحةُ لا تكونُ أبداً من عدوٍ ولا حاسدٍ وإن ادعى النصيحةَ، فهذا إبليسُ -عليه لعنة الله- قال لآدم وحواء: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف]. فهل كان إبليسُ العدوُ المبين لآدم وحواء ناصحاً لهم؟!

وها هم إخوةُ يوسف عليه السلام الذين حسدوا يوسفَ وهموا بقتله قالوا لأبيهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [يوسف]. فهل كان إخوةُ يوسف ناصحين له عندما أخذوه من أبيه؟!

عباد الله! النصيحة غاليةٌ من أخذ بها نجا ومن ردّها هلك، فهذا موسى عليه السلام أخذ بنصيحة الرجل الذي نصحه فنجا من القوم الظالمين، أما قارون فقد نصحه قومه فلم ينتصح فهلك فـ ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود].

موسى -عليه السلام- في طريقه متجهاً إلى بلاد مدين

عباد الله! خرج موسى عليه السلام من بلاد مصر قاصداً بلاد مدين، وبلاد مدين تقعُ في جنوب فلسطين وشمال الحجاز بالقرب من خليج العقبة.

وبلاد مدين هي التي أهلك الله فيها أصحاب الأيكة، وهم قوم شعيبٍ عليه السلام، وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام بمدةٍ طويلةٍ، ولذلك فالقول الراجح من أقوال أهل العلم أن الشيخ الكبير الذي التقى به موسى عليه السلام في بلاد مدين ليس بنبي الله شعيبٍ، وإنما هو رجلٌ مؤمنٌ من قومِ شعيب.

عباد الله! ها هو موسى عليه السلام يسير في الصحراء بين مصر ومدين، يرتفع مع الجبال كلما ارتفعت، ويهبطُ إلى الوديان أينما انخفضت، يسير في ظلمة الليل إذا أظلم، وفي حرّ الشمس إذا طلعت، لا زاد معه ولا ماء، لا طعام له إلا ورق الشجر، لا يعرف الطريق إلى مدين من هذه الصحراء لأنه لم يخرج من بلاد مصر قبل ذلك، ولكنه اتجه إلى ربه أن يهديه سواءَ السبيل، فاستجاب الله له وهداه إلى الطريق الذي يوصله إلى بلاد مدين.

• قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص].

موسى -عليه السلام- في بلاد مدين

عباد الله! لما وصل موسى عليه السلام إلى بلاد مدين وورد ماءها، وكان لها بئرٌ ترده رعاء الشاءِ ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾-أي: جماعةٌ- ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ -أي: تكَفْكِفَان غَنَمَهما أن ترد مع غنمَ أولئك الرعاء لئلا يُؤذيا. فلما رآهما موسى عليه السلام رَقّ لهما وَرَحِمَهما، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾-أي: ما خبركما؟! لا تردانِ مع هؤلاء؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أي: لا يحصل لنا سَقْيٌ إلا بعد فراغ هؤلاء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[القصص]-أي: فهذا الحالُ المُلجئُ لنا إلى ما ترى. قال الله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص:٢٤].

• وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن موسى عليه السلام لما وردَ ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون، قال: فلما فرغوا أعادوا الصخرة على

البئر، ولا يُطيق رفعها إلا عَشْرَة رجالٍ، فإذا هو بامرأتين تذودان، قال: ما خطبكما؟ فحدثتاه، فأتى الحجر فرفعه، ثم لم يستقِ إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم[1].

عباد الله! بعد أن فرغَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذا العمل الصالح ذهب إلى ظل شجرةٍ وتوجه إلى ربه بالدعاء ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص]، أي: محتاجٌ.

قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين، ليس له طعامٌ إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدمهِ، وجلس في الظل وهو صفوةُ الله من خلقه، وإن بطنه لاصقٌ بظهره من الجوع، وإن خُضرة البقْلِ لتُرى من داخل جوفه، وإنه لمحتاجٌ إلى شقِّ تمرةٍ[2].

وجاء الفرج

عباد الله! موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هناك في بلاد مدين جلس تحت ظل شجرة، غريبٌ فعرض حاله على ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص] -أي: يا رب! أنا فقيرٌ إلى كرمك وجودك-.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحتاج إلى أمنٍ وأمان، ويحتاج إلى طعام فقد التصقت بطنه بظهره من شدة الجوع، ومحتاجٌ إلى زوجةٍ صالحةٍ تؤنسه، ومحتاجٌ إلى عملٍ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٥٣٠)، وابن أبي حاتم (١٥٧٤٧)، وصححه ابن كثير، انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٠)].

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ١١).

مشروعٍ ليعيش منه، والله -عز وجل- يستجيب الدعاء، فاستجاب لعبده موسى عليه السلام ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ -أي: ليثيبك ويُكافِئك على سَقْيكَ لِغَنَمنا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾- أي: ذكر له ما كان من أمره، وما جرى له من السبب الذي خرجَ من أجله من بلده، ﴿قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ، يقول: طِب نفساً وقرَّ عيناً، فقد خرجتَ من مَمْلَكَتِهم فلا حُكم لهم في بلادنا، ولهذا قال: ﴿نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص].

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص] -أي: قالت إحدى ابنتَيْ هذا الرجل. قيل: هي التي ذهبت ورَاء موسى عليه السلام قالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ -أي: لرعية هذه الغنم.

قال عمر، وابنُ عباس وغير واحد: لما قالت: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت: إنه رفع الصخرة التي لا يُطيق حملها إلا عشرة رجالٍ، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه، فقال لي: كوني من ورائي فإذا اختلفت الطريق فاحذفي بحصاةٍ أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه أفرسُ الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرّس في عمر، وصاحب يوسف حين قال: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف:٢١] وصاحبة موسى حين قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ قال: ﴿إِنِّىٓ

أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ - أي: طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى غنمه، ويزوجه إحدى ابنتيه هاتين ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ - أي: على أن ترعى غنمي ثماني سنين، فإن تبرّعت بزيادة سنتين فهو إليك، وإلا ففي ثمانية كفاية، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص] - أي: لا أشاقك، ولا أؤذيك، ولا أماريك.

قال تعالى إخباراً عن موسى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص] يقول: إنّ موسى قال لصهره: الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمان سنين، فإن أتممت عشراً فمن عندي، فأنا متى فعلت أقلّهما فقد برئت من العهد، وخرجت من الشرط، ولهذا قال: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ -أي: فلا حرج عليّ-[(١)].

قال ﷺ: «**سألت جبريل** عليه السلام **أيّ الأجلين قضى موسى** عليه السلام **قال: أكملهما وأتمهما**»[(٢)].

وهذا هو خلق الأنبياء، وهكذا ينبغي أن تكون المعاملة بين صاحب العمل والعامل فصاحب العمل يرحم العامل ويعطيه حقه، والعامل يخلص في عمله ويعطيه حقه.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٠-١٤).

(٢)، رواه أبو يعلى (٢٣٥٤)، وصححه الحاكم (٢/ ٤٠٧)، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (١٨٨٠)].

*عباد الله! ويخبرنا الله -عز وجل- في كتابه هناك في سورة القصص عما حدث لموسى عليه السلام في بلاد مدين فيقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)﴾ [القصص].

عباد الله! في هذه الآيات فوائد

الفائدة الأولى: الدعاء ينفع

قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل؛ فعليكم -عباد الله! بالدعاء-**»[1].

فهذا موسى عليه السلام الذي نحن في صدد الحديث عن قصته دعا ربه وانتفع بدعائه.

• فعندما خرجَ من بلادِ مصرَ خائفاً من فرعونَ وملئِهِ دعا ربه فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)﴾ [القصص] فاستجاب الله له ونجاهُ من القوم

---

(١) **حسن**، رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١/ ٤٩٢)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٤)].

الظالمين. وهذا يظهرُ من قولِ الشيخ الكبير له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص].

• وعندما توجه إلى بلاد مدين دعا ربه أن يهديهُ سواء السبيل، فاستجاب الله لهُ وهداهُ إلى الطريق الذي يوصلهُ إلى بلاد مدين.

• وعندما وصل إلى بلاد مدين دعا ربه فقال: ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص] فاستجاب الله له.

أولاً: أمّنه بعد خوفه.

ثانياً: زوّجه بزوجةٍ صالحةٍ.

ثالثاً: رزقه عملاً حلالاً.

كيف لا؟ والله-عز وجل- يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]. ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال ﷺ: «**ليس شيءٌ أكرَم على الله من الدعاء**»[١].

وقال ﷺ: «**إن الله حييٌّ كريمٌ، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردّهما صفراً خائبتين**»[٢].

---

(١) **حسن**، رواه ابن ماجه (٣٨٢٩)، والترمذي (٣٣٧٠)، وصححه الحاكم (١/ ٤٨٩)، وابن حبان (٨٦٧)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٩)].

(٢) **صحيح**، رواه أبو داود (١٢٧٣)، والترمذي (٣٤٧٩) واللفظ له، وابن ماجه (٣٨٥٥)، وصححه الحاكم (١/ ٤٩٧)، وابن حبان (٨٧٣)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٥)].

وقال ﷺ: «**من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب؛ فليكثر من الدعاء في الرخاء**»[1].

وقال ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوةٍ -ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم-؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**». قالوا: إذاً نكثر؟! قال: «**الله أكثر**»[2].

الفائدة الثانية: الحياء من الإيمان

عباد الله! الحياء من الإيمان

- مرّ رسول الله ﷺ على رجلٍ من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال له ﷺ: «**دعه فإن الحياءَ من الإيمان**»[3].
- وقال ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»[4].

---

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٣٣٨٢)، وأبو يعلى (٦٢٦٥)، وصححه الحاكم (١/ ٥٤٤)، وانظر: [«الصحيحة» (٥٩٣)].

(٢) **حسن**، رواه أحمد (٣/ ١٨)، وصححه الحاكم (١/ ٤٦٣)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٣)].

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

(٤) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٦).

• وقال ﷺ: «**الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر**»[1].

• وقال ﷺ: «**إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء**»[2].

• وقال ﷺ: «**ما كان الحياء في شيء إلا زانه، وما كان الفحش في شيءٍ إلا شانه**»[3].

• وقال ﷺ: «**الحياء خيرٌ كله**»[4].

• وقال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[5].

***عباد الله!** وقسم العلماء الحياء إلى قسمين:

القسم الأول: الحياء من الله وهذا يظهر من قوله ﷺ لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قالوا: إنا نستحي من الله يا رسول الله والحمد لله، قال: «**ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء**»[6].

---

(١) **صحيح**، رواه الحاكم (١/ ٢٢-٢٣)، وصححه، وانظر: [«هداية الرواة» (٥٠٢٠)].

(٢) **صحيح**، رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وأبو يعلى (٣٤٧٦)، وانظر: [«الصحيحة» (٩٤٠)].

(٣) **صحيح**، رواه الترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥)، وأحمد (٦/ ١١٢)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٥)].

(٤) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦١١٧) باللفظ الآتي، ومسلم (٣٧) واللفظ له.

(٥) **صحيح**، انظر الحاشية السابقة.

(٦) **حسن**، رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وصححه الحاكم (٤/ ٣٢٣)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٤)].

القسم الثاني: الحياء من الناس مع بعضهم كحياء الولد من والده، والمرأة من زوجها، والجاهل من العالم، والصغير من الكبير، وحياء البكر من الإفصاح بالرغبة في النكاح. تقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! إن البكر تستحي، فقال ﷺ: «**رضاها صمتها**»[1].

عباد الله! الحياء من أخلاق الأنبياء والصالحين.

- فهذا رسولنا ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه**»[2].

والله -عز وجل- يخبرنا في كتابه عن حياء رسول الله ﷺ فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

- وهذا موسى عليه السلام كان حيياً ستيراً، يقول ﷺ: «**إن موسى كان حيياً ستيراً لا يُرى من جلده شيءٌ؛ استحياءً منه ..**»[3].

عباد الله! الحياءُ خلقٌ كريمٌ للرجال عامةً وللنساء خاصةً فالمرأة جمالُها في حيائها، زينتها في حيائها، كرامتُها في حيائها.

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٥١٣٧)، ومسلم (١٤٢٠) نحوه.

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٠٤)، وأصله عند مسلم (٣٣٩).

• فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: «**كنتُ أدخل على رسول الله ﷺ وأبي بكرٍ بعد موتهما وأنا كاشفةٌ عن رأسي ووجهي، وأقول: هذا زوجي وهذا أبي فلما دفن عمر رضي الله عنه معهما كنت إذا دخلتُ عليهم أغطي على رأسي ووجهي حياءً من عمر**».

• وهذه ابنة الشيخ الكبير الذي أرسلها أبوها إلى موسى لتدعوهُ إلى أبيها، يقول الله في وصفها: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥] الحياء يا معشر النساء، الحياء يا معشر النساء ما كان الحياءُ في امرأةٍ إلا زانها، وما نزع الحياء من امرأةٍ إلا شانها، ومن الحياء يا أمة الله أن تقري في بيتك ولا تخرجي إلا لحاجةٍ، فما لنا يا عباد الله! نرى في شوارعنا رجالاً بلا رجولةٍ، ونساءً بلا حياءٍ.

الفائدة الثالثة: الضوابط الشرعية لخروج المرأة من بيتها للعمل

عباد الله! في الآيات التي معنا تظهرُ الضوابطُ الشرعية لخروج المرأة من بيتها للعمل:

أولاً: لا تخرج المرأة إلا لضرورة مُلحّةٍ وحاجةٍ يتعذر الحصول عليها إلا بالخروج، وهذا يؤخذ من قول المرأتين لموسى عليه السلام: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص].

ثانياً: عدم الاختلاط بالرجال الأجانب، وهذا يؤخذ من قول المرأتين لموسى عليه السلام: ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾. ومن قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن

﴿دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان الماشية من قرب الماء للشرب حتى لا يختلطن بالرجالِ.

ثالثاً: على المجتمع المسلم أن يعاون المرأة المسلمة التي خرجت من بيتها لحاجةٍ وضرورةٍ، وهذا يؤخذ من فعل موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

رابعاً: على المرأة المسلمة أن تبحث عمن يكفيها مؤنة الخروج من بيتها، وهذا يؤخذ من قول إحدى ابنتي الشيخ الكبير ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

إن الفتاتين وجدتا في موسى عليه السلام مخرجاً لكي لا تخرجا لسقي الماشية، ولو كانتا تريدان الخروج تحت هذه الحجة لما اقترحتا هذا، فالمؤمنة حين ترى طريقة تنهي بها خروجها من البيت، واختلاطها بالرجال؛ تسارع باقتراحها، وهنا يظهر الفارق الهائل والبون الشاسع بين سلوك المؤمنة وسلوك غيرها ممن تريد الخروج لمجرد الخروج، حتى لو لم تكن هناك ضرورة ولا حاجة، فهذا كله دليل نقص في الإيمان وخلل في التصور وحب للظهور ورغبة في تطلع الناس إليها[1].

(١) انظر: «وقفات في حياة الأنبياء» (ص١٨٤).

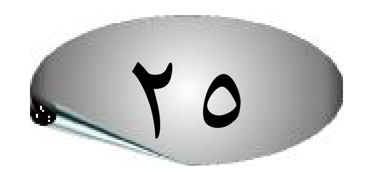
الفائدة الرابعة: يجوز للمسلم أن يعرض ابنته أو أخته على الرجل الصالح ليتزوجها

وهذا يؤخذ من فعل الشيخ الكبير عندما عرض ابنته على موسى عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص] لما تأيمت حفصة بنت عمر.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ شيئاً، وكنت أَوْجدَ عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله فأنكحتها إياه...» الحديث[1].

عباد الله! قضى موسى عليه السلام أتمّ الأجلين وأوفاهما، قضى عشر سنين. اشتاق موسى عليه السلام إلى أهله وبلاده فقرر أن يذهب لزيارتهم في خفية من فرعون وقومه فماذا حدث له في طريقه إلى بلاد مصر؟ وماذا حدث معه في بلاد مصر؟

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٥١٢٢).



قصة موسى-عليه السلام-
عند جبل الطور وموسى -عليه السلام-
في طريقه إلى بلاد مصر

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصةُ موسى -عليه السلام- عند جبل الطور وهو في طريقه إلى بلاد مصر.**

عباد الله! لما قضى موسى عليه السلام الأجل الذي بينه وبين صهره الشيخ الكبير وهو عشر سنين، سار بأهله خارجاً من بلاد مدين إلى بلاد مصر لزيارة أهله خفيةً من فرعون وقومه. وفي الطريق وفي ليلة مظلمة باردةٍ ضلّ موسى عليه السلام الطريق، فأبصر من بعيدٍ ناراً عظيمةً تتأجج فوق مكانٍ

مرتفعٍ، ففرح واستبشر، ووقع في قلبه شيءٌ من الأنس فقال لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠].

• والتعبير بقوله ﴿ءَانَسْتُ﴾ يوحي بشعوره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالأنس والطمأنينة، وتوقع الخير والنجاة، فإن النار قد جعلها الله متاعاً للمقوين، أي المسافرين والمقيمين على السواء. وقد كان العرب وغيرهم يوقدون النار في الليالي المظلمة ليهتدي بها الضال، وليأتي إليها الضيفان فيجدون عندها القِرى -أي: ما يقدم للضيف من الطعام- ويجدون عندها أيضاً من يهديهم سواء السبيل.

• قال موسى لأهله: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾. -أي: شهاب من نار-، وهذا دليلٌ على وجودِ الظلامِ.

• وقال: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ -أي: يهديني الطريق- وهذا دليلٌ على أنهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ضلَّ الطريق.

• وقال: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾ [القصص] -أي: آتيكم بجمرٍ معهُ لهبٍ لعلكم تستدفئون به-، وهذا دليلٌ على وجود البردِ.

عباد الله! وقد أخبرنا الله -عز وجل- في ثلاثة مواضع من كتابه عن الحديث الذي صار بين موسى وأهله عندما رأى النار.

الموضع الأول: في «سورة طه» قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ [طه].

الموضع الثاني: في «سورة النمل» قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [النمل].

الموضع الثالث: في «سورة القصص» قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص].

عباد الله! وقد أتى موسى عليه السلام أهله بخبرٍ وأيّ خبرٍ! ووجد عندنا هدىً وأيّ هدى، واقتبس منها نوراً وأيّ نورٍ.

***عباد الله!** أين تقع هذه النارُ التي رآها موسى عليه السلام؟ لقد أخبرنا الله عز وجل- في كتابه عن مكانها وحدّدها لنا فهي: في جانب جبل الطور، في البقعة المباركة، في الواد المقدس طوى، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النازعات].

***عباد الله!** ترك موسى أهله وذهب إلى النار التي أبصرها، فماذا حدث لموسى عليه السلام هناك في هذا المكان؟

أولاً: كلّمهُ ربُهُ وأوحي إليه

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ

ﱡﭐ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ (١٦) ﱠ [طه].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) ﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨) يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) ﴾ [النمل].

عباد الله! في هذه الآيات فوائد:

الفائدة الأولى: الرسل أفضل الناس على الإطلاق

عباد الله! يختارُ الله لرسالتهِ أفضلَ الناسِ

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، أي: هو أعلمُ حيثُ يضعَ رسالتهُ ومن يصلحُ لها من خلقه- ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣)﴾ [طه]. وقال له أيضاً: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤].

فالرسل -عليهم السلام- أفضل الناس على الإطلاق، ورسولنا محمد ﷺ أفضل الرسل، ولذلك ختم الله به الأنبياء والرسل فلا نبي بعده ولا رسول.

• قال ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولدِ إسماعيل. واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشمٍ، واصطفاني من بني هاشم**»[1].

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٢٧٦).

• وقال العباس رضي الله عنه: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال: «**من أنا؟**» قالوا: أنت رسول الله. قال: «**أنا محمدُ بن عبدالله بن عبدالمطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين، فجعلني في خير فرقةٍ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً**»[1].

• فالله -عز وجل- اختار لرسالته أفضل خلقه وهم الأنبياء والرسل، واختار لصحبة رسله أفضل الخلق بعد الرسل.

• يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمدٍ صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه ..)[2].

عباد الله! أتدرون لماذا اختار الله أفضل الناس لرسالته؟

لأنهم سيقومون بأفضل وأحسن عمل، وهو الدعوة إلى الله قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

الفائدة الثانية: التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون

عباد الله! الأنبياء والرسل جميعاً بدأوا دعوتهم بالتوحيد أولاً.

---

(١) **صحيح**، رواه أحمد (١/ ٢١٠)، والترمذي (٣٦٠٧)، وانظر: [«المشكاة» (٥٧٥٧)].

(٢) **حسن موقوف**، رواه أحمد (٣٦٠٠)، وانظر: [«شرح الطحاوية» (٥٣٠)].

• فهذا موسى عليه السلام يقول الله له: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه].

ويقول له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص].

ويقول له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل].

ويقول له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٢].

ويقول الله -عز وجل- لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وما أرسل اللهُ من نبيٍّ ولا رسولٍ إلا قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»[1].

عباد الله! دعوة الأنبياء جميعاً تشترك في ثلاثة أمور:

الأول: إفرادُ الله بالعبادةِ، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

الثاني: الحثُ على العمل الصالح والتحذيرُ من المعاصي قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟

(١) **حسن**، رواه الترمذي (٣٥٨٥)، وانظر: [«الصحيحة» (١٥٠٣)].

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

الثالث: التذكير باليوم الآخر والحساب والجزاء والجنة والنار، فما من نبيٍّ إلا قال لقومه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

الفائدة الثالثة: الساعةُ آتيةٌ لا ريب فيها ولا يعلمُ متى هي إلا الله.

• قال تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ -أي: قائمةٌ لا محالة، وكائنةٌ لا بدَّ منها ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ -أي لا أطلعُ عليها أحداً غيري- فالساعةُ آتيةٌ ولكن لا يعرفُ وقتُها نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب].

ولما سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»[1].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

عباد الله! الساعة هي القيامة، هي اليوم الذي يبعث الله فيه العباد من قبورهم ليجزيهم على أعمالهم ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم].

وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

وقال رب العزة في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمدِ الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»(١).

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»(٢).

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العـرض عريانـا — مستوحشاً قلـق الأحـشاء حيرانـا
والنار تلهب من غيظ ومـن حنـقٍ — على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يـا عبـدي عـلى مهـل — فهل ترى فيه حرفـاً غـير مـا كانـا
لمـــا قـــرأت ولم تنكـــر قراءتـــه — إقرار مـن عـرف الأشـياء عرفانـا
نادى الجليل: خذوه يـا ملائكتـي — وامضوا بعبد عصى للنار عطـشانا
المجرمـون غـداً في النـار يلتهبـوا — والمؤمنـــون في دار الخلـــد ســـكانا

ويوم القيامة إذا نصبت الموازين وحاسب الله العباد يندم المفرط في وقتٍ لا ينفع فيه الندم قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر].

- **عباد الله!** ومن رحمة الله بعبادهِ جعل للساعة علامات تدلُ على اقترابها، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد].

وها هي علاماتُ الساعةِ الصغرى تظهرُ فينا ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر].

ثانياً: أيدُه بآيتين عظيمتين (العصا واليد).

عباد الله! أيد الله موسى عليه السلام بتسع آياتٍ بينات عندما أرسله إلى فرعون وقومه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء].

أيدهُ في هذا المكان وفي هذا الوقت بآيتين عظيمتين منهم (العصا واليد)، وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص].

الآية الأولى: العصا

قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص].

عباد الله! وفي هذه الآيات فائدةٌ عظيمةٌ وهي: أن الله على كل شيءٍ قدير، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

- فهذه عصا موسى حولها الله -عز وجل- من جمادٍ إلى حيوانٍ، ومن حيوان إلى جماد.
- وهذه عصا موسى التي أمره الله أن يضرب بها الحجر فانفرج اثنتي عشرة عيناً قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة:٦٠].

• وهذه عصا موسى التي أمرهُ اللهُ أن يضرب بها البحر.

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء].

فالله-عز وجل- قادرٌ على كل شيء، قادرٌ أن يغير صفات المخلوق، كالنار مثلاً من شأنها الإحراق فأمرها الله أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء].

وقادرٌ أن يُغيِّر من ذات المخلوق، كعصا موسى عليه السلام حولها الله إلى حيةٍ تسعى، ولذلك ينبغي للمؤمن أن تكون علاقته مع الأسباب على النحو التالي:

١- ترك الأسباب بالكلية معصيةٌ، لأنها سنن الله في الكون، حيث إنه تعبدنا بها.

٢- الأخذ بالأسباب مع الاعتماد عليها شركٌ حيث يراها العبد نافعةً ضارةً فيتعلقُ بها ويؤلهها، ويتخذها أرباباً يعتقد أنها وحدها الفاعلة المؤثرة.

٣- الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله طاعةٌ وإيمانٌ ويقينٌ، وبذلك تنضبط قاعدة التعامل مع الأسباب، حيث لا نعطلها ولا نرفضها، بل نأخذ بها، ونستعملها مع التفويض الكامل لرب الأسباب، والاعتقاد الجازم أنه وحده هو الفعال كما يريد[1].

(١) انظر كتاب «وقفات في حياة الأنبياء» (ص٢٠٠).

الآية الثانية: اليد

قال تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ﴾ -أي: العصا واليد البيضاء- ﴿بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ -أي:آيتان تدلان على أنك مُرسلٌ من الله- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص].

ثالثاً: أمره أن يذهب إلى فرعونَ ليدعوه إلى عبادة الله وحده لا شريك له

قال تعالى لموسى عليه السلام ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه] -أي- اذهب إلى فرعون الذي خرجت فارّاً منه وهارباً، فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومره فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم، فإنه قد طغى وبغى، وآثر الحياة الدنيا، ونسي الرب الأعلى وقال له أيضاً: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! ماذا طلب موسى عليه السلام من ربه ليعينَهُ على هذه المهمةِ العظيمة التي كلفهُ بها؟

يخبرنا الله -عز وجل- عما طلبَهُ موسى في كتابه فيقول سبحانه على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ لأنَّ انشراح الصدر يحوِّلُ مشقةُ التكليفِ إلى متعةٍ، ويجعلُ عناءهُ لذةً ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ فإن الله إذ يسَّر لعبدهِ الأمورَ نجح في دعوته ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ

أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٥-٣٦].

وقال موسى أيضاً: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

***عباد الله!** في هذه الآيات فائدةٌ عظيمة وهي: **الأسباب التي يجب على الداعي إلى الله أن يأخذ بها لينجح في دعوته**

أولاً: الدعاء بشرح الصدر.

لا يستمر في الدعوة وتثبت أقدامه في ميدانها إلا من كان منشرح الصدر، فالداعي يقابل الصد والعناد والكبر والاستعلاء؛ ويلقى صنوفاً من الأذى يضيق معها الصدور، وهنا يطلب من الله أن يشرح صدره ليتلقى هذا كله بصبر جميل وحلم وأناة، وإذا انشرح الصدر تيسّر الأمر، وانطلق اللسان في البيان عن الله ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾.

إذا كانت الدعوة ثقيلة على النفس، فشرح الصدر يرفع الهمة حتى تصبح خفيفة سهلة هينة، فالتعامل مع الحديد والصخر والحجر ربما يكون أيسر وألين وأسهل من التعامل مع النفس البشرية، فكم من حديد لان، وكم من صخر تفتت، وكم من حجر تشقق فخرج منه الماء، وقد استطاع

الإنسان أن يتعامل مع هذا كله ويطوعه لأغراضه ومنافعه، بينما بعض النفوس قد لا تلين أبداً، وتستعصي على الفهم والقبول حتى لكأنها أشد قسوة من الحجارة كما ذكر القرآن الكريم عن بني إسرائيل، ودعاء الله فيه الذل والافتقار والتبري من الحول والقوة، ولذلك كان زاد الداعي هو طلب المدد من ربه وسؤاله المعونة على ما يستقبله، وإلا انهار وتزلزلت أقدامه وسقط من أول جولة، لذلك جاء قيام الدين بين قيامين:

١- قيام الليل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل] وهذا للدعاء والابتهال والتضرع.

٢-قيام النهار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر] وهذا للسعي بين الخلق ودلالتهم على الحق فهو، لما يقوم بالليل فإنه يقرب من رحمة الله إلى العباد، ويقوم بالنهار فيدعو عباد الله للدخول في هذه الرحمة.

ثانياً: الصحبة الصالحة

الصاحب ساحب، والمؤازرة على الحق من أسباب الهمة في الطاعات، ومن أكبر العون على مقتضيات الدعوة، فالداعي يجد الأنس والمعونة بصحبة إخوانه في الحق، وهذا ما طلبه موسى عليه السلام من ربه ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥﴾ [طه].

ثالثاً: الذكر

ذكر الله مطردةٌ للشيطان، ودخولٌ في معية الرحمن، ويقظةٌ في القلب تحييه من موته وتذيب قسوته، وتنير ظلمته، ولذلك كان من وصية الله تعالى لموسى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ١٤﴾ [طه]. ومن وصيته لموسى وهارون -عليهما السلام-: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ٤٢﴾ [طه].

عباد الله! كلما ضعف الذكر ضعف القلب، وإذا ضعف القلب صار وقع الكلام ضعيفاً، وإذا غفل عن الذكر صار قلبه ميتاً، والقلب الميت لا يحيي قلباً ميتاً مثله، بل ربما خرجت الكلمة الميتة من قلب ميت فمات بها القلب الحي، والعكس هو الصحيح أيضاً، فكل كلمة حية خرجت من قلب حي أحيا الله بها قلباً ميتاً. قال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت**»[1].

رابعاً: حسن الخلق

ومن حسن الخلق: اللينُ في القول، والكرم، والتواضع، والتبشير وغيرها من الأخلاق الحسنة، ولذلك قال تعالى لموسى وهارون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ٤٤﴾ [طه][2].

(١) **صحيح**، متفق عليه رواه البخاري (٦٤٠٧) واللفظ له، ومسلم (٧٧٩) نحوه.

(٢) انظر كتاب: «وقفات في حياة الأنبياء» (ص٢٠١-٢٠٥) بشيء من التصرف.

عباد الله! رجع موسى عليه السلام إلى أهله بالنور والهدى من عند ربه، وسار بأهله حتى وصل إلى بلاد مصر وهناك التقى مع أخيه هارون عليه السلام وأخبره أن الله أمرهما أن يذهبا إلى فرعون لأنه طغى.

ماذا قال الله -عز وجل- لموسى وهارون عليهما السلام- قبل أن يذهبا إلى فرعون؟ وماذا طلب موسى وهارون -عليهما السلام- من ربهما؟ وماذا حدث بينهما وبين فرعون؟



قصة موسى وهارون -عليهما السلام-
في قصر فرعون

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى وهارون -عليهما السلام- في قصر فرعون.**

عباد الله! وصل موسى عليه السلام إلى بلاد مصر والتقى بأخيه هارون عليه السلام وأوحى الله إليه.

فقال سبحانه: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! ماذا قال موسى وهارون -عليهما السلام- عندما أمرهما الله بالذهاب إلى فرعون الذي طغى؟

قال تعالى على لسان موسى وهارون -عليهما السلام-: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! الله -عز وجل- يطمئن موسى وهارون -عليهما السلام- فيقول سبحانه لهما: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

وقال تعالى لهما: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

عباد الله! انطلق موسى وهارون -عليها السلام- إلى قصر فرعون، فأقاما على بابه حيناً لا يؤذن لهما، ثم أذنَ لهما بعد حجاب شديد.

فماذا قال موسى وهارون -عليهما السلام- لفرعون وماذا قال لهم؟

• قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥﴾ [الأعراف].

• ماذا قال فرعون لموسى وهارون -عليهما السلام- عندما سمع هذا الكلام الذي لم يسمعهُ من قبل.

قال تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾ [الشعراء].

عباد الله! ولم يكتفِ فرعون -عليه لعنةُ اللهِ- بالمنِّ على موسى، بل قال جاحداً متكبراً: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩﴾ [طه].

• فقال له موسى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه].

• فقال فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١﴾ [طه].

• فقال له موسى: ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ٥٣ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤﴾ [طه].

عباد الله! موسى عليه السلام يثبت لفرعون بالحجة والبرهان أنه ليس رباً ولا إلهاً كما يزعم، ومع ذلك فرعون -عليه لعنة الله- يصر على كفره وعناده فيقول لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾ [الشعراء]. فيقول له موسى: ﴿رَبُّ

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء]. فيقول فرعون للملأ حولَهُ مستهزأً: ﴿أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشعراء]. فيقول له موسى ولمن حوله: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الشعراء]. فيقول فرعون -لعنه الله- ساخراً من موسى: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء].

قال لهم موسى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! أقام موسى عليه السلام الحجةَ على فرعون وملئه، وانهزم فرعونُ فلم يستطع أن يردَّ على موسى، ومع ذلك قال فرعون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص].

عباد الله! فرعونُ بعد أن انهزم أمام موسى يلجأُ إلى أسلوبِ التهديد فيقول لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء].

فيقول له موسى عليه السلام بهدوء المنتصر: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الشعراء]، أي: ببرهان قاطع واضحٍ يدلُ على صدقِ ما أقول- فقال له فرعون: ﴿فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء].

*فبادرَ فرعون بشقائه إلى التكذيب والعنادِ فـ ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [الشعراء] -أي: فاضلٌ بارعٌ في السحر.

وأخذ فرعونُ يَروجُ على ملئه أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيَّجهم وحَرَّضهم على مخالفة موسى والكفر به فقال لعنه الله: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الشعراء:٣٥].

عباد الله! ولم يكتفِ فرعون-لعنه اللهِ- بذلك بل ادعى لنفسه الربوبية تجبراً وطغياناً.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات].

وأخذ فرعونُ -لعنه الله- يسخرُ من موسى عليه السلام ويتفاخرُ بملكه،

قال تعالى عنه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

عباد الله! لقد علمَ فرعونُ وأيقن أن موسى عليه السلام جاءهُ بالحقِ من ربه ولكنه جحد هذا الحق كفراً وعناداً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من هذا اللقاء بين موسى عليه السلام وفرعون -عليه لعنة الله- فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: السلامُ والأمنُ والأمانُ والحياةُ الطيبةُ في اتباع الهدى الذي جاءت به الرسل من عند الله، والعذاب والضنك والشقاء والهلاك والذل والهوان في التكذيب والإعراض عن الهدى الذي جاءت به الرسل من عند ربهم.

وهذا يؤخذُ من قوله تعالى على لسان موسى وهارون: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨)﴾ [طه].

ومن قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧)﴾ [طه].

عباد الله! الرسلُ -عليهم السلام- جميعاً جاءوا بالهدى من عند الله، فمن تبعهم واستجابَ لهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة.

- ولذلك ما من رسولٍ إلا قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)﴾ [الشعراء].

وها هو مؤمنُ آلِ ياسين جاء من أقصا المدينة يسعى يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١)﴾ [يس].

- لأنَّ في طاعة الرسل الهدايةَ إلى كلّ خير قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾ [النور].

• ولأنَّ في طاعة الرسل الرحمةَ قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور].

وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

• ولأنَّ في طاعةِ الرسلِ الفوزَ في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

عباد الله! أما الذين يُعْرضون عما جاءتْ به الرسلُ فيهلكون في الدنيا والآخرة ومن الأمثلة على ذلك:

١- فرعون-عليه لعنةُ الله-:

قال له موسى وهارون -عليهما السلام- ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه]، ومع ذلك كذب فرعونُ وأدبرَ وعصى وتولى.

قال تعالى في وصفه: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات].

٢- عادٌ وثمود:

أعرضت عادٌ وثمود عما جاءت به الرسل فأهلكهم الله وجعلهم عبرةً لمن يعتبر، ولذلك أمر الله رسوله أن ينذر كفار مكة إن هم كذبوا وأعرضوا

أن ينزل بهم ما نزل بعادٍ وثمود قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾ [فصلت].

عباد الله! الذي يتولى عما جاءت به الرسل ويعرض عن آيات ربه مجرم ينتقم الله منه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾ [السجدة]، ولذلك حذر اللهُ عبادهُ المؤمنين من التولي والإعراضِ عما جاءت به الرسلُ.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾ [الأنفال].

- فاحذرْ يا عبد الله أن تكونَ ممن كذَّبَ بما جاءت به الرسل بقلبه، وتولى عن طاعةِ ربه بفعله فإن هذا هو الشقيُّ في الدنيا والآخرة قال تعالى:

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦)﴾ [الليل].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥)﴾ [القيامة].

ثانياً: مُراعاة أحوال المخاطبين من سنن الأنبياء والمرسلين.

عباد الله! على الدعاة إلى الله أن يراعوا أحوال المخاطبين عامةً، وأحوال الملوك والرؤساءِ خاصةً فيرفقوا بهم، ويلينوا لهم في القول.

فهذا فرعون -لعنة الله- بغى وطغى وظلم وأفسد، وادعى لنفسه الربوبية والألوهية، قال تعالى في وصفه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

ومع ذلك أرسلَ اللهُ إليه موسى عليه السلام من أولي العزمِ مع أخيه هارون عليه السلام وقال لهما: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

فلما دخل موسى وهارون -عليهما السلام- على فرعون قالا له، بكل لطفٍ ولينٍ: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾﴾ [طه].

وهذا رسولنا محمدٌ ﷺ عندما أرسل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام؛ راعى أحوالهم، وخاطبهم باللين وألطف العبارات، فهذا كتابه ﷺ إلى هرقل يقول فيه: «**بسم الله الرحمن الرحمن، من محمدٍ رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، فأسلم تسْلَم يُؤتِكَ الله أجرك مرتين**»[1].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

عباد الله! فمراعاة أحوال المخاطبين عامةً وأحوال الملوك والرؤساء -ولو كانوا كفاراً، خاصةً في الدعوة إلى الله- من سنن الأنبياء والمرسلين. فما هذا الذي نراه ونسمعه من الحزبيين والحركيين والتكفيريين من الغلظة والشدة لولاة أمر المسلمين؛ يهيجون الناس عليهم بذكر عيوبهم على المنابر ويفضحونهم على الملأ، ورسوله ﷺ يقول: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبدْ علانيةً، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه**»[1].

وقال رجلٌ: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق! فقال أبو بكرة: اسكت؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**»[2].

وقيل لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أُسمعُكم؟ -أي: أتظنون أني لا أكلمه إلا وأنتم تسمعون- والله! لقد كلمته فيما بيني وبينه. ما دون أن أفتتح أمراً لا أُحبّ أن أكون أول من فتحه -أي: المجاهرة بالإنكار على الأمراء وولاة الأمر في الملأ كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه[3].

---

(١) **صحيح**، رواه أحمد (٣/ ٤٠٤)، وانظر: [«ظلال الجنة» (١٠٩٦)].

(٢) **حسن**، رواه الترمذي (٢٢٢٤)، وأحمد (٥/ ٤٢)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٢٩٧)].

(٣) **صحيح**، رواه مسلم (٢٩٨٩).

ولهذا قال سهل بن عبدالله التستري -رحمه الله-: (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم)[1].

عباد الله! ما هذه الموازين المختلّة المنقلبة عند دعاة الاستعجال من الحركيين والحزبيين، والتكفيريين، الذي يسب ويشتم ويلعن ولاة الأمر على المنابر وفي المجالس هو البطل والشجاع، والذي لا يخاف. والذي يلين ويتلطف مع ولاة الأمر، وينصحهم فيما بينه وبينهم هو الجبان والعميل؟!

وأسوأ الجميع من رضي وتابع، وليس من الدين أن يسكت العالم عن الباطل وإن كره وأنكر في قلبه.

أم أننا نعيش في السنوات الخداعات التي أخبر عنها النبي ﷺ فقال: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خدّاعاتٌ، يُصدّق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرُّويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**»[2].

ثالثاً: الأنبياء والرسلُ والدعاةُ إلى الله لا يملكون إلا هدايةَ البيان فقط، وأما هدايةُ التوفيق فبيد الله وحده.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٥٦٢).

(٢) ، رواه ابن ماجه (٤٠٤٢)، وأحمد (٧٥٧١)، وصححه الحاكم (٤/ ٤٦٥)، وانظر: [«الصحيحة» (١٨٨٧)].

عباد الله! الهدايةُ في القرآن الكريم أربعة أنواع:

النوع الأول: الهدايةُ العامة.

وهي هداية الله كل مخلوق لما قدره له؛ من العيش في هذه الدنيا، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه].

النوع الثاني: هداية الإرشاد والتعليم وهي هداية البيان.

وهذه هي وظيفة الأنبياء وأتباعهم، فهم -بدعوتهم إلى الله- يهدون إلى سبيل الرشاد، ويعلمون الناس الهدى ودين الحق. وهي الهداية التي أثبتها الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد].

وقال موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات].

النوع الثالث: هداية التوفيق، وهي لله وحده، فهو الذي يهدي من يشاء.

قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف]، وهذه الهداية هي التي نفاها الله -عز وجل- عن غيره، وأثبتها لنفسه فقال سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص].

النوع الرابع: هداية يوم القيامة؛ وهي قسمان:

القسم الأول: هداية المؤمنين الصادقين الموحدين إلى جنات النعيم.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد].

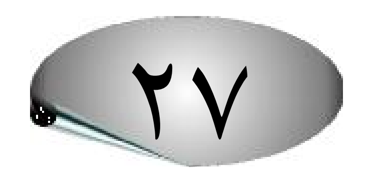
فإذا دخلوا منازلهم وجلسوا على الأسرة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

القسم الثاني: هداية الظالمين المجرمين إلى سواء الجحيم.

قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات].

عباد الله! انتصر موسى عليه السلام على فرعون في هذا اللقاء وأقامَ عليه الحجة ولكن فرعون كفر وجحد وعاندَ وقال يا موسى ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه].

قال له موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾[طه] فانطلق فرعون يجمع السحرة من كل مكان يريدُ أن ينتصر -زعم- على موسى عليه السلام.



قصة موسى-عليه السلام- والسحرة

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى -عليه السلام- والسحرة.**

عباد الله! موسى عليه السلام رسولُ ربِّ العالمين، أرسلهُ اللهُ إلى فرعونَ بالآياتِ البيناتِ التي تدلُ على صدقه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف].

فلما رأى فرعون وقومه آية العصا واليد التي أيد الله بهما موسى عليه السلام اتهموه كذباً وبهتاناً بالسحر، وأنه يريد أن يأخذ ملك البلاد من أيديهم.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ -أي: الملك- ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر].

فرعون يستشير الملأ فيما يفعله بموسى

عباد الله! لما رأى فرعون معجزة موسى: العصا واليد استشار الملأ حوله وهم: كبراء القوم وساداتهم وأعوانهم وخاصته في أمر موسى، وماذا ينبغي أن يُفعل به، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء].

أخذ فرعون وهو يستشير الملأ في شأن موسى يحرضهم عليه فيقول لهم: إن موسى يريد بسحره هذا أن يأخذ أرضكم ويخرجكم منها. والواقع أن فرعون تحيّر لما رأى معجزتي موسى: العصا واليد، وأصابه الخوف، حتى زال عنه ذكر ادعائه الألوهية، وذهب عنه كبرياؤه وادعاؤه الربوبية، وبلغت به الاستكانة والضعف للملأ -الذين هم بزعمه عبيده وهو إلاههم- إلى مرتبة

أصبح فيها يستشيرهم بأمر موسى، ويستأمرهم فيه - أي: يطلب أمرهم فيما يفعله مع موسى، وهكذا جعل فرعون العبيد آمرين: وربهم -وهو فرعون بزعمه- مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهشةِ والحيرة.

ما أشار به الملأ على فرعون بشأن موسى

عباد الله! وقد أشار الملأ على فرعون ما أخبرنا الله به.

بقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧﴾ [الشعراء] -أي: قال الملأ لفرعون مشيرين عليه بتأخير أمر موسى وأخيه حتى يجمع السحرة لمقاومته، ولم يشيروا بقتله؛ لأن حجته ظاهرة، فخشوا الفتنة وطمعوا أن تكون الغلبة للسحرةِ فتسقط حجة موسى. وانطلق فرعون ينفّذُ ما اتفقوا عليه من جمع السحرة من كل مكانٍ في البلاد.

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩﴾ [يونس].

مجيء السحرة إلى فرعون طامعين بمتاع الدنيا

عباد الله! وهكذا أمر فرعون بتجميع السحرة من مختلف أنحاء مصر، فجاؤوه طامعين بمتاع الدنيا الأجرة -على مجيئهم؛ إن غلبوا موسى بما عندهم من السحر، فوعدهم فرعون ذلك وزاد عليه أن وعدهم المنزلة الرفيعة عنده.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء].

تعيين اليوم الذي يلتقي فيه موسى مع السحرة

عباد الله! لما رأى فرعون معجزتي موسى: العصا واليد قال لموسى: هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك، وتكاثرنا بهم ولا يتم لك هذا، فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه، فاجعل بيننا وبينك يوماً نجتمع ونحن وأنت فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين، فعند ذلك قال لهم موسى: موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم وتفرغهم من أعمالهم، وأن يجمع الناس لمشاهدة المعارضة بين السحرة وموسى، في ضحوة من النهار ليكون الوقت أظهر وأجلى وأبين وأوضح للحق.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه].

اجتماع الناسِ في اليومِ والمكانِ والوقتِ الذي تم تعينهُ

قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء].

ما قاله موسى للسحرة وما تناجوا به فيما بينهم قبل المنازلة

عباد الله! اجتمع الناس في مكان المعارضة في ضحى يوم الزينة، يوم عيدهم، وجلس فرعون على سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته ووقف

الناس يمنةً ويسرةً، وأقبل موسى عليه السلام متوكئاً على عصاه ومعه أخاه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفاً، وهو يحضرهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم، ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم.

- وامرأة فرعون بارزةٌ تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه، فمن رآها من آل فرعون؛ ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمها لموسى.

وقال موسى للسحرةِ: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه] -أي: لا تُخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله فيهلككم بعقوبةٍ هلاكاً لا بقية له، ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه:٦٢] أي: تشاجروا فيما بينهم، فقائلٌ يقول: ليس هذا بكلام ساحرٍ، إنما هذا كلام نبيٍّ. وقائلٌ يقول: بل هو ساحر.

- ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ [طه] -أي: تناجوا فيما بينهم- ماذا قالوا؟ ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه].

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ **[الإسراء]**.

عباد الله! بدأت المنازلةُ بين موسى عليه السلام والسحرةُ فتقدم السحرةُ وقالوا لموسى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ [طه].

• فقال لهم موسى: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴿٤٣﴾﴾ [الشعراء].

• ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه] -أي: خاف موسى عليه السلام، على الناس أن يَفْتَتنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقى ما في يمينه.

• فأوحى الله -تعالى- إليه في الساعة الراهنة فقال: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني عصاه، فإذا هي ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ وذلك أنها صارت ثعباناً عظيماً هائلاً ذا عيونٍ وقوائم وعُنق ورأس وأضراسٍ، فجعلت تتبعُ تلك الحبال والعصي حتى لم تُبقِ منها شيئاً إلا تلقفته وابتلعته، والسحرةُ والناسُ ينظرون إلى ذلك عياناً جَهْرَةً، نهاراً صحوةً. فقامت المعجزةُ، واتضح البرهان، ووقع الحق وبطلَ السحر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه:٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف].

إيمان السحرة

عباد الله! ولما رأى السحرة انقلاب عصا موسى التي ألقاها إلى ثعبان مبين ابتلع ما ألقاه السحرة من عصي وحبال، عرفوا أن هذا ليس بسحر، وإنما هو معجزة وبرهان ساطع على أن موسى رسول من رب العالمين، فخروا ساجدين لله معلنين إيمانهم بالله رباً وبموسى رسولاً، قال تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء] فكان إيمانهم أمراً عظيماً جداً وبرهاناً قاطعاً للعذر، وحجة دامغة على أن موسى عليه السلام رسول من رب العالمين، وذلك أن الذين استنصر بهم فرعون وطلب منهم أن يغلبوا غُلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، فغُلِب فرعون غُلباً لم يشاهد العالم مثله، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوة الباطل، فشرع يتهددهم ويتوعدهم(1).

فرعونُ يتهددُ السحرة بالقتل لإيمانهم ويتهمُهم بالاتهامات الباطلة.

قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء]

---

(1) ابن كثير (٣/ ٣٣٤).

لما رأى فرعون والملأ إيمان السحرة، وقامت الحجة بإيمان أهل علمهم ومظنة نصرتهم، وقع فرعون في الورطة العظمى، فرجع إلى السحرة موبخاً لهم على إيمانهم بموسى قبل إذنه لهم بالإيمان، باعتباره أنه الحاكم المطاع.

- ثم احتج عليهم متهماً إياهم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ [طه:٧١] وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم صناعة السحر؟ ثم توعدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب(١).

- وقال تعالى حكاية عما اتهم به فرعون السحرة بعد إيمانهم: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأعراف].

عباد الله! اتهم فرعون السحرة بالمكر، أي: يتهمهم بأنه جرت بينهم وبين موسى مواطأة في الذي جرى، وهم في المدينة قبل أن يبرزوا إلى مكان المبارزة والمعارضة، وذلك لغرض الاستيلاء على مصر وطرد أهلها منها(٢).

- وقال تعالى على لسان فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه].

---

(١) ابن كثير (٣/ ٣٣٥).

(٢) القرطبي (٧/ ٢٦٠).

جواب السحرة لفرعون بعد أن دخل الإيمان في قلوبهم

عباد الله! هدد فرعون السحرة فلم ينفع ذلك فيهم، وتوعدهم فما زادهم إلا إيماناً وتسليماً؛ وذلك لأنه قد كُشف عن قلوبهم حجاب الكفر، وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر، إلا أن يكون الله قد أيده وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه، ولهذا لما هددهم بقطع الأيدي والأرجل والصلب، قالوا كما أخبرنا الله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء] (١).

- أي: لا ضرر علينا فيما تهددنا به ولا نبالي به ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ - أي: إن مرجعنا إلى الله -عز وجل- وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء-ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ﴾ -أي: ما قارفنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر-، ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾-أي: لأننا بادرنا قومنا من القبط وسبقناهم إلى الإيمان بالله وبما جاء به موسى من ربه(٢).

• وقال السحرةُ لفرعون بعد أن هددهم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

(١) ابن كثير (٣/ ٣٣٤).

(٢) ابن كثير (٣/ ٣٣٥).

• وقال السحرةُ أيضاً لفرعونَ بعد أن هددهم بالقتل: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه].

-أي: قال السحرة لفرعون لما توعدهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ -أي لن نفضلك ونفضل السلامة منك على ما رأينا من حجة الله وآياته المبينات، ولن نختارك على ما حصل لنا من الهُدى واليقين، وعلى الذي فطرنا، أي: خلقنا وهو الله -عز وجل- الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ -أي: فافعل يا فرعون ما شئت- ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ -أي: إنما قضاؤك في هذه الحياة الدنيا وتسلطك في هذه الدار، وهي دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار، التي لنا فيها النعيم ولك فيها العذاب المقيم- ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾-أي: ما كان منا من الآثام، خصوصاً ما أكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله ومعجزة نبيه- ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾-أي: خير لنا منك- ﴿وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ -أي: أدوم ثواباً مما كنت وعدتنا ومنيتنا به-.

عباد الله! ثبت السحرة على إيمانهم، وتحولوا إلى دعاة يدعون فرعون وقومه للإيمان بالله واليوم الآخر، ويخبرهم أن الناس يوم القيامة فريقان: مؤمنٌ، ومجرمٌ قال تعالى على لسان السحرة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه].

عباد الله! أما الدروسُ والعظاتُ والصبرُ والفوائدُ التي تؤخذ من هـذا اللقاءِ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: المكرُ السيئُ لا يحيقُ إلا بأهله.

• مكر فرعونُ بموسى عليه السلام عندما جمع الناسَ من كل مكان ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)﴾ [الشعراء] وجاء بالسحرة من كل مكان لينتصر بهم على موسى أمام الناس، فخذله الله أمام الناس ونصر موسى عليه وآمن السحرة، وهكذا لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾ [الأنفال].

ثانياً: الإيمان يغيرُ الإنسان

عباد الله! الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب غيرها، وغيّر الأقوال والأفعال، وجعل صاحبه يتحول من طالب دنيا إلى طالب آخره، ومن صاحب همة دنيئة إلى صاحب همة عالية وهذا يظهر جلياً في السحرة قبل الإيمان وبعده.

• فالسحرة قبل الإيمان طلابُ دنيا همتهم دنيئةٌ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء]

- السحرة بعد الإيمان أصبحوا طلابَ آخرةٍ وصارت همتهم عالية، قال تعالى في وصفهم: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه]. وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

ثالثاً: السحرُ حرامٌ

عباد الله! السحرُ حرامٌ لا يجوز للمسلمِ أن يتعلمهُ أو يُعلِّمَهُ أو أن يذهبَ إليه السحرةِ، وهذا يؤخذ من قوله تعالى على لسان السحرة: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ﴾ [الشعراء:٥١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه].

وقال تعالى على لسان موسى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال ﷺ: «**ليس منا من تطير أو تَطُيِّرَ له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[1].

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم**»[2].

رابعاً: الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير.

عباد الله! فريق الجنة هم المؤمنون وهم السعداء، وفريق النار هو المجرمون وهم الأشقياء، فيوم القيامة إذا حشر الله الناس من قبورهم للحساب وللجزاء يأتي الإنسان إما مؤمناً وإما كافراً، وهذا أخذناه من قوله تعالى على لسان السحرة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه].

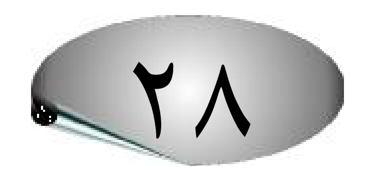
ويقول سبحانه عن فرعون ومن تبعهُ من المجرمين: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود].

---

(١) **صحيح**، رواه البزار (١١٦٩)، وعبد الرزاق (٢٠٣٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤٤١٣)، وانظر: [«الصحيحة» (٢١٩٥، ٢٦٥٠)]، وجود إسناده المنذري، انظر: [«صحيح الترغيب» (٣٠٤١)].

(٢) **حسن لغيره**، رواه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وأبو يعلى (٧٠٨٩)، وصححه ابن حبان (٦١٠٤)، وانظر: [«الصحيحة» (٦٧٨)].

عباد الله! انهزم فرعون أمام قومه للمرة الثانية، وانتصر موسى عليه السلام، وهكذا يفعلُ الحقُ بالباطل إذا التقيا قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء].



قصةُ مؤمنِ آلِ فرعون

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة مؤمن آل فرعون.**

عباد الله! جاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحق من عند ربه إلى فرعون وقومه، ورأى فرعون وقومه الآيات البينات التي أيد الله بها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والتي تدل على أنه رسولٌ من عند الله، ومع ذلك ما ازداد فرعون وقومه إلا كفراً وعناداً وتكذيباً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر].

*وأخذ الملأُ من قوم فرعونَ يهيِّجونَ فرعونَ على موسى وقومِهِ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧].

*فهاجَ فرعونُ فقالَ: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف]، ولم يكتف بذلك بل أمر باجتماعٍ طارئٍ واتخذ فيه قراراً جائراً بقتل موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر] هكذا يا عباد الله! الموازين عند أهل الباطل قديماً وحديثاً معكوسةٌ مقلوبةٌ مختلةٌ.

- فرعونُ -عليه لعنةُ الله- الذي يقولُ لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات].

  ويقول لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨].

- فرعونُ الذي ملأ الأرض فساداً بنص القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

عباد الله! هذا فرعون -لعنهُ الله- المفسدُ في الأرض إمامُ الضلالةِ يتهمُ موسى عليه السلام رسول الله بالإفساد في الأرض فيقول: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر].

- وإذا وُزِن فرعونَ وأمثالُهُ في ميزانِ الحقِ نرى أنهم هم المفسدون حقاً وهم السفهاءُ حقاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة].

• فهذا فرعون الذي يدعي الإصلاح ويخاف على بلده من موسى، ويتهم موسى بالإفساد في الأرض.

يقول الله -عز وجل- عنه: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾ [هود] فاحذروا يا عباد الله! أن تنخدعوا بموازين أهل الباطل المقلوبة المعكوسة.

***عباد الله!** وصل الخبر إلى موسى عليه السلام أن فرعون اتخذ قراراً بقتلك فماذا قال موسى وماذا فعل؟

يخبرنا الله-عز وجل- في كتابه فيقول سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧﴾ [غافر].

***عباد الله!** وكان في هذا الاجتماع -الذي اتخذ فيه فرعون قراراً بقتل موسى- رجلٌ من آل فرعون يكتم إيمانه، فلما سَمِعَ هذا الرجل هذا القرار الجائر:

أولاً: أخذ يدافع عن موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨] أي: كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ﴿رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ وقد جاءكم بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها وهي دليلٌ على صدقه أنه رسول الله-.

ثانياً: أخذ يجادل عن موسى عليه السلام قال تعالى على لسان هذا الرجل المؤمن: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر].

- الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه يجادلهم بطريقةٍ عقليةٍ تُقنع كل عاقل بأي حالةٍ قُدّرت فيقول لهم: موسى بين أمرين إما كاذبٌ في دعواه أو صادقٌ فيها، فإن كان كاذباً فكذبه عليه وضرره مختصٌّ به، وليس عليكم في ذلك ضررٌ؛ حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقاً، وقد جاءكم بالبينات وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة؛ فإنه لابدّ أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا. وهذا من حسن عقله ولطف دفعه عن موسى؛ حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تلك الحالتين، وعلى كل تقدير، فقتله سفهٌ وجهلٌ منكم.

ثم انتقل -رضي الله عنه وأرضاه وغفر له ورحمه- إلى أمرٍ أعلى من ذلك وبيان قرب موسى من الحق قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾؛ أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل، ﴿كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾﴾: بنسبته ما أسرف فيه إلى الله؛ فهذا لا يديه الله إلى طريق الصواب؛ لا في مدلوله، أو لا في دليله، ولا يوفّق للصراط المستقيم؛ أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية؛ فالذي

اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفاً ولا كاذباً. وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه[1].

فالرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه يجادل عن موسى ويقنع قومه أن يتركوا موسى وشأنه ولا يقتلوه.

عباد الله! ثم حذرهم ونصحهم وخوفهم عذاب الله ونهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾؛ أي: في الدنيا ﴿ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: على رعيتكم تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير، مهْكم حصل لكم ذلك وتمَّ ولن يتمَّ؛ ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عذابه ﴿إِن جَآءَنَا﴾. وهذا من حسن دعوته؛ حيث جعل الأمرَ مشتركاً بينه وبينهم بقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾، وقوله: ﴿إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩] ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه ويرضى لهم ما يرضى لنفسه[2].

فقام فرعون فعقّب على كلام هذا الرجل الذي لم يكشف النقاب بعد عن إيمانه ... أتدرون ماذا قال؟ قال تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ [غافر] -أي: قال فرعون لقومه ردّاً على ما أشار به الرجل المؤمن من ترك موسى وشأنه: ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي ومن ذلك أني لا أرى إلا قتل موسى ولا

(١) «تفسير الشيخ السعدي» (ص٨٧١).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٨٧١).

أستصوب غير ذلك، كما أني لا أرى لكم إلا ما أرى لنفسي من الثبات والاستمرار على تكذيب موسى والإيمان بي، وما أهديكم بهذا الرأي الذي أقوله لكم إلا سبيل الرشاد أي: سبيل الصواب والصلاح.

ثالثاً: أخذ الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه يحذر قومه عذاب الله في الدنيا الذي ينزله بالأمم الظالمة الكافرة وبعذاب الآخرة الذي هو أشد وأبقى قال تعالى على لسان هذا الرجل المؤمن: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر] ذكرهم بأمم قبلهم سادت فبادت، وظلمت فهلكت، وعلمت فسقطت، وكأنه يقول لهم العاقل من اتعظ بغيره.

• فلم ينتصح فرعون وقومه ولذلك أهلكهم الله وعذّبهم في الدنيا قبل الآخرة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

عباد الله! وخوّفهم وذكّرهم بأهوال يوم القيامة فقال لهم: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

[غافر]. ويوم التناد هو يوم القيامة؛ لأنَّ فيه ينادي أهلُ الجنة أهل النار: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف:٤٤] ونداء أهل النار لهم: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعراف:٥٠]. ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: فارّين هاربين من الفزع. ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ﴾ أي: لا مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر:٣٣].

عباد الله! واستمر الرجلُ المؤمن في وعظِهِ وتذكيره -وتخويفِهِ لهم إلى أن قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر:٣٤]. أي: كحالكم هذا يكون من يضله الله لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه ثم قال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ أي: الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل ولا حجة معهم، فإن الله عز وجل يمقت ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: والمؤمنون أيضاً يبغضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفاً ولا ينكر منكراً. ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي: عن اتباع الحق ﴿جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر:٣٥]. أي: الذي يقتل بغير حق[1].

عباد الله! وبعد أن ذكّر وخوف الرجل المؤمن فرعون وقومه من عذاب الله في الدنيا والآخرة ما ازداد فرعون إلا طغياناً وكفراً وعناداً، فقام ساخراً

---

(١) ابن كثير(٤/ ٧٩).

مستهزأ مكذباً بموسى وبما جاء به قال تعالى على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

رابعاً: الرجل المؤمن يستمر في وعظه وتذكيره ولكنه في هذه المرة يكشف عن إيمانه.

- قال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [غافر] أي: اقتدوا بي أهدكم سبيل الرشاد، أي: طريق الهدى الموصل إلى الجنة، لا كما يقول لكم فرعون؛ فإنه لا يهديكم إلا طريق الغيّ والفساد.

ثم زهد في الدنيا وذمّها وصغّر شأنها؛ لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر، ومنه يتشعب ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في الآخرة، فأخبرهم عن الحياة الدنيا بأنها شيء يُتمتع به أياماً قليلة ثم تزول هذه الدنيا ومتاعها، ورغّبهم في الآخرة إذ هي دار الاستقرار التي لا زوال لها ولا انتقال منها إلى غيرها بل هي إمّا نعيم دائم، وإما جحيم دائم، فليسلك العاقل ما يوصله إلى نعيمها لا ما يوصله إلى جحيمها، والنعيم الدائم خير من المتاع القليل الزائل، وقال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانياً، والآخرة خزفاً باقياً، لكانت الآخرة خيراً من الدنيا، فكيف والدنيا خزف فان، والآخرة ذهب باقٍ.

قال تعالى على لسانه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾ [غافر].

• ثم قال لهم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾: بما قلت لكم، ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١﴾ [غافر]: بترك اتباع نبيِّ الله موسى عليه السلام.

ثم فسر ذلك فقال: ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾ [غافر].

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من هذا الموقف.

أولاً: الإيمان يصنع الرجال

فهذا الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ومع ذلك عندما سمع بقرار فرعون الجائر قام ودافع عن موسى ونصح قومه وذكّرهم وحذرهم من الاعتداء على موسى عليه السلام قال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [غافر:٢٨]. نعم يا عباد الله! إن الإيمان يصنع الرجال. فهذا رجل يكتم إيمانه لكنه يدافع -بكل ما يملك من قوة، وبكل شجاعةٍ -عن موسى عليه السلام. وهذا رجلٌ من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يُعلن إيمانه ويدافع عن محمد صلى الله عليه وسلم.

أتدرون من هو هذا الرجل يا عباد الله؟

إنه: أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وأحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبه في الغار.

عباد الله! قارن الإمام البخاري -رحمه الله- بين مؤمن آل فرعون في نصرته لموسى عليه السلام وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه في نصرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ففضل أبا بكر الصديق على مؤمن آل فرعون.

ففي «كتاب التفسير» من «جامعه الصحيح»[1] أورد حديث عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدّ ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط؛ فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨].

عباد الله! وقد قارن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين أبي بكر الصديق ومؤمن آل فرعون، وفضل أبا بكر على مؤمن آل فرعون.

أورد الإمام ابن كثير في «تاريخه» -نقلاً عن البزار[2]- عن محمد بن عقيل، أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه خطب الناس يوماً فقال: يا أيها الناس! من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. فقال: أما إني ما بارزني أحدٌ

(١) برقم (٤٨١٥).

(٢) في «البحر الزخار» (٧٦١)، وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفه.

إلا انتصفت منه! ولكنه أبو بكر. إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله؟ فوالله ما دنا منه أحدٌ إلا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحدٌ إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. ثم قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وقد أخذته قريشٌ، فهذا يحادّه وهذا يُتلتله -أي يحركه ويزعزعه من مكانه- ويقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟

يقول علي رضي الله عنه: فوالله ما دنا منا أحدٌ إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم ردّ -أي: رفع- عليٌّ بُردةً كانت عليه، فبكى حتى اخضلّت -أي: ابتلت- لحيته. ثم قال: أنشدكم الله! أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم هو؟ فسكت القوم فقال علي: فوالله لساعةٌ مع أبي بكر خيرٌ من ملء الأرض من مؤمن آل فرعونّ ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجلٌ أعلن إيمانه.

الله أكبر! الله أكبر! هذه شهادة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي بكر الصديق بأنه أفضل الأمة بعد رسولها ﷺ، وأنه أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ، ثم يأتي الرافضي الخبيث يلعن أبا بكر صباحاً ومساءاً !! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ثانياً: نصرةُ المظلومِ واجبةٌ

عباد الله! وهذا نأخذه من موقف مؤمن آل فرعون في نصرته لموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨].

عباد الله! نصرة المسلم المظلوم حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم. قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمُهُ ولا يُسْلِمه**»[1]. لا يُسلمه: أي: لا يسلمه إلى عدوه.

وقال ﷺ: «**انصرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً**» فقال رجل: يا رسول الله! أنصرهُ إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «**تحجزهُ –أو تمنعه– من الظلم فإن ذلك نصره**»[2].

وقال ﷺ: «**أُمر بعبدٍ من عباد الله أن يُضرب في قبره مائة جلدةٍ، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدةً واحدةً فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبرُهُ عليه ناراً، فلما ارتفع عنه وأفاق قال: على ما جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاةً واحدةً بغير طهورٍ، ومررت على مظلومٍ فلم تنصره**»[3].

عباد الله! الإسلام دينٌ عظيم لـمَّا أمر بنصرة المظلوم، حرم الظلم وأعلن الحرب على الظلمة قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال رب العزة في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»[4].

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٢٤٤٢).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٦٩٥٢).

(٣) **صحيح**، رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ٢٣١)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٧٧٤)].

(٤) **صحيح**، رواه مسلم (٢٥٧٧).

ابن آدم!

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم يرجعُ عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

ثالثاً: الدنيا نعيمٌ زائلٌ، والآخرة نعيمٌ دائمٌ

وهذا يؤخذ من نصيحة هذا الرجل المؤمن قال تعالى على لسانه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٤٠﴾ [غافر].

ومن قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت].

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له)[1].

كيف لا؟ والله عز وجل يصفُها لعباده حتى لا ينخدعوا بها ويحذرهم منها فيقول سبحانه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد].

(١) قال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (١٩٣٣) **منقطع**، وأصل الحديث مرفوعاً **ضعيف**، كما ذكره شيخنا رحمه الله، وعزاه إلى الإمام أحمد في «المسند» (٧١١٦) من حديث عائشة.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩﴾ [النازعات].

وقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[1].

ابن آدم!

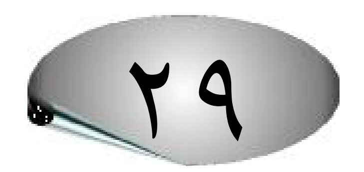
تزود من معاشك للمعاد ... وقم لله واجمع خير زاد

ولا تجمع من الدنيا كثيراً ... فإن المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قوماً ... لهم زاد وأنت بغير زاد

عباد الله! الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه من آل فرعون دافع عن موسى، ونصح قومه ولكنهم لم ينتصحوا، وازداد فرعون كفراً وعناداً ومكراً، وكاد بهذا الرجل المؤمن، ولكن جعل الله كيدهُ في نحرهِ، وحفظ هذا الرجل من كيده ومكره قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥﴾ [غافر].

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٧٤٢).



قصةُ هلاكِ فرعون -عليه لعنةُ اللهِ-

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة هلاك فرعون -عليه لعنة الله-**.

عباد الله! فرعون -عليه لعنة الله- كلما رأى آيةً أو سَمِعَ نصيحةً ازداد كفراً وعناداً وتكذيباً، وأخذ يُهدد موسى وقومه بالقتل.

أما موسى عليه السلام فهو يأمر قومه أن يستعينوا بالله ويصبروا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! ومن كفر فرعون أنه كان يقتل كلّ من آمن بموسى ولو كان من أقرب الناس إليه، ولذلك لم يؤمن بموسى من قوم فرعون إلا قليل.

قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن﴾ -أي: من قوم فرعون- ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾[يونس]، فها هي زوجته آمنت برب موسى وهارون، وعندما علم بذلك عذبها عذاباً شديداً لترجع عن دينها، ولكنها ثبتت على دينها حتى ماتت.

قال ﷺ: «**إن فرعون أوتَدَ لامرأته أربعة أوتادٍ في يديها ورجليها، فكان إذا تفرّقوا عنها ظللتها الملائكة، فقالت:** ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ **[التحريم]، فكشف لها عن بيتها في الجنة**»[1].

عباد الله! وإيمان امرأة فرعون من أكبر الأدلة على كذب فرعون في ادعائه للربوبية والألوهية، فالربّ على كل شيء قدير، يملك قلوب الناس ونواصي الناس، وهذا المدعي للربوبية والألوهية لا يملك أقرب القلوب إليه، لا يملك قلب زوجته. والإله من تألهه القلوب محبةً وإجلالاً وتعظيماً، وهذا المدعي تتبرأ منه زوجته وهي أقرب الناس إليه. كما أن الملك الكافر

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٤٣١)، عن أبي هريرة موقوفاً، قال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٥٠٨): إسناده صحيح على شرط مسلم، وهو في حكم المرفوع، لأنه لا يقال بمجرد الرأي، مع احتمال كونه من الإسرائيليات وقال ابن حجر: صحيح موقوف. ثم ذكر له ما يشهد له.

في قصة أصحاب الأخدود كان يدعي الربوبية، والرب يحيي ويميت، وقد عجز هذا الكافر المتكبر عن قتل الغلام، حتى فعل ما أمره به الغلام.

وكما أن المسيح الدجال الذي يأتي في آخر الزمان يزعم الربوبية، وشواهد النقص والقصور على وجهه، فهو أعور، والرب يتصف بكل كمالٍ، وينزه عن كل نقصٍ ومحالٍ، وهو عاجز عن إزالة هذا العور، وكذا مكتوب بين عينيه: ك ف ر يقرأها كل مؤمن قارئ وغير قارئ، وهو عاجز عن إزالة هذا الشاهد بكفره، وكذا كل من يدعي الربوبية والألوهية كذباً وزوراً يفضحه الله عز وجل، ويظهر للناس عجزه ونقصه وعيبه.

عباد الله! لما رأى موسى عليه السلام من فرعون وقومه كفرً وعناداً وتكذيباً وإصراراً على ذلك دعا عليهم وآمن هارون على دعائه واستجاب الله لهما.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

• وأمر موسى عليه السلام قومهُ أن يتوكلوا على الله ويلتجئوا إليه بالدعاء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس].

***عباد الله!** استجاب الله تعالى دعاء موسى وأخيه هارون -عليهما السلام- وصبّ العذاب على فرعون وقومه صباً، وأخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يذكرون، لعلهم يرجعون، لعلهم ينتهون.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ أي:اختبرناهم وامتحناهم وابتليناهم بالسنين؛ -أي: بالجدبِ والقحطِ والجوعِ وقلةِ الزروع. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وهي قلةُ الثمارِ من الأشجارِ فكانت النخلة لا تحملُ إلا ثمرةً واحدةً ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ [الأعراف:١٣٠]-أي: لعلهم يتّعظون أن ما حل بهم وأصابهم معاتبة من الله لهم، لعلهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجحْ فيهم ولا أفاد، بل استمروا على الظلم والفساد ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾؛ أي: الخصبُ وإدرارُ الرزق ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا الله عليها، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: قحط وجدب. ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ ؛ أي: يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى واتباع بني إسرائيل له. قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف:١٣١] أي: بقضائه وقدرته، ليس كما قالوا، بل إن ذنوبهم وكفرهم هو السبب في ذلك، بل أكثرهم لا يعلمون؛ أي: فلذلك قالوا ما قالوا.

- ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾ [الأعراف] أي: مهما جئتنا به من الآيات -وهي الخوارق للعادات-، فلسنا نؤمن بك ولا نتبعك ولا نطيعك، ولو جئتنا بكل آية، وهكذا أخبر الله عنهم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٩٧﴾ [يونس].

عباد الله! ومع ذلك أرسل اللهُ على فرعونَ وقومِهِ ألواناً من العذابِ لعلهم ينتهون. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ١٣٣﴾ [الأعراف].

• ويخبرنا ربنا -جل وعلا- عن كذبِ فرعونَ وقومِه وكفرِهم وعِنادِهم وإصرارهم على الضلالِ والجهلِ، فيقول سبحانه: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥)﴾ [الأعراف].

*عباد الله! يخبرنا ربنا -جل وعلا- عن فرعون وملئه كيف كانوا يتعاملون مع موسى عليه السلام ومع الآيات البينات التي أيد الله بها نبيه موسى عليه السلام.

• قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢)﴾[الإسراء].

والآيات التسعُ التي أيدَ اللهُ بها موسى عليه السلام العصا، اليد، السنينُ، نقصُ الثمرات، الطوفانُ، الجرادُ، القُمَّلَ، الضفادع، الدَّم.

• وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (٥٠)﴾ [الزخرف].

وهذه هي لغةُ الأمم الكافرةِ مع رُسُلهم في كل زمان ومكان.

• وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون].

• وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام].

***عباد الله!** فرعون -عليه لعنة الله- علا في الأرض، وملأها ظلماً وفساداً، فهو جرثومة قد حان استئصالها، وثمرة خبيثة قد آن قطافها. ولذلك أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون -عليهما السلام- أن يتخذا لقومهما بيوتاً متميّزة فيما بينهم عن بيوت القبط؛ ليكونوا على أهبة الاستعداد للرحيل إذا أمروا به؛ ليعرف بعضهم بيوت بعض، وأن يستعينوا على ما هم فيه من الشدة والضيق بكثرة الصلاة فيها.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس].

***عباد الله!** أمرَ اللهُ نبيهُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من بلاد مصر إلى بلاد الشام.

قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الدخان]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء].

• فخرج موسى عليه السلام ليلاً ببني إسرائيل إلى بلاد الشام، ووصل الخبر إلى فرعون فجُنّ جنونه وطار عقلهُ، وأرسل إلى كل مكان يجمع جيشهُ ليدرك موسى وقومه قبل أن يصلوا إلى بلاد الشام.

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء] فخرج فرعون بجيشه العرمرم -أي: الكثير- ليدرك موسى وقومه.

***عباد الله!** وصل موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى ساحل البحر الأحمر، فأدركهم فرعون وجنوده مع شروق الشمس فأيقن أيقن قوم موسى الهلاك، واستولى الذعرُ على نفوسهم، وقالوا لموسى: لقد لحق بنا فرعون ولا طاقة لنا به، فماذا نفعلُ والبحر أمامنا؟

قال لهم موسى: لا تخافوا إن معيَ ربي سيرشدني إلى طريق النجاة، عندئذٍ أوحى الله إليه بأن يضرب البحر بعصاه، ففعل، فانشق الماء وصار فيه اثنا عشر طريقاً يبساً على عدد أسباط بني إسرائيل. وأشرف -في ذلك الحين- فرعون على الموضع الذي عبروه، فرأى طريقاً في البحر فاقتحم هو وجنوده هذا الطريق خلف بني إسرائيل، فانطبق الماء على فرعون وجنوده وأغرقهم جميعاً، وأنجى الله موسى ومن معه من بني إسرائيل.

• قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه].

• وقال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء] -أي: في إنجائه أولياءه فلم يغرق منهم أحدٌ، وإغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد؛ آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته -تعالى-، وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة.

***عباد الله!** أتذكرون فرعون الذي كان قبل قليل يقول للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، ويقول لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨]، ويقول لهم: ﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف] ها هو يغرقهُ اللهُ في الأنهار التي افتخر بها، ويجعلهُ آيةً لمن أراد أن يعتبر.

قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

يخبر -تعالى- عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده؛

ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم؟! ليكون أقرّ لأعين بني إسرائيل وأشفى لنفوسهم.

فلما عاين فرعون الهلاك وأحيط به وباشر سكرات الموت؛ تاب حينئذ وأناب، وآمن حين لا ينفع نفساً إيمانها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

وهكذا دعا موسى على فرعون وملئه أن يطمس على أموالهم ويشدد على قلوبهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم؛ أي: حين لا ينفعهم ذلك ويكون حسرة عليهم، وقد قال -تعالى- لهما؛ -أي: لموسى وهارون- حين دعوا بهذا: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٩] فهذا من إجابة الله -تعالى- دعوة كليمه وأخيه هارون -عليهما السلام-.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال لي جبريل: لو رأيتني وأنا آخذٌ من حال البحر فأدُسّه في فيّ فرعون؛ مخافة أن تدركه الرحمة**»[1]، وقوله -تعالى-: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس].

استفهام إنكار، ونصّ على عدم قبوله -تعالى- منه ذلك؛ لأنه -والله أعلم- لو رُد إلى الدنيا كما كان؛ لعاد إلى ما كان عليه؛ كما أخبر -تعالى- عن

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٣١٠٧) وقال: حسن، وصححه، والحاكم (٢/ ٣٤٠)، والضياء في «المختارة» (٢٥٨)، وأحمد (١/ ٢٤٠)، وله طرق ذكرها الألباني في [«السلسلة الصحيحة» (٢٠١٥)].

الكفار إذا عاينوا النار وشاهدوها أنهم يقولون: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام].

قال الله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما في قلوبهم من الرعب العظيم من فرعون، كأنهم لم يصدقوا إغراقه، وشكوا في ذلك، فأمر الله البحر أن يلقيه على نجوة مرتفعةٍ ببدنه؛ ليكون لهم عبرة وآية ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾: فلذلك تمرُّ عليهم وتتكرر فلا ينتفعون بها؛ لعدم إقبالهم عليها، وأما من له عقلٌ وقلبٌ حاضر؛ فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبرت به الرسل.

****عباد الله!** وقد كان هلاك فرعون وجنوده في يوم عاشوراء

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة فوجد اليهود صياماً، يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» فقالوا: هذا يومٌ عظيمٌ. أنجى الله فيه موسى وقومه وغرّق فرعون وقومه. فصامه موسى شكراً. فنحن نصومه.

فقال رسول الله ﷺ: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**». فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه[1].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٣٩٧)، و مسلم (١١٣٠).

*****عباد الله!** أهلك اللهُ فرعون وقومهُ وجعلهم آيةً وعبرةً لمن أراد أن يعتبر.

قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ [يونس:٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦﴾ [الزخرف].

عباد الله! ما هي الأسباب التي أهلك الله بها فرعون وجنوده لتكون منها يا ابن آدم على حذر.

أولاً: ادعاؤه الربوبية والألوهية.

ادعى فرعون الربوبية والألوهية لنفسه، وقد أطاعه قومه ومنهم جنوده واتبعوه في دعواه الباطلة هذه قال تعالى عنهم: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف].

عباد الله! وقد أهلك اللهُ فرعون بدعائه الربوبية؛ قال تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦﴾ [النازعات].

وأهلكه أيضاً بادعائه الألوهية.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص].

عباد الله! فرعون –عليه لعنة الله– بادعائه الربوبية والألوهية كذباً وظلماً وزوراً أضل قومه وما هدى، لذلك يقدم قومه يوم القيامة إلى جهنم وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود].

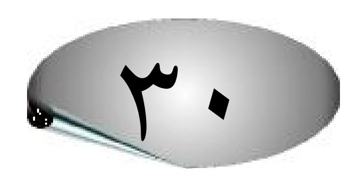
ثانياً: تكذيبه بالآيات التي أيد الله بها موسى -عليه السلام- والتي تدل على أنه رسولٌ من عند الله.

عباد الله! عندما دخل موسى وهارون –عليهما السلام– على فرعون في أول لقاء بعد رجوعه من مدين قالا له: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه]. فكذب فرعون بكل الآيات وأدبر وعصى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه]. وقال تعالى عن فرعون وجنوده: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! فلما كذَّب فرعون وجنوده بآيات الله انتقم الله منهم وأغرقهم أجمعين قال تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأعراف].

عباد الله! هلك فرعون وجنوده واستراحت الأرض من شرهم وفسادهم، واستراح البشر من ظلمهم وكفرهم وجعل الله في هلاكهم عبرةٌ لمن أراد أن يعتبر، وعظةٌ لمن أراد أن يتعظ.



الدروسُ والعظاتُ والصبرُ التي تؤخذُ

من قصة هلاك فرعون ونجاةِ موسى-عليه السلام-

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة هلاك فرعون وجنده ونجاة موسى وقومه.**

عباد الله! قصة هلاك فرعون وجنده ونجاة موسى وقومه التي أخبرنا الله عنها في كتابه، والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: هكذا ينتقمُ الله من الظلمة وأعوانهم

يقول ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يُفْلِتْهُ**» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ [هود][1].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

عباد الله! فرعون -عليه لعنة الله- كان ظالماً، وجنوده أعانوه على الظلم فكانوا ظلمةً مثله ولذلك عندما أهلك الله فرعون أهلك معه جنوده الذين أعانوه على الظلم.

• ففي الدنيا عذَّبَ اللهُ فرعونَ وجنودَهُ بسببِ ظلمهم.

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال].

• وفي القبر عذَّبَ اللهُ فرعونَ وجنودَهُ.

قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٥، ٤٦]. وهذه النارُ التي يعرضون عليها غدواً وعشياً هي نار القبر.

• وفي الآخرةِ يقدُمُ فرعون قومَهُ الذين أعانوهُ على الظلم إلى جهنمَ وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود] هكذا ينتقم اللهُ من الظالم وممن أعانوهُ على الظلم.

• فاحذر يا عبد الله! أن تكون ظالماً فإن الله توعَّد الظلمة بالعذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢].

• واحذر يا عبد الله! أن تُعين ظالماً فتهلك معهُ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].

وإذا رأيت ظالماً فامنعه عن ظلمه استجابةً لقوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» فقال رجل: يا رسول الله! أنصرهُ إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «**تحجزُه** -أو تمنعه- **من الظلم، فإن ذلك نصره**»(١). لأن العذاب إذا نزل بالظالم أخذ الذي أعانه على ظلمه معه كما فعل ربنا -جل وعلا- بفرعون وجنوده.

ثانياً: الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

عباد الله! الصراع بين الحق والباطل في هذه الأرض مستمرٌ إلى يوم القيامة، يعلو الباطل أحياناً كذباً وزوراً، فيأتي الحق فيدمغه فإذا هو زاهق قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء].

• فهذا فرعونُ وجنودُهُ على الباطل ومع ذلك علا في الأرض بغير الحق وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

(١) **صحيح**، سبق تخريجه (ص٣٩٦).

غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨]، وقال: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [غافر:٢٦]، وقال: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف].

• وهذا موسى عليه السلام على الحق يرى فرعون يعلو في الأرض بغير الحق، ويسمعُ تهديداته ومع ذلك يقول موسى لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! تعالوا بنا لننظر إلى نتيجة الصراع بين موسى الذي هو على الحق، وفرعون الذي هو على الباطل كما جاءت في كتاب ربنا من الذي نجا ومن الذي هلك؟ العاقبة لمن؟ من الذي أورثه الله الأرض؟

قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الدخان].

فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. والمتقون هم الصالحون الذين يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، ولذلك بشّرهم الله -عز وجل- في كتابه.

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

ورسول الله ﷺ يُبشر أصحابه وأمته بالنصر والتمكين في الأرض قال ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها**»[1].

وقال ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار**»[2] أي: هذا الدين؛ أي: هذا الإسلام.

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٠٣)، وحسنه الحافظ عبد الغني المقدسي، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وتعقبها الألباني في «تحذير الساجد» بأنه على شرط مسلم، وكذلك صححه ابن حبان (١٦٣٠-موارد) عن عدّة من الصحابة: تميم بن أوس الداري، والمقداد بن الأسود، وأبي ثعلبة الخشني رضي الله عنهم جميعاً وانظر: [«الصحيحة» (٣)].

وقال ﷺ: «**والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(1).

ثالثاً: التوبة لا تقبلُ من العاصي عند الموت

عباد الله! فرعون -عليه لعنة الله- ملأ الأرض كفراً وظلماً وفساداً، وعندما نزل به الموت تاب وآمن قال تعالى على لسانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس]. فرد اللهُ عليه توبتهُ وإيمانهُ فقال تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس].

عباد الله! التوبةُ من الكفر والمعاصي لا تقبلُ عند الموتِ ونزولِ العذاب.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدۡ خَلَتۡ فِى عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّى تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(2).

---

(1) **صحيح**، رواه البخاري (٣٦١٢).

(2) رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٥٨٨٥)، وصححه ابن حبان (٦٢٧)، والحاكم (٤/ ٢٥٧)، وحسّنه الألباني في [«صحيح الترغيب» (٣١٤٣)].

عباد الله! والموتُ يأتي بغتة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة]. وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].

وقال ﷺ لابن عمر: «**كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[1].

ابن آدم!

تزود من التقوى فإنك لا تدري	إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علةٍ	وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهر
وكم من صغارٍ يُرتجى طول عُمرهم	وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسي ويصبح ضاحكاً	وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها	وقد قبضت أرواحهم ليلة القدرِ

• فيا عباد الله! بادروا بالتوبة قبل أن ينزل بكم الموت فإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن الأدلة على ذلك:

١ - الرجل الذي قتل مائة نفس:

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٦٤١٦).

يقول ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على راهبٍ فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجلٍ عالمٍ فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوءٍ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً، مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطّ، فأتاهم ملك في صورة آدميّ فجعلوه بينهم -أي: حكماً- فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

٢- المرأة التي زنت على عهد رسول الله ﷺ:

عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حُبلى من الزنى فقالت: يا رسول الله! أصبت حداً فأقمه عليّ، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني**» ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ، فشُدّت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرُجمت، ثم صلى عليها.

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) واللفظ له.

فقال له عمر: تُصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: «**لقد تابت توبةً لو قُسِمت بين سبعين من أهل المدينة لوَسَعَتْهُم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل؟!**»[1].

٣- ماعز بن مالك:

عباد الله! جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! طهّرني فقال: «**ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه**». قال: فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهّرني فقال النبي ﷺ: «**ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه**» قال: فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهرني فقال النبي ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: «**فيم أُطهّرك؟**» فقال: من الزنى. فسأل رسول الله ﷺ: «**أبه جنونٌ؟**».

فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال: «**أشرب خمراً؟**». فقام رجلٌ فاستنكهه -أي: شم رائحة فمه- فلم يجد منه ريح خمر قال فقال: رسول الله ﷺ: «**أزنيت؟**». فقال: نعم. فأمر به فرجم. فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته. وقائل يقول: ما توبةٌ أفضل من توبة ماعز: أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتُلني بالحجارة.

قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلّم ثم جلس. فقال: «**استغفروا لماعز بن مالك**» فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب توبةً لو قُسمت بين أمة لوسعتهم**»[2].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٦٩٦).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (١٦٩٥).

رابعاً: مشروعية الدعاء على الكافر المعتدي

• وهذا يؤخذ من دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملائه قال تعالى على لسان موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

عباد الله! واستجاب الله لموسى عليه السلام وختم على قلب فرعون فلم يؤمن حتى رأى العذاب الأليم

قال صلى الله عليه وسلم: «**قال لي جبريل: لو رأيتني وأنا آخذٌ من حال البحر فأدُسّه في فيّ فرعون؛ مخافة أن تُدركه الرحمة**»[1].

• وهذا نوحٌ عليه السلام دعا على قومه عندما أخبره الله أنهم لا خير فيهم وأنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر].

---

(١) **صحيح**، سبق تخريجه (ص٤٠٧).

• وهذا رسولنا ﷺ دعا على عددٍ من صناديد قريش اعتدوا عليه وهو يصلي عند البيت.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيأتي فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟

فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجدٌ ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت -وهي جويرية- فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش**»، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد**».

قال ابن مسعود: فلقد رأيت الذين سمى صرعى (أي قتلى يوم بدر) ثم سحبوا إلى القليب؛ قليب بدر[1].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤) واللفظ له.

• ودعا ﷺ على الذين قتلوا القُراء السبعين من أصحابه في مأساة بئر معونة[1].

خامساً: من تعرّف على الله في الرخاء عرفه في الشدة

وهذا يؤخذ من قصة هلاك فرعون ونجاة موسى عليه السلام

عباد الله! موسى عليه السلام تعرّف على الله في الرخاء فعرفه في الشدة، عندما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء]. قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الشعراء].

• أما فرعونُ -عليه لعنة الله- لم يعرف ربه في رخائه، ولذلك لم يعرفه ربهُ عندما وقع في الشدة، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

• وهذا يونس عليه السلام تعرف على الله في الرخاء فعرفه في الشدة.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ [الصافات].

كيف لا؟ ورسولنا ﷺ يقول لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا**

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (١٠٠٢)، و مسلم (٦٧٧).

استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

وفي رواية لغير الترمذي: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**».

سادساً: الغافلُ يندمُ في وقت لا ينفع فيه الندم

عباد الله! كثيرٌ من الناس عن آيات الله غافلون.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم].

وكما قال القائل:

أما والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا

(١) **صحيح**، سبق تخريجه (ص١٨٦).

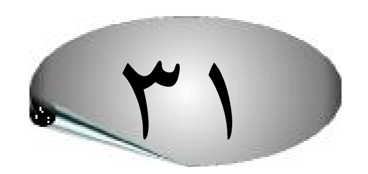
ونحـــن إذا أمرنـــا أو نهينـــا كأهــل الكهــف أيقــاظٌ نيــام

عباد الله! فالغافلُ يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

• فهذا فرعون غَفِلَ عن بأس الله حتى نزل به العذاب.

قال تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء]؛ فاحذر يا عبد الله! أن تكون من الغافلين فتندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! ماذا حدث لموسى عليه السلام وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى-.



قصة موسى-عليه السلام-
مع بني إسرائيل بعد هلاك فرعون

أولاً: عندما جاوز بهمُ البحر

ثانياً: عندما أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزمِ من الرسلِ أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل بعد هلاك فرعون.**

عباد الله! بنو إسرائيل هم من سلالة نبي الله يعقوب عليه السلام، ويعقوب عليه السلام هو إسرائيل عليه السلام خرج يعقوب عليه السلام ببنيه وأهله من بلاد الشام إلى بلاد مصر بطلبٍ من يوسف عليه السلام الذي كان عزيزاً في بلاد مصر، وبقوا هناك يتكاثرون ويتناسلون إلى أن بعث الله فيهم نبيه موسى عليه السلام.

عباد الله! أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون يطلب منه أن يرسل معه بني إسرائيل ليعود بهم إلى بلاد الشام فأبى فرعون ذلك، فأمر الله موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من بلاد مصر إلى بلاد الشام، فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواناً، فنجى الله موسى عليه السلام ومن معه، وأهلك فرعون ومن معه.

عباد الله! وقد أنعم الله على بني إسرائيل نعماً عظيمةً، وفضّلهم على العالمين في زمانهم عندما كانوا يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً. ومن هذه النعم:

- يقول الله -عز وجل-: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة].
- وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة].
- وقال تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف:١٣٧].
- وقال تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:٥٧].

عباد الله! وقد أمر اللهُ رسولَهُ موسى عليه السلام أن يُذكِّرَ بني إسرائيل بنعمه عليهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المائدة].

عباد الله! قابلَ بنو إسرائيل نعم الله بالكفر والجحودِ والعصيانِ

- فمنهم من قال لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ -أي: صنماً-: ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].
- ومنهم من عبد العجلَ في غياب موسى.
- ومنهم من قال لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة].
- ومن من قال لموسى عليه السلام: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥].
- ومنهم من قتل أنبياء الله وكفر بآياته ونقض الميثاق.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء:١٥٥].

- ومنهم من قال: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة:٦٤].

• ومهم من قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

• ومنهم من قال: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠].

عباد الله! وقد تفننوا في معصية الله من أخذ الربا، وأكلهم السحت وأموال الناس بالباطل، حتى لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير.

قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة:٦١].

عباد الله! بنو إسرائيل أمةٌ عجيبةٌ في قصتهم دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ. أمةٌ فضلها الله على العالمين في زمانهم لما عبدوا الله وشركوا نعمه ولعنهم وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير لما كفروا وعصوا وأكثر الله من ذكرهم في القرآن الكريم ليأخذ المسلمون من قصتهم الدروس والعظات والعبر.

فتعالوا بنا **عباد الله!** لنعيش مع قصة بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام.

أولاً: عندما جاوز بهم موسى -عليه السلام- البحر

قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! هذا بداية قصص جديد لنبي الله تعالى موسى مع قومه من بني إسرائيل، إنه بعد هلاك فرعون وجنوده في اليم، انتهى الكلام على دعوة موسى لفرعون وملئه، وبذلك استقبل موسى وأخوه هارون مشاكل جديدة مع قومهما؛ فبعد أن جاوز تعالى ببني إسرائيل البحر، ونزلوا على شاطئه سالمين مرّوا بأناسٍ يعكفون على تماثيل لهم، وهي عبارة عن أبقار حجرية منحوتة نحتاً يعبدونها، وهم عاكفون عليها وما إن رأى بنو إسرائيل هؤلاء العاكفين على الأصنام حتى قالوا لموسى: يا موسى! اجعل لنا إلهاً كما لهؤلاء آلهة، وهي كلمة دالة على جهلٍ بالله تعالى وآياته، فما كان من موسى عليه السلام حتى جابههم بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾، وواصل تأنيبه لهم وإنكاره الشديد عليهم فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، أي: العاكفين على الأصنام، والذين غرتهم حالهم: ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾، أي:إنهم وما هم عليه من حال في هلاكٍ وخسار، ثم قال لهم منكراً متعجباً: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾، أي: غير ربي -عز وجل- أطلب لكم إلهاً تعبدونه دون الله، ما لكم أين ذهبت عقولكم، وقد فضلكم سبحانه وتعالى على العالمين -وهذا التفضيل خاص بزمانهم الذي كانوا فيه مع أنبيائهم وهم صالحون- أهكذا يكون شكركم له بطلب إلهٍ غيره، وهل هناك من يستحق العبادة غيره؟

• ثم أخذ يذكرهم بنعم الله عليهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: واذكروا يا من قلتم اجعل لنا إلهاً كما للمشركين آلهة، اذكروا فضل الله عليكم بإنجائه إياكم من فرعون وآله، وهم الذين كانوا على طريقته في الظلم والكفر؛ من رجال حكمه وأفراد شرطه وجيوشه ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾؛ حتى لا تكثروا، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾للامتهان والخدمة، وفي هذا التعذيب والإنجاء منه ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)﴾، يتطلب شكركم لا كفركم، فكيف تريدون أن تعبدوا غيره، وتشركوا به أصناماً لا تنفع ولا تضر، إن أمركم مستغرب جداً وعجيب، فاتقوا الله وتوبوا إليه(١).

عباد الله! الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من هذه الآيات:

أولاً: الجهل سببٌ لكل شر، وسببٌ للوقوع في الذنوب والمعاصي.

• وهذا يؤخذ من قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)﴾، عندما طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً غير الله.

عباد الله! الجهلُ سببٌ لكل شر وسببٌ للوقوع في المعاصي والذنوب، ومنها:

١ - الشرك.

• الشرك يقع في الناس بسبب جهلهم بالله وبأسمائه وصفاته، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) انظر: «أيسر التفاسير» (ص٤١٠).

• قوم موسى عندما مروا على قومٍ يعبدون أصناماً قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، فرماهم موسى بالجهل، فقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف].

وعندما قال بعض الناس لرسول الله ﷺ وهم في طريقهم إلى حنين: اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم أنواط، فقال ﷺ: «**الله أكبر، قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، إنكم تركبون سنن من قبلكم**»(1).

• وكفار مكة عندما قالوا لرسول الله ﷺ: نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوماً؛ فوصمهم الله عز وجل بالجهل، لأن هذا الكلام لا يخرج إلا من جاهل؟!

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٤-٦٧].

عباد الله! كم من إنسانٍ دعا غير الله، وذبح لغير الله، وحلف بغير الله، وطاف بالقبور بسبب الجهل؟!

٢- الزنا

الزنا فاحشةٌ لا يقترفها إلا جاهل، ولذلك قال يوسف عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف].

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٢١٠٦) وقال: **حسن صحيح**، وانظر: [«مشكاة المصابيح» (٥٤٠٨)].

٣- **التبرج والسفور** الذي نراه في شوارعنا، وقع من النساءِ بسبب الجهل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

٤ - اللواط:

اللواط فاحشةٌ لا يقعُ فيها إلا جاهل، قال تعالى على لسان لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل].

عباد الله! فجميع المعاصي والذنوب تقع في الأمة بسبب الجهل؛ فآكل الربا جاهل، وشارب الخمر جاهل، وتارك الصلاة جاهل، وقاطع الرحم جاهل...، إلى غير ذلك من المعاصي.

فاحرص يا عبد الله على العلم الشرعي، ومجالس العلم؛ فإن الجهل سبب لكل شر.

ثانياً: عبادةُ اللهِ وحدهُ لا شريك له حقٌ، وعبادةُ غيره باطلٌ:

وهذا يؤخذُ من قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الذين يعبدون غير الله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف].

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج].

عباد الله! اللهُ -عز وجل- وحدهُ هو المستحقُ للعبادةِ لأنه هو الإله الحق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى لموسى عليه السلام ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه].

عباد الله! أما الآلهةُ المزعومةُ الباطلةُ فلا تستحقُ العبادةَ؛ لأنها لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، ولذلك فهي يوم القيامة مع من عبدها في نار جهنم إذا كان هذا بعلم هذه (المعبودات) ورضاهم، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود].

ثانياً: قصة بنو إسرائيل عندما أمرهم موسى -عليه السلام- أن يدخلوا الأرض المقدسة

عباد الله! الأرض المقدسة هي بيت المقدس وما حواليه، لما خرج موسى عليه السلام وقومه من بلاد مصر إلى بيت المقدس فوجدوا فيه قوماً

جبارين، فأخذ يذكِّر قومه بنعم الله عليهم ويحثهم على الجهاد؛ ليدخلوا الأرض المقدسة، فماذا قال له بنو إسرائيل وماذا فعلوا؟ يخبرنا عن ذلك ربنا -جل وعلا- في كتابه فيقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بقلوبكم وألسنتكم، فإن ذكرها داعٍ إلى محبته تعالى ومُنَشّطٌ على العبادة؛ ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾: كلما هلك نبيٌّ قام فيكم نبيٌّ، من لدن أبيكم إبراهيم إلى من بعده، وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته، حتى ختموا بعيسى ابن مريم عليه السلام، ثم أوحى الله إلى خاتم الأنبياء والرسل على الإطلاق محمد بن عبدالله، المنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وهو أشرف من كل من تقدمه منهم صلى الله عليه وسلم، ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة:٢٠]: «عن ابن عباس قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدارُ سُمّي ملكاً.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**أن رجلاً قال له: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبدالله: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكنٌ تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء. فقال: إن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك**».

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا﴾ [المائدة:٢]، يعني: عالمي زمانهم، فإنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم، وليس فيه تشريفُهم على من بعدهم، فإن أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم أشرف منهم وأفضل عند الله، وأكمل شريعةً، وأقوم منهاجاً، وأكرم

نبياً، وأعظم مُلكاً، وأغزر أرزاقاً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأوسع مملكةً، وأدومَ عزّةً قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

ثم قال مخبراً عن تحريض موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس، الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى فوجدوا فيها قوماً من العمالقة الجبارين قد استحوذوا عليها وملكوها، فأمرهم رسول الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدخول إليها وبقتال أعدائهم، وبشّرهم بالنُّصرة والظفر عليهم، فنكلوا وعصوا.

قال تعالى مخبراً عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾، أي: المطهرة، ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: التي وعدكمُوها على لسان أبيكم إسرائيل لمن آمن منكم، ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ ، أي: ولا تنكُلوا عن الجهاد، ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المائدة]، أي: اعتذروا بأن في هذه البلدة التي أُمروا بدخولها وقتال أهلها قوماً جبارين، أي: ذوي خَلْقٍ هائلٍ، وقوةٍ شديدةٍ، وإننا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاولتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها، وإلا فلا طاقة لنا بهم.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾، أي: فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حرّضهم رجلان لله عليهما نعمةٌ

عظيمةٌ، وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه، وهما يوشع بن نون، وكالب ابن يوحنا، قالا: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة]، أي: إن توكلتم على الله، واتبعتم أمره، ووافقتم رسوله، نصركم الله على أعدائكم، ظفركم بهم، ودخلتم البلد التي كتبها لكم، فلم يفد ذاك فيهم شيئاً، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة]، فما أعظم الفرق بين موقفهم هذا، وموقف الصحابة رضوان الله عليهم يوم بدرٍ، حين استشارهم رسول الله ﷺ فتكلم أبو بكر (وأحسن) فأعرض عنه، ثم تكلم عمر (وأحسن) فأعرض عنه، فقال ﷺ: «**أشيروا عليّ أيها الناس**».

فقال سعد بن معاذٍ: «**كأنك تريدنا يا رسول الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما يخلف منا واحدٌ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبْرٌ في الحرب، صُدقٌ عند اللقاء، ولعل الله أن يُريك منا ما تقرّ به عينك، فسرْ بنا على بركة الله**»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**شهدت من المقداد بن الأسود** رضي الله عنه **مشهداً لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ مما عُدِل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى:** ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة:٢٤]، **ولكِنَّا نُقاتِلُ عن يمينك وعن شِمَالِكَ، وبين يَدَيْكَ وخلفَكَ فرأيتُ النبي ﷺ أشرق وجههُ وسَرَّهُ**»[2].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٧٧٩).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٣٩٥٢).

ولما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضِب عليهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعا عليهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾، يعني: ليس أحدُ يُطيعني منهم فيمتثلُ أمرَ الله، ويجيبُ إلى ما دعوتُ إليه إلا أنا وأخي هارون؛ ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة]، أي: اقض بيني وبينهم، فقضى الله عليهم بالتِّيهِ في الصحراء أربعين سنة. ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فكانوا يسيرون في مسافةٍ محدودةٍ من الأرض ولا يهتدون سبيلاً للخروج منها.

قال ابن عباسٍ: «تاهوا في الأرض أربعين سنةً يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرارٌ، وكأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حزن عليهم وعلى ما أصابهم، فقال الله له: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة]، أي: فلا تأس ولا تحزن عليهم فيما حكمتُ به عليهم فإنهم يستحقون ذلك»[1].

الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من هذه الآيات

أولاً: التذكير بنعم الله يدفع إلى طاعة الله

فهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يذكر قومه بنعم الله عليهم قبل أن يأمرهم بدخول الأرض المقدسة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة].

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٦-٤٠) باختصار وتصرف.

عباد الله! والله -عز وجل- في كتابه يذكرُ عبادهُ بنعمه عليهم ليعبدوه وحدهُ ويشكروا نعمهُ.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم].

• والله -عز وجل- يُذكرُ عبادهُ أن نعمهُ عليهم تزيدُ وتبقى بالشكر، وتزولُ وتذهبُ بالمعاصي.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

ابن آدم!

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله ... فإن الإله شديد النقم

عباد الله! وشكر نعم الله يقوم على ثلاثة أركان:

الركن الأول: أن يعتقد العبدُ أن ما به من نعمة فمن الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

الركن الثاني: أن يُحدث العبدُ بنعمة الله عليه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى].

وقال ﷺ: «**التحدث بنعمة الله شكرٌ، وتركها كفرٌ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة بركةٌ، والفرقةُ عذابٌ**»(١).

الركن الثالث: أن يستخدم نعمة الله في طاعة الله ومرضاته قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧].

ثانياً: عدم الاستجابة لأمر الله ولأمر رسولهِ فسقٌ

فها هم بنو إسرائيل عندما أمرهم موسى عليه السلام أن يدخلوا الأرض المقدسة فلم يستجيبوا لهُ رماهم بالفسق.

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾ [المائدة].

عباد الله! والفسقَةُ الذين لا يستجيبون لأمر الله ولأمر رسوله كثيرٌ جداً.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝٤٩﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨١﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٢٦﴾ [الحديد].

واعلموا عباد الله! أن هناك فسقٌ أكبر: صاحبه يخلد في النار، ولا يخرج منها أبداً، وفسقٌ أصغر صاحبه لا يخلد في النار، ولكنه يُعذب فيها، ثم يخرج منها إذا مات على التوحيد.

(١) **صحيح**، رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩١١٩)، وانظر: [«الصحيحة» (٦٦٧)].



ثالثاً: قصة موسى-عليه السلام-
مع بني إسرائيل عندما ذهب لميقات ربه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظة جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل.**

عباد الله! تكلمنا في الجمعة الماضية عن:

أولاً: قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل عندما جاوز بهم البحر.

ثانياً: قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل عندما أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع:

ثالثاً: قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل عندما ذهب لميقات ربه.

عباد الله!

• واعد الله موسى عليه السلام ثلاثين ليلةً، وأتمها بعشرٍ، فصارت أربعين ليلة، وهذا هو ميقات ربه، قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:١٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة:٥١].

•موسى عليه السلام قبل خروجه استخلف هارون على بني إسرائيل، فقال له موصياً: اخلفني في قومي، واتبع طريق الصلاح، ولا تتبع سبيل المفسدين.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف].

***عباد الله!** موسى عليه السلام هناك عندَ جبل الطور يكلمُهُ ربُهُ بلا واسطةٍ، فتاقت نفسُه لرؤية رَبه فطلب منهُ أن يراه.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾:الذي وقتناهُ له لإنزال الكتاب، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: بما كلمه من وحيه وأمره ونهيه، تشوَّق إلى رؤية الله، ونزعتْ نفسُه لذلك حباً لربه ومودة لرؤيته؛ فـ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، فقال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾؛ أي: لن تقدر الآن على رؤيتي؛ فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليلٌ على أنهم لا يرونه في الجنة؛ فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث

النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأةً كاملةً يقدرون معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال مقنعاً لموسى في عدم إجابته للرؤية: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ إذا تجلى اللهُ له ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ الأصم الغليظ، ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي:انها مثلَ الرمل، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ﴾: حين رأى ما رأى، ﴿صَعِقًا﴾؛ أي: مغشياً عليه، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾تنزيهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراهُ أحدٌ في الدنيا إلا مات، ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، قال مجاهد: (أن أسألك الرؤية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]، أنه لا يراك أحدٌ في الدنيا).

عباد الله! فلما منعه الله من رؤيته بعدما كان متشوقاً إليها؛ أعطاهُ خيراً كثيراً، فقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، أي:اخترتك واجتبيتك وفضَّلتك، وخصصتك بفضائل عظيمة ومناقب جليلة، ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾: التي لا أجعلها ولا أخصُّ بها إلا أفضل الخلق، ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختصَّ بها موسى الكليم، وعُرف بها من بين إخوانه من المرسلين، ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من النعم، وخذ ما آتيتك من الأمر والنهي بانشراح صدرٍ، وتلقَّهْ بالقَبول والانقياد، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف] لله على ما خصَّك وفضَّلك، ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه العباد، ﴿مَّوْعِظَةً﴾ ترغِّب النفوس في أفعال الخير، وترهِّبهم من أفعال الشر، ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من الأحكام الشرعية والعقائد والأخلاق والآداب

﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ أي: بجدٍّ واجتهاد على إقامتها، ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾ وهي الأوامر الواجبة والمستحبَّة، فإنها أحسنها.وفي هذا دليل على أن أوامر الله في كل شريعة كاملة عادلة حسنة. ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ بعدما أهلكهم الله وأبقى ديارهم عبرةً بعدهم يعتبر بها المؤمنون الموفقون المتواضعون. وأما غيرهم فقال عنهم: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ أي: عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسيَّة، والفهم لآيات الكتاب، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق وعلى من جاء به؛ فمن كان بهذه الصفةِ؛ حرمهُ الله خيراً كثيراً، وخذلَه، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلب عليه الحقائق واستحسن القبيح، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾؛ لإعراضهم واعتراضهم ومحادَّتهم لله ورسوله، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾، أي: الهدى والاستقامة، وهو الصراط الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾، أي: لا يسلكوه ولا يرغبوا فيه، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾ أي: الغواية الموصل لصاحبه إلى دار الشقاء، ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ والسبب في انحرافهم هذا الانحراف: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ [الأعراف]؛ فردُّهم لآيات الله وغفلتُهم عمَّا يُراد بها واحتقارهم لها هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي وترك طريق الرُّشد ما أوجب. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: العظيمة الدَّالة على صحة ما أرسلنا به رسلنا، ﴿وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾؛ لأنها على غير أساس، وقد فقد شرطها، وهو الإيمان بآيات الله والتصديق بجزائه. ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ﴾ في بطلان أعمالهم وحصول ضد مقصودهم، ﴿إِلَّا مَا

كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾؛ فإن أعمال مَنْ لا يؤمن باليوم الآخر لا يرجو فيها ثواباً، وليس لها غايةٌ تنتهي إليه؛ فلذلك اضمحلت وبطلت(١) .

عباد الله! ماذا فعل قوم موسى في غيابه؟

في الوقت الذي كان موسى يناجي ربه -عز وجل- فوق جبل الطور، عبد قومه عجلاً، صنعه لهم السامري من الذهب الذي حملوه معهم من مصر، وقد قال لهم السامري ومن معه من الضالين: هذا إلهكم وإله موسى فنسيه هنا، وذهب يبحث عنه على جبل الطور، ولهذا تأخر عن الموعد الذي ضربه لكم. ففرحوا برؤيته ورقصوا من حوله وعظموه، وخالط حبّه قلوبهم، كما قال جل شأنه: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [البقرة:٩٣].

• قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلًا جَسَدًا﴾ صاغه السامري، وألقى عليه قبضةً من أثر الرسول؛ فصار ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ وصوتٌ، فعبدوه واتخذوه إلهاً، وقال: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي موسى، وذهب يطلبه، وهذا من سفههم وقلة بصيرتهم؛ كيف اشتبه عليهم رب الأرض والسماوات بعجل من أنقص المخلوقات؟! ولهذا قال مبيناً أنه ليس فيه من الصفات الذاتية ولا الفعلية ما يوجب أن يكون إلهاً ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾؛ أي: وعدم الكلام نقصٌ عظيمٌ؛ فهم أكمل حالة من هذا الحيوان أو الجماد الذي لا يتكلم، ﴿وَلَا يَهۡدِيهِمۡ

(١) انظر: تفسير ابن كثير والشيخ السعدي.

سَبِيلًا ﴾؛ أي: لا يدلهم طريقاً دينياً، ولا يحصِّل لهم مصحلة دنيوية؛ لأن من المتقرّر في العقول والفطر أن اتخاذ إلهٍ لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر من أبطل الباطل وأسمج السفه، ولهذا قال: ﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف]، حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً.

وفيها دليل على أن من أنكر كلام الله؛ فقد أنكر من خصائص إلهية الله تعالى؛ لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية صاحبها للإلهية.

- ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾، أي: ندموا على ما فعلوا، ﴿وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟﴾، ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾؛ أي: من الهالكين، وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله -عز وجل-.

عباد الله! وقد أخبر الله -عز وجل- موسى عليه السلام أن قومهُ عبدوا العجلَ في غيابه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه].

عباد الله! من هو السامري؟وكيف أضلهم؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الفتون: (... فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل، ساءهم ذلك، وكان هارون قد خطبهم وقال: إنكم خرجتم من مصر، ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع، ولكم فيهم مثل ذلك، وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم، ولا أحل لكم وديعة استودعتموها

ولا عارية، ولسنا برادين إليهم شيئاً من ذلك، ولا ممسكيه لأنفسنا، فحفر حفيراً وأمر كل قومٍ عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير، ثم أوقد عليه النار فأحرقه، فقال: لا يكون لنا ولا لهم.

وكان السامري من قومٍ يعبدون البقر، جيران لبني إسرائيل، ولم يكن من بني إسرائيل، فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا، فقضي له أن رأى أثراً فأخذ منه قبضةً، فمر بهارون، فقال له هارون عليه السلام يا ساميّ! ألا تلقي ما في يدك؟ وهو قابضٌ عليه لا يراه أحد طوال ذلك، فقال: هذه قبضةٌ من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، فلا ألقيها بشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيت أن يكون ما أريد، فألقاها ودعا له هارون.

فقال: أريد أن تكون عجلاً، فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حليةٍ أو نحاسٍ أو حديدٍ فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار.

قال ابن عباس: لا والله ما كان له صوتٌ قطٌ، إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه، فكان ذلك الصوت من ذلك.

فتفرق بنو إسرائيل فرقاً، فقالت فرقة: يا سامريّ! ما هذا وأنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم؛ ولكن موسى أضل الطريق! فقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى، فإن كان ربنا؛ لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأيناه، وإن لم يكن ربنا؛ فإن نتبع قول موسى. وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان، وليس بربنا، ولن نؤمن به، ولا نصدق، وأشرب فرقةٌ في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل، وأعلنوا التكذيب به.

فقال لهم هارون: يا قوم! إنما فتنتم به، وإن ربكم الرحمن، قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم أخلفنا؟ هذه أربعون قد مضت، فقال سفهاؤهم: أخطأ ربه؛ فهو يطلبه ويتبعه! ...)[1].

قال تعالى على لسانهم: ﴿حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه].

عباد الله! وهارون عليه السلام نهاهم عن هذا الصنيع الفظيع أشدَّ النهي، وزجَّرهم عنه أتم الزجر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه].

عباد الله! عاد موسى عليه السلام إلى قومه غضبان أسفاً عندما أخبره الله -عز وجل- أن قومه عبدوا العجل فلما وصل إليهم ورآهم يعكفون على العجل يعبدونه ويرقصون حوله اشتدّ غضبه عليهم وألقى الألواح من يده.

قال صلى الله عليه وسلم: «**ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا، ألقى الألواح فانكسرت**»[2].

---

(١) **صحيح**، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٣٢٦)، والحاكم (٢/ ٣٢١) بعضه، وصححه على شرط مسلم، انظر كتاب «صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء» (٢/ ٤٩٨)].

(٢) **صحيح**، صححه الحاكم (٢/ ٣٢١)، وابن حبان (٦١٨٠)، وانظر: [«المشكاة» (٥٧٣٨)].

• ثم قال لقومه موبخاً ومقبحاً لفعلهم: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٥٠]، وقال لهم أيضاً: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ [طه].

• فاعتذروا إليه بما ليس بصحيح، فقالوا: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه].

قال تعالى مبيناً بطلان ما ذهبوا إليه، وموبخاً لهم: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه].

عباد الله! ثم أقبلَ موسى عليه السلام على أخيه هارون يجرهُ من لحيته ورأسه بقوةٍ وعنف ويقول له: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ فتخبرني لأبادر للرجوع إليهم. ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ [طه] في قوله: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف].

• فأجاب هارون عليه السلام: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف].

وفي سورة «طه» قال هارون عليه السلام: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾: ترقيقاً له، وإلا فهو شقيقه: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طه]؛ فإنك أمرتني أن أخلفك فيهم؛ فلو تبعتك؛ لتركت ما أمرتني بلزومه، وخشيت لائمتك، وأن تقول: فرقت بين بني إسرائيل، حيث تركتهم

وليس عندهم راعٍ ولا خليفة؛ فإن هذا يفرقهم ويشتت شملهم؛ فلا تجعلني مع القوم الظالمين، ولا تشمت فينا الأعداء، فندم موسى على ما صنع بأخيه وهو غير مستحق لذلك، فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

***عباد الله!** ثم انطلق موسى عليه السلام تجاه رأس الأفعى «السامري» وقال: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾ [طه] أي: ما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ [طه]، أراد بذلك أنه رأى جبريل عليه السلام على فرس الحياة، فألقى في ذهنه أن يقبض قبضة من أثر الرسول، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حياً ومعنى: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فطرحتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل، ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾قال الأخفش:أي زينت فلما سمع موسى عليه السلام منه ذلك: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه:٩٧]، أي: اذهب من بيننا واخرج عنا فإن لك في الحياة، أي: ما دمت حياً ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾، ومعنى لا مساس، أي: لا يمسك أحد ولا تمس أحداً، وكان إذا مسه أحد حمَّ؛ فلذلك كان يصيح إذا رأى أحداً: لا مساس.

قلت: هكذا في الدنيا، أما في الآخرة فقال له: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ [طه:٩٧]، وهو يوم القيامة، أي أن لك وعداً لعذابك، وهو كائن لا محالة، قال الزجاج: أي يكافئك الله على ما فعلت في القيامة، والله لا يخلف الميعاد.

• ثم قال له: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه]، والمعنى: انظر إلى إلهك الذي دمت وأقمت على عبادته لنحرقنه، أي: بالنار، ثم لنذريه في البحر. وهكذا خسر الماكر الكذاب الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود][1].

عباد الله! حرّق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الإله المزعوم؛ فلو كان إلهاً لامتنع ممن يريده بأذى ويسعى بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إتلافه وهم ينظرون على وجهٍ لا تمكن إعادته؛ بالإحراق والسّحق وذريه في اليم ونسفه؛ ليزول ما في قلوبهم من حبّه كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنةً؛ لأن في النفوس أقوى داعٍ إلى الباطل.

فلما تبين لهم بطلانه؛ أخبرهم بمن يستحق العبادة وحده لا شريك له، فقال: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه]، أي: لا معبود إلا وجهه الكريم؛ فلا يؤلّه ولا يحب ولا يُرجى ولا يخاف ولا يُدعى إلا هو؛ لأنه الكامل الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، المحيط علمه بجميع الأشياء، الذي ما من نعمة بالعباد إلا منه، ولا يدفع السوء إلا هو؛ فلا إله إلا هو، ولا معبود سواه.

عباد الله! غضب الله على عُبّاد العجل، وحكم على الذين لم يتوبوا إليه بالذلةِ والمسكنة في الحياة الدنيا، وعذاب الآخرة أخزى وأكبر وأدهى وأمر،

---

(١) انظر كتاب «قصص القرآن دروس وعبر» (ص٢٥٩).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف]، وهكذا وقع، وقد قال بعض السلف: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ مسجلة لكل صاحب بدعة إلى يوم القيامة[1] .

عباد الله! ومن رحمة الله بعباده أنه يفتحُ بابَ التوبة على مصراعيه لمن أراد أن يتوبَ منهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف].

أما الذين عبدوا العجل فقد أحسّوا بخطورة الذنب الذي وقعوا فيه وشعروا بالندم الشديد، وأرادوا أن يُكفّروا عن ذنبهم وظلمهم لأنفسهم باتخاذهم العجل إلهاً من دون الله، فرجعوا إلى موسى عليه السلام يسألونه عن كيفية التوبة، فأمرهم أن يقتلوا أنفسهم فعندئذ يتوب الله عليهم، ويغفر لهم ذنوبهم، ويكفر عنهم سيئاتهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة].

فلما فعلوا ما طلبَهُ موسى عليه السلام منهم تاب الله عليهم وعفا عنهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة].

---

(١) «صحيح قصص الأنبياء» لابن كثير (ص٣٢٨).

عباد الله! ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، أي: سكن غضبه وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه، اشتغل بأهم الأشياء عنده، فأخذ ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها، وهي ألواحٌ عظيمة المقدار جليلة، ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾، أي: مشتملة ومتضمنة، ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾، أي: فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل وأعمال الخير وأعمال الشر، والهدى لأحسن الأعمال والأخلاق والآداب، ورحمة وسعادة لمن عمل بنا وعلم أحكامها ومعانيها، ولكن؛ ليس كل أحدٍ يقبل هدى الله ورحمته، وإنما يقبل ذلك، وينقاد له، ويتلقاه بالقبول ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾، أي: يخافون منه ويخشونه، وأما من لم يخف الله ولا المقام بين يديه؛ فإنه لا يزداد بها إلا عتواً ونفوراً، وتقوم عليه حجة الله فيها.

عباد الله! ولما تاب بنو إسرائيل، وراجعوا إلى رشدهم، ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ﴾ منهم ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ من خيارهم ليعذروا لقومهم عند ربهم، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا؛ قالوا: يا موسى! أرنا الله جهرةً، فتجرؤوا على الله جرأة كبيرة، وأساؤوا الأدب معه، ﴿أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾فصعقوا وهلكوا، فلم يزل موسى عليه السلام يتضرع إلى الله ويتبتل ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أن يحضروا ويكونون في حالة يعتذرون فيها لقومهم فصاروا هم الظالمين ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، أي: ضعفاء العقول، سفهاء الأحلام، فتضرّع إلى الله، واعتذر بأن المتجرئين على الله ليس لهم عقولٌ كاملةٌ تردعُهم عما قالوا وفعلوا، وبأنهم حصل لهم فتنةٌ يخطر بها الإنسان ويخاف من ذهاب

دينه، فقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف]، أي: أنت خير من غفر، وأولى من رحم، وأكرم من أعطى وتفضّل، فكأن موسى عليه السلام قال: المقصود يا رب بالقصد الأول لنا كلنا هو التزام طاعتك والإيمان بك، وأن من حضره عقله ورشده وتمّ على ما وهبته من التوفيق؛ فإنه لم يزل مستقيماً، وأما من ضعف عقله وسفه رأيه وصرفته الفتنة؛ فهو الذي فعل ما فعل لذينك السببين، ومع هذا؛ فأنت أرحم الراحمين وخير الغافرين؛ فاغفر لنا وارحمنا، فأجاب الله سؤاله، وأحياهم من بعد موتهم، وغفر لهم ذنوبهم[1].

• وقال موسى عليه السلام في تمام دعائه: ﴿۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف].

(١) انظر: «تفسير الشيخ السعدي» (ص٣٣٤).



الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من قصة موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل عندما ذهب لميقات ربه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل عندما ذهب لميقات ربه.**

عباد الله! قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل عندما ذهب لميقات ربه، والتي أخبرنا الله عنها في كتابه فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرة جداً، منها:

أولاً: الكلام صفةٌ من صفات الله -عز وجل-.

عباد الله! التوحيد، هو: إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسامٍ:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو: إفراد الله -عز وجل- بالخلق والملكِ والتدبير.

القسم الثاني: توحيد الألوهية، وهو: إفراد الله -عز وجل- بالعبادة.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله -عز وجل- بما له من الأسماء والصفات، وهذا يتضمن شيئين:

الأول: الإثبات، وذلك بأن نثبت لله -عز وجل- جميع أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ.

الثاني: نفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً في أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وقد اجتمعتْ أقسامُ التوحيد الثلاثةُ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾ -وهذا توحيد الربوبية- ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ -وهذا توحيد الألوهية-﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ -وهذا توحيد الأسماء والصفات][1].

عباد الله! والكلامُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ الثابتةُ لهُ بالكتاب والسنةِ وإجماع سلفِ الأمة.

- ففي كتاب الله -عز وجل-، وفي قصة موسى عليه السلام: يقول الله -عز وجل-: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى:﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ١١).

لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه].

• وفي السنة:

قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك؛ قال: يقول أخرج بعثَ النارِ، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٍ وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضعُ كل ذات حملٍ حملها،** ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾﴾ [الحج]»[(١)].

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدّامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب وأيّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً**»[(٣)].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) **صحيح**، رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

عباد الله! فالكلام صفة كمالٍ، وهي ثابتةٌ لله -تعالى- بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمةِ، وعدم الكلام صفة نقص، ولذلك قال الله -عز وجل- عن عُبَّادِ العجلِ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى عن العجل أيضاً: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه]، فعُلم أن نفي رجوع القول، ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل[1].

عباد الله! فالله سبحانه وتعالى يتكلم متى شاء، وكيف شاء، وبما شاء لا يشبه كلامه كلام المخلوقين، ونؤمن بكلامه على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تحريفٍ ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، [و] في هذا رد على المعتزلة وغيرهم من فرق الضلال.

ثانياً: أهل الجنة -جعلنا الله وإياكم منهم- يرون ربهم تبارك وتعالى، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم

عباد الله! «هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمّر إليها المشمّرون، وتنافس المتنافسون، وحُرمها الذين هم عن ربهم محجوبون»[2].

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص١٧٠).

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص١٨٩).

• ففي قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]؛ أي: لن تقدر على رؤيتي في الدنيا، أما رؤيتهُ سبحانه وتعالى في الآخرة فهي ثابتةٌ بالكتاب والسنةِ وإجماع سلف الأمةِ.

• الأدلة من كتاب الله:

١-قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة]، ومعنى ناظرةٌ، أي: ترى ربها عياناً[١].

٢- وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، والزيادة هي النظر إلى الله تعالى.

٣- وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين:١٥]، قال الشافعي: (ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه -عز وجل-)[٢].

• الأدلة من السنة:

قال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم عياناً**»[٣].

• وعن جرير بن عبدالله قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى الفجر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامُّون**

(١) «تفسير ابن كثير». سورة القيامة.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) **صحيح**، رواه البخاري (٧٤٣٥) انظر: [«الصحيحة» (٣٠٥٦)] وانظر تخريج الحديث الآتي.

في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا»[(١)].

• وعن صهيب رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وقال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعداً يريد أن يُنجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقرّ لأعينهم»[(٢)].

ثالثاً: الشركُ جريمةٌ نكراء يرتكبُها الإنسانُ في حقِ نفسِهِ

عباد الله! خلق اللهُ الخلقَ لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، ومع ذلك نرى كثيراً من الناس يشركون بالله-عز وجل- كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف].

وأنعمُ الله على عبادِه نعماً لا تُعدُّ ولا تُحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، ومع ذلك نرى كثيراً من الناس لا يشكرون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر]، ومثال ذلك:

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، وانظر الحديث السابق.

(٢) **صحيح**، رواه مسلم(١٨١)، وأحمد (٤/ ٣٣٣)، وابن ماجه (١٨٧) وهذا لفظها، انظر: [«الطحاوية» (٢٠٦)].

• قوم موسى أنعمَ اللهُ عليهم نعماً كثيرةً، ومع ذلك عندما جاوزَ بهم موسى عليه السلام البحر ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف]. وعندما تركهم وذهبَ لميقاتِ ربه عبدوا العجل، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف:١٤٨]، فلما عبدوا العجلَ ولم يشكروا نعمَ اللهِ؛ غضبَ للهُ عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! اللهُ -عز وجل- يغضبُ على الإنسان إذا اتخذَّ إلهاً غيرهُ ويدعو عليه بالقتل، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس:١٧].

• والله -عز وجل- يبينُ للناسِ بالدليل العقلي والنقلي أنه لا إله إلا الله حتى لا يقعوا في الشرك، قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون].

• والله-عز وجل- يقررُ عبادَهُ بتوحيد الربوبيةِ ليوحدوه في العبادة، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن

يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل].

- والله -عز وجل- يبين للناسِ أن هذه الآلهة المزعومة لا تنفعُ ولا تضرُّ ولا تسمعُ ولا تبصر، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام وهو يوبخ قومه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء].

- والله-عز وجل- أخبرَ عبادَهُ في كتابه أن هذه الآلهةَ المزعومةَ تتخلى عن عُبَّادها يوم القيامة وتكفرُ بهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

- والله -عز وجل- في كتابه يخبرُ عبادَهُ أنهُ هو الإلهُ الحقُ، وأن ما يدعوا المشركون من دونه من الآلهة المزعومةِ باطلٌ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾

[الحج]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢﴾ [النحل].

***عباد الله!** والله -عز وجل- في كتابه يحذرُ عبادَهُ من الشرك:

• فتارة يخبرُهم أن الشركَ ظلمٌ عظيم، قال تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ۝١٠٦﴾ [يونس].

• وتارةً يخبرهم أن الشركَ يحبطُ الأعمال، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام].

• وتارةً يخبرهم أن الشرك سببٌ لدخول النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة].

• وتارةً يخبرهم أن الشرك ذنبٌ لا يغفرهُ اللهُ أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقال -سبحانه وتعالى- في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(١)].

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٧٢)، والضياء (١٥٧١)، وانظر: [«الصحيحة» (١٢٧)].

• وتارةً يخبرهم أن الشرك يحصل من شرار الخلق: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة].

ومع ذلك نرى كثيراً من الناس يطوفون بالقبور وهذا شركٌ، ويذبحون لغير الله، ويدعون غير الله، ويستغيثون بغير الله، وهذا كله شركٌ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف]؛ فعلى الدعاة إلى الله على بصيرةٍ أن يسلكوا سبيل الأنبياء في الدعوة إلى الله -عز وجل-، بأن يدعو الناس إلى التوحيد ويحذرونهم من كل مظاهر الشرك. فالمؤمن يغضب لله إذا رأى أي مظهر من مظاهر الشرك.

• فهذا إبراهيم عليه السلام غضب عندما رأى قومه يعبدون الأصنام من دون الله، فقال لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء]، وراغَ إلى آلهتهم فحطمها ليبين لهم أنها لا تنفعُ ولا تضر، قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء].

• وهذا موسى عليه السلام غَضِبَ لله -عز وجل- عندما رأى قومهُ يعبدون العجل، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٥٠]، وقام موسى عليه السلام بتحريق هذا الإله المزعوم ونسفه في اليم؛ ليبين لهم أنهُ لا يصلح أن يكون إلهاً، قال تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه].

- وهذا رسولنا ﷺ غضب لما رأى قومه بمكة يعبدون الأصنام حول الكعبة من دون الله، ولذلك لما فتح اللهُ عليه مكة حطم هذه الأصنام بعصاهُ وهو يقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾ [الإسراء].
- وهذا الهدهدُ لما رأى قوماً يسجدون للشمس من دون الله غضب وجاء إلى سليمان عليه السلام يخبرهُ بخبرهم. قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾ [النمل].

فعلى الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وعلى جميع المستويات أن يغضبوا لله –عز وجل– من مظاهر الشرك التي دبت في الأمة، ومن دعاة الضلالة الذي يدعون الناس إلى الشرك والوثنية، سائلين المولى في علاه أن يحفظنا وإياكم من كل مظاهر الشرك، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

رابعاً: إعفاء اللحية من هدي الأنبياء -عليهم السلام-

عباد الله! إعفاء اللحية من هدي الأنبياء –عليهم السلام–، وحلقها مخالف لهديهم، وهذا يؤخذ من قوله تعالى في ذكر موسى وأخيه –عليهما السلام–: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾: [طه].

قال الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- في «أضواء البيان» (٤/ ٥٠٦): (هذه الآية الكريمة بضمها مع آية الأنعام تدل على لزوم إعفاء اللحية وعدم حلقها، وآية الأنعام المذكورة هي: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأنعام:٨٤]، ثم إنه قال تعالى بعد عد الأنبياء المذكورين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أُمر النبي ﷺ بالاقتداء بهم، وأمره ﷺ بذلك أمرٌ لنا ..

وعلمت أن هارون كان موفراً شعر لحيته بدليل قوله لأخيه: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ [طه:٩٤] لأنه لو كان حالقاً لما أراد أخوه الأخذ بلحيته. تبين لنا من ذلك بإيضاح، أن إعفاء اللحية من السمت الذي أمرنا به في القرآن، وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم).

عباد الله! حلق اللحية مخالفٌ لقوله وفعله وحاله ﷺ.

أولاً: الأدلة القولية:

١- الأمر بإعفاء اللحية:

قال ﷺ: «**أنهكُوا الشوارب وأعفوا اللحى**»[1]. وقال ﷺ: «**أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى**»[2].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩) واللفظ الأول للبخاري والثاني لمسلم وانظر الحديث التالي.

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩) واللفظ الأول للبخاري والثاني لمسلم وانظر الحديث التالي.

٢- الأمر بتوفير اللحية:

قال ﷺ: «**خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب، وأوفوا اللحى**»[(١)].

٣- الأمر بمخالفة المجوس:

ذكر رسول الله ﷺ المجوس فقال: «**إنهم يُوفونَ سبالهم -أي: شواربهم- ويحلقون لحاهم فخالفوهم**»[(٢)].

٤- الأمر بإرخاء اللحية:

قال ﷺ: «**جزوا الشوارب، وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس**»[(٣)].

ثانياً: الأدلة الفعلية:

١- كثرة شعر لحيته ﷺ:

يقول جابر بن سمرة: «**كان رسول الله ﷺ كثير شعر اللّحية**»[(٤)].

٢- عِظمُ لحيته ﷺ:

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ عظيمَ اللحية**»[(٥)].

٣- كثاثة لحيته ﷺ:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ كث اللحية**»[(٦)].

---

(١) **صحيح**، هو رواية للحديث السابق عند البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩) معاً.

(٢) **صحيح**، صححه ابن حبان (٥٤٥٢)، وانظر: [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٣٤)]، السبال: الشوارب.

(٣) **صحيح**، رواه مسلم (٢٦٠).

(٤) **صحيح**، رواه مسلم (٢٣٤٤).

(٥) **صحيح**، رواه أحمد (١/ ٩٦)، وصححه ابن حبان (٦٤١٧)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٠٥٣)].

(٦) هو الحديث السابق، والكث بمعنى العظيم، وانظر «المسند» (١/ ٨٩)، وفي الباب حديث البراء ابن عازب، رواه النسائي (٥١٣٧)، وصححه الألباني.

٤- المطر يتحادر على لحيته ﷺ

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «استسقى النبي ﷺ يوم الجمعة وهو على المنبر ...، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته»(١).

٥- اضطراب لحيته ﷺ في الصلاة:

سأل رجلٌ خباب رضي الله عنه فقال: «أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: نعم. قلنا: من أين علمت؟ قال: باضطراب لحيته»(٢).

٦- تطييب لحيته ﷺ:

تقول عائشة رضي الله عنها: «كنت أطيِّب النبي ﷺ بأطيب ما يجد، حتى أجد وبيص الطيب في رأسه»(٣).

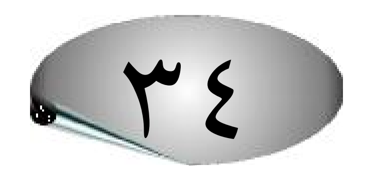
عباد الله! فإعفاء اللحية من أمره ﷺ وفعله، وقد أمرنا الله أن نتأسى به فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، وأمرنا الله -عز وجل- بطاعته فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢]، وحذرنا الله -عز وجل- من مخالفة أمرِه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]؛ فليتق الله الذين يحلقون لحاهم فإن حلق اللحية حرام وفيه طاعة للشيطان ومعصية للرحمن.

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (١٠٣٣).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٧٤٦).

(٣) **صحيح**، رواه البخاري (٥٩٢٣)، ومسلم (١١٩٠).



رابعاً: قصة موسى -عليه السلام-
مع بني إسرائيل عندما أمرهم أن يذبحوا بقرة

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]. ويقول سبحانه: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل عندما أمرهم أن يذبحوا بقرة.**

عباد الله! قصة البقرة ذُكرت في أطول سورة في القرآن الكريم، وسُميت السورة باسمها «سورة البقرة» لعجيب أمرها وعظيم دلالتها على قدرة الله الباهرة في إحياء الموتى، وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وهذه القصة تدل على لؤم بني إسرائيل وتعنتهم وعنادهم واستكبارهم، وعدم التأدب مع الله ومع رسوله ﷺ.

عباد الله! ما قصة بقرة بني إسرائيل؟

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كانت مدينتان في بني إسرائيل: إحداهما: حصينةٌ ولها أبوابٌ، والأخرى خربةٌ، فكان أهل المدينة الحصينة إذا أمسوا؛ أغلقوا أبوابها، وإذا أصبحوا قاموا على سور المدينة ينظرون: هل حدث فيما حولها حدث؟ فأصبحوا يوماً، فإذا شيخ قتيل، مطروحٌ بأصل مدينتهم، فأقبل أهل المدينة الخَربة، فقالوا: أقتلتم صاحبنا؟ وابن أخٍ له شابٌ يبكي عنده، ويقول: قتلتم عمي! قالوا: والله؛ ما فتحنا مدينتنا منذ أغلقناها، وما تندّينا من دم صاحبكم هذا بشيء، فأتوا موسى عليه السلام فأوحى الله -عز وجل- إلى موسى عليه السلام ...»[1]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾، هكذا صدَّرَ الأمرَ من الله؛ لم يقل: آمركم، ولا قال: اذبحوا؛ بل قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ ؛ ليكونَ أعظمُ وقعاً في نفوسهم، وأدعى إلى قبوله، وامتثاله، وقوله: ﴿بَقَرَةً﴾: لم تعين بوصفٍ، فلو ذبحوا أي بقرةٍ كانت لكانوا ممتثلين، ولكنهم تعنتوا؛ وتشددوا فشدد الله عليهم[2].

﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، أي: تستهزئ بنا؟ نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة! وإنما قالوا ذلك؛ لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا الحكمة فيه[3]. ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة]، أي: اعتصمُ بالله أن أكون من أولي الجهل فاتخذ عباد الله هزواً.

(١) **حسن**، وهو مرفوع حكماً - أخرجه ابن أبي الدنيا، «من عاش بعد الموت» (٤٧).

(٢) «تفسير القرآن الكريم للشيخ العثيمين» (١/ ٢٣٤).

(٣) «معالم التنزيل» (١/ ١٠٦).

يقول ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لو أخذوا أدنى بقرةٍ اكتفوا بها؛ لكنهم شدّدوا؛ فشدد الله عليهم[1].

عباد الله! تعالوا بنا ننظر إلى تشدُّد وتعنت بني إسرائيل:

أولاً: سألوا موسى عليه السلام عن سن هذه البقرة، قال تعالى عنهم: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾، أي: ما سنُّها؟ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، أي: لا كبيرةٌ ولا صغيرةٌ وسطٌ بين ذلك، وهي أقوى ما يكونُ من الدوابِ والبقرِ وأحسنُ ما تكون. ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة]، أي: افعلوا ما أمرتم به واتركوا التشديد والتعنت.

ثانياً: سألوا عن لونها، وهذا من تشددهم وتعنتهم، قال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾، يعني: أيُّ شيءٍ لونها، بيضاءُ، سوداءُ، شهباءُ...؟ فأجابهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [البقرة]، فصار التضييقُ عليهم من ثلاثة أوجه:

الأول: صفراءُ، **والثاني**: فاقعٌ لونُها، **والثالثُ**: تسُرُّ الناظرين.

ثالثاً: سألوا عن البقرة من حيثُ العمل، وهذا من تشددهم وتعنتهم. قال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾، أي:

---

(١) **حسن**، أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢/ ٩٨)، قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥٠٤): إسناده صحيح.

اشتبه علينا البقرة المطلوبة؛ وفي الحقيقة أنه ليس في هذا اشتباه؛ إذ ذكر لهم أنها بقرة وذكر لهم سنها؛ وذكر لهم لونها؛ فأين التشابه؟! لكن هذا من عنادهم وتعنتهم وتباطئهم في تنفيذ أمر الله[1].

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾ [البقرة]، قال بعض السلف: «لو لم يقولوا: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لم يهتدوا إليها أبداً».

• فأجابهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾، أي: ليست هذه البقرةُ مسخرةً لحراثةِ الأرض، ولا لسقايةِ الزرع، سليمةٌ من العيوب.

﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ﴾، أي: بالبيان الواضح، وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم أخذوا أي بقرةٍ لحصل المقصود، ولكنهم بكثرة الأسئلةِ شددوا على أنفسهم فشدد اللهُ عليهم، ولو لم يقولوا: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لم يهتدوا أيضاً إليها. ﴿فَذَبَحُوهَا﴾، أي: البقرةُ التي وصفت بتلك الصفات، ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١﴾ [البقرة] أي: كادوا أن لا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذي أرادوا، لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها[2].

يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد، وفي هذا ذمٌ لهم، وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت، فلهذا ما كادوا يذبحونها.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة للشيخ العثيمين (١/ ٢٣٧).

(٢) الطبري (٢/ ٢١٩).

عباد الله! فلما ذبحوها قال لهم موسى عليه السلام اضربوا القتيل ببعضها؛ فضربوه ببعضها، فأحياه الله، وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله.

• يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إن أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة، حتى وجدوها عند رجل في بقر له، وكانت بقرة تعجبه، قال: فجعلوا يعطونه بها ويأبى، حتى أعطوه ملء مَسْكها -أي: الجلد- دنانير، فذبحوها، فضربوه بعضوٍ منها؛ فقام تشخبُ أوداجه دماً فقالوا له: من قتلك؟ قال: قتلني فلان[1].

وكان في إحياء القتيل وهم -يشاهدون- ما يدل على إحياء الله الموتى قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾ [البقرة].

عباد الله! بنو إسرائيل أمةٌ عجيبةٌ، أمةٌ لئيمةٌ، أمةٌ متمردةٌ، رأوا بأمِّ أعينهم كيف ضرب موسى عليه السلام البحر ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)﴾ [الشعراء]، ورأوا كيف ضرب موسى عليه السلام الحجر ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة:٦٠]، ورأوا كيف أحيا اللهُ القتيلَ بعد موته وأخبرهم عن قائله، آياتٌ بيناتٌ تدلُ على قدرة الله ووحدانيته، تزيدُ الإيمان وترقق القلوب ولذلك قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

(١) **حسن**، وهو مرفوع حكماً -أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٩-٢٣٠/ ٧٥٥- البقرة).

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة] ومع ذلك ما ازداد بنو إسرائيل إلا كفراً وعناداً واستكباراً وقساوة في قلوبهم فلا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً.

• قال تعالى في وصفهم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾. ثم بين الله -عز وجل- أن الحجارة خيرٌ وأفضلُ من بني إسرائيل فإنهم لا خيرَ فيهم.

• قال تعالى في فضيلة الأحجار: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة].

• ولهذا نهى اللهُ المؤمنين عن حالٍ مثل حال بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

❋ الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل عندما أمرهم أن يذبحوا بقرة.

أولاً: المسارعة إلى تنفيذ أمر الله -تعالى- ورسوله ﷺ، وعدم التلكؤ في الاستجابة، وعدم التعنت وكثرة الأسئلة

• وذلك يا عباد الله! لأن الله لا يأمرنا إلا بكل خيرٍ ولا ينهانا إلا عن كل شر، وكذلك رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال].

• فها هم بنو إسرائيل أمروا أن يذبحوا بقرة، فكان الواجب عليهم أن يبادروا إلى امتثال أمر الله وأمر رسوله بذبح أي بقرةٍ ولكنهم تعنتوا وتشددوا؛ فشدد الله عليهم. ولذلك جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تنهى عن كثرة الأسئلة.

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المائدة].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**» فقال رجلٌ: أكلّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو قلتُ نعم لوجبت، ولما استطعتم**»، ثم قال: «**ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيءٍ فدعوه**»[1].

• وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[2].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٣٣٧) وبعد (٢٣٥٧) بتمامه، وروى البخاري (٧٢٨٨) آخره.

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (١٧١٥).

• وقال ﷺ: «**أعظم المسلمين في المسلمين جرماً، من سأل عن أمرٍ لم يُحرم، فحرّم على الناس من أجل مسألته**»[1].

عباد الله! ولقد ربى النبي ﷺ أصحابه على سرعة الاستجابة لله ولرسوله ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عندما حرم الله الخمر تحريماً أبدياً، أرسل رسول الله ﷺ منادياً ينادي في شوارع المدينة: ألا إن الخمر قد حُرمت، ويقول أنس: (كنت ساقي القوم يوم حُرمت الخمر في بيت أبي طلحة، فإذا منادٍ ينادي، قال: اخرج فانظر. فإذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فجرت في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرجْ فاهْرِقها. فهرقتها ...)[2].

ويقول أنس أيضاً: (كنت أسقي فلاناً وفلاناً من الصحابة، وأنا أسقيهم حتى كاد الشراب يأخذ منهم، فأتى آتٍ من المسلمين فقال: أما شعرتم أن الخمر قد حُرمت؟ فما قالوا: حتى ننظر ونسأل، فقالوا: يا أنس! أكفِ ما بقي في إنائك، فوالله ما عادوا فيها)[3].

فانظروا عباد الله! إلى سرعة الاستجابة لله ولرسوله ﷺ عندما سمعوا قول الله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة]، وسمعوا منادِ رسول الله ﷺ يقول:

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٣٥٨).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠).

(٣) **صحيح**، صححه ابن حبان (٥٣٣٧) وهو الحديث السابق.

(ألا إن الخمر قد حرمت)، فقالوا: انتهينا ربنا، انتهينا ربنا، وسكبوا ما في أيديهم من الخمر في شوارع المدينة.

كيف لا؟ والله -عز وجل- يصفهم بقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور].

٢- عندما أمرهم الله بالحجاب ونهاهم عن التبرج.

لما نزلت آيات الحجاب على رسول الله ﷺ تلاها على الرجال في المسجد، فانطلق كل منهم إلى بيته يتلوها على زوجته وابنته وأخته وأمه، فقامت كل امرأةٍ إلى مرطها فشقته فاختمرت به.

تقول عائشة رضي الله عنها: (يرحم الله نساء المهاجرات الأُول لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١] شققن مروطهن فاختمرن بها) [(١)].

عباد الله! كثيرٌ من الناس في هذا الزمان يسمعون أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، ولا يستجيبون لله ولا لرسوله ﷺ، أتدرون ما السبب يا عباد الله؟!

أولاً: اتباع الهوى؛ فهو من أعظم أسباب عدم الاستجابة؛ إذ الهوى سلطانٌ غشومٌ ظلومٌ يُعمي القلب ويصمه، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص]، وقال تعالى موضحاً خطر اتباع الهوى، الذي يُعبد الآن

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٤٧٥٨).

من دون الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية]؛ فهذا الذي يتبع هواه يناديه الله -عز وجل- من فوق سبع سماوات قائلاً: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠] ومع هذا تجد من يتبع هواه يفر من الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثانياً: الاستجابةُ للشيطان.

عباد الله! الشيطانُ عدوٌ مبينٌ يأمرُ بالفحشاء والمنكر، ومع ذلك ترى كثيراً من الناس يستجيبون له.

وهاهو الشيطان هناك في نار جهنم يقول لحزبه كما أخبرنا الله في كتابه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

ثالثاً: عدم سماعِ لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

قال تعالى عن هؤلاء: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت]. وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام].

ولهذا أمرنا الله بأن نستمع لأمره بقلوبنا قبل أي شيء فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال].

ومن لم يستمع الإنسان لأمر الله ويستجيب له؛ فإن الله أخبر عن حال هذا الإنسان لما يصير إلى النار حين يقول هو ومن على شاكلته: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك].

فالذين يستجيبون للشيطان ولا يستجيبون للرحمن ..، هؤلاء لهم أعين ولكن لا يبصرون بها، ولهم آذان ولكن لا يسمعون بها ..، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

ثانياً: البعثُ بعد الموت حقّ لا مرية فيه.

عباد الله! الإيمانُ بالبعث بعد الموت من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٨).

عباد الله! وقد أخبرنا الله -عز وجل- في كتابه عن قدرته على إحياء الموتى بعد موتهم، ومنها:

أولاً: أخبرنا الله -عز وجل- أنه هو الذي بدأ الخلق، والذي بدأ الخلقَ قادرٌ على أن يعيده مرةً ثانية، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، فبداية الخلق دليل على قدرة الله على إعادته يوم القيامة.

ثانياً: في كل ليلةٍ ننام ونستيقظ، فالنوم واليقظة دليل على الموت والبعث فكما أننا ننام في كل ليلةٍ، ونستيقظ في الصباح فكذلك نموت ونبعث يوم القيامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو النار أبداً.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام:٦٠].

فالإنسان إذا نام يقول: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»[١]. ويقول: «**باسمك ربّ وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»[٢].

فيا عباد الله، كما أنك تنام وتستيقظ في الصباح كذلك تموت وتبعث يوم القيامة للحساب والجزاء.

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٦٣١٤).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧٣٩٣)، ومسلم (٢٧١٤).

ثالثاً: وكذلك هذه الأرض التي نراها ميتةً فإذا نزل عليها ماء المطر اهتزت وربت وأنبتت لنا من كل زوج بهيج؛ فالله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓ﴾ [فصلت:٣٩]، فكما أحيا الأرض بعد موتها كذلك يحيي الموتى بعد موتهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت].

رابعاً: وقد أخبرنا اللهُ -عز وجل- أنه أحيا الموتى بعد موتهم في هذه الحياة الدنيا في كتابه في سورةِ البقرةِ وحدها في خمسة مواضع:

الأول: قتيلُ بني إسرائيل الذي نحن في صدد الحديث عنهُ، عندما أمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها، ففعلوا فأحياهُ الله وقال فلان قتلني، قال تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة].

الثاني: الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾ [البقرة:٢٤٣].

الثالث: الذين أخذتهم الصاعقةُ من بني إسرائيل فماتوا جميعاً ثم أحياهم الله من بعد موتهم قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

الرابع: الذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عروشها ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة:٢٥٩].

الخامسُ: قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾ [البقرة]؛ فالإيمانُ بالبعث بعد الموت حقٌّ، يبعثُ اللهُ الخلائق من قبورهم يوم القيامةِ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)﴾ [النجم].

ثالثاً: الأحجارُ والأشجارُ وجميعُ المخلوقاتِ تعرفُ ربها وتخشاهُ وتسبحه إلا ابن آدم الذي يتجرأ على معصيةِ اللهِ.

وهذا يؤخذ من قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١)﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن].

فانظروا عباد الله! الكونُ كُلُّهُ يعرفُ ربه ويسبحهُ، إلا ابن آدم هو الذي يتمرد على ربه ويعصيه؛ فابن آدم هو الذي يزني ويقتل ويشرك ويكفرُ.

وهو الذي قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، وهو الذي قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]. وهو الذي قال: ﴿ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]. وهو الذي قال: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]. وهو الذي قال: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [يونس:٦٨].

والله-عز وجل- يقولُ عن الإنسان: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]. فالله-عز وجل- ينعمُ على بني آدم، والكثير منهم لا يعبدونهُ ولا يشكرونه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦٠﴾ [يونس]، ولذلك دعا اللهُ على هذا النوع من الإنسان بالقتل فقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [عبس].

رابعاً: القتل جريمة نكراء يرتكبها الإنسان في حق نفسه وفي حق مجتمعه

عباد الله! وهذا يؤخذ من القصة التي نحن في صدد الحديث عنها، فهذا الرجل الذي قتل عمه ليرثه لولا أن العقلاء من بني إسرائيل ذهبوا إلى موسى عليه السلام يسألونه عن القاتل فأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوا المقتول ببعضها فقام حياً بإذن الله وأخبر عن قاتله؛ لاقتتل الناس وحدثت الفوضى بينهم.

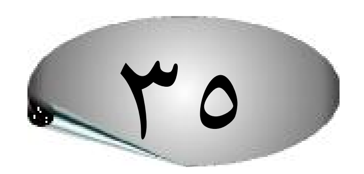
فالاعتداء على أرواح الناس بالقتل بأي طريقةٍ؛ جريمة نكراء يرتكبها الإنسانُ في حق نفسه، وفي حق غيره، وفي حق مجتمعه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان:٦٨].

وقال ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[1]، وقال ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمنٍ بغير حق**»[2].

فليتق الله الذين يطلقون العيارات النارية والألعاب النارية في الأعراس وفي المناسبات، فيتسببون بقتل الأطفال والنساء والرجال، ويزعجون الناس، وأي دين، وأي خلق يقول أن تفرح على حساب قتل أو إزعاج الآخرين؟!

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) **صحيح**، رواه الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي (٣٩٢٢)، وابن ماجه (٢٦١٩)، وانظر: [«غاية المرام» (٤٣٩)].



قصة موسى -عليه السلام- مع الخَضِر

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة موسى -عليه السلام- مع الخضر**.

⋆رحلة موسى -عليه السلام- في طلب العلم

عباد الله! قال أبيّ بن كعب رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجلٌ فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بل، عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آيةً، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه...**»[1].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

وفي رواية: «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فقال له: بلى، لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: أي ربّ ومن لي به؟ -وربما قال سفيان: أي رب وكيف لي به؟- قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكتلٍ، حيثما فقدت الحوت فهو ثمّ- وربما قال: فهو ثَمّه- وأخذ حوتاً فجعله في مكتلٍ ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نونٍ حتى إذا أتيا الصخرة وضبعا رؤوسهما، فرقد موسى، واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق، فقال: هكذا مثل الطاق فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. ولم يجد موسى النّصب حتى جاوز حيث أمره الله. قال له فتاه: أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً، فكان للحوت سرباً ولهما عجباً»[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف].

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٤٠١) وانظر الحديث السابق.

موسى -عليه السلام- يلتقي مع الخضر

قال ﷺ: «**قال له موسى -أي: قال موسى لفتاه-: ذلك ما كنا نبغي. فارتدا على آثارهما قصصاً -رجعا يقُصّان آثارهما- حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجلٌ مُسجّى بثوبٍ، فسلّم موسى، فردّ عليه. فقال: وأني بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم؛ أتيتك لتعلمني مما عُلمت رُشدا. قال: يا موسى إني على علمٍ من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علمٍ من علم الله علمكه الله لا أعلمه ..**»[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف].

موسى -عليه السلام- والخضر ينطلقان في رحلتهما

قال ﷺ: «**... فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت بهما سفينةٌ، كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر، فحملوه بغير نوْلٍ. فلما ركبا في السفينة؛ جاء عصفورٌ على حرف السفينة فنقر في البحر نقرةً أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى! ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذ أخذ الفأس، فنزع لوحاً**» قال: «**فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدّوم، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم**

(١) انظر تخريج الحديث السابق.

حملونا بغير نولٍ، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟

قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. فكانت الأولى من موسى نسياناً فلما خرجا من البحر؛ مرّوا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه، فقلعه هكذا -وأومأ سفيان بأطراف أصابعه؛ كأنه يقطف شيئاً-، فقال له موسى: أقتلت نفساً زكيةً بغير نفسٍ؟! لقد جئت شيئاً نكراً. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني؛ قد بلغت من لدني عذراً.

فانطلقا، حتى إذا أتيا أهل قريةٍ، استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض مائلاً -أومأ بيده هكذا، وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوقٍ، فلم أسمع سفيان يذكره مائلاً إلا مرةً-؛ قال: قومٌ أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم، لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً».

قال النبي ﷺ: «**وددنا أن موسى كان صَبَر، فقص الله علينا من خبرهما**». قال سفيان: قال النبي ﷺ: «**يرحم الله موسى، لو كان صَبَر لقص علينا من أمرهما**»[1].

---

(١) انظر تخريجه الحديث السابق.

قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف].

***عباد الله!** بدأ الخضر يوضح لموسى عليه السلام الحكمة من هذه الأشياء التي فعلها، قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! وهذه أسئلةٌ تحتاجُ إلى إجابةٍ:

السؤال الأول: هل كان الخَضِرُ نبياً؟

قال الإمام ابن كثير: تدلُ سياقُ القصةِ على نبوتِهِ من وجوهٍ:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف].

الثاني: قول موسى له: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف]، فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه بهذه المخاطبة.

الثالث: أن الخضر عليه السلام أقدم على قتل الغلام، وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهرٌ على عصمته؛ لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده.

الرابع: قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:٨٢]، أي: بل أمرٌ أُمرتُ به وأوحي إليَّ فيه[1] .

• وقال الأكثرون من أهل العلم: إن ذلك العبدَ كان نبياً، واحتجوا عليه بوجوه:

الأول: أنه تعالى قال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥]، والرحمة هي: النبوة بدليل قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف:٣٢]. وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٨٦].

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [الكهف]، وهذا يقتضي أنه تعالى علمه لا بواسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد؛ وكل ومن علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبياً، يعلم الأمور بالوحي من الله.

(١) «صحيح قصص الأنبياء» لابن كثير (ص٣٨٥).

الحجة الثالثة: أن موسى عليه السلام قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الكهف:٦٦]، والنبي لا يتبع غير النبي في التعليم.

الحجة الرابعة: أن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى، حيث قال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف]، وأما موسى فإنه أظهر التواضع له حيث قال: ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف].

الحجة الخامسة: قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:٨٢]، ومعناه: فعلته بوحي الله[١].

السؤال الثاني: هل مات الخضر -عليه السلام- أو ما زال حياً؟

عباد الله! لقد كثر الكلام والجدال بين الناس حول هذه المسألة: هل مات الخضر عليه السلام؟ أو ما زال حياً؟!!

والجواب: أن الراجح في تلك المسألة أن الخضر عليه السلام قد مات ..، ولا يوجد أي دليل على حياته من الكتاب والسنة، والأدلة على ذلك:

الأول: ظاهر عموم قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء]. فقوله: ﴿لِبَشَرٍ﴾ نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشرٍ؛ فيلزم ذلك نفي الخلد عن كل بشرٍ من قبله، والخضرُ بشرٌ من قبله.

(١) انظر «التفسير الكبير» (١١/ ١٢٦).

الثاني: قوله ﷺ: «**اللهم! إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»[1]. ومحل الشاهد منه قوله ﷺ: «**لا تعبد في الأرض**» فعلٌ في سياق النفي؛ فعلم أن ذلك النفي يشمل بعمومه وجود الخضر حياً في الأرض، لأنه على تقدير وجوده حياً في الأرض فإن الله يعبد في الأرض.

الثالث: إخباره ﷺ بأنه على رأس مائة سنة من الليلة التي تكلم فيها بالحديث لم يبق على وجه الأرض أحدٌ ممن هو عليها تلك الليلة، فلو كان الخضر حياً في الأرض لما تأخر بعد المائة المذكورة[2].

الرابع: أن الخضر لو كان حياً إلى زمن النبي ﷺ لكان من أتباعه ولنصره وقاتل معه؛ لأنه مبعوث إلى جميع الثقلين الإنس والجن، والآيات الدالة على عموم رسالته كثيرة جداً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، ويوضح هذا أنه تعالى بين في سورة «آل عمران» أنه أخذ على جميع النبيين الميثاق المؤكد أنهم إذا جاءهم نبينا ﷺ مصدقاً لما معهم أن يؤمنوا به وينصروه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (١١٦).

قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران]؛ لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد ﷺ وممن يقتدى بشرعه.

عباد الله! والاستدلال على حياة الخضر بآثار التعزية مردود من وجهين:

الأول: أنه لم يثبت ذلك بسند صحيح.

الثاني: أنه على فرض أن حديث التعزية صحيح لا يلزم من ذلك عقلاً ولا شرعاً ولا عرفاً أن يكون ذلك المعزي هو الخضر، بل يجوز أن يكون غير الخضر من مؤمني الجن؛ لأن الجن هم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف:٢٧]، ودعوى أن ذلك المعزي هو الخضر تحكمٌ بلا دليل.

وقولهم كانوا يرون أنه الخضر ليس حجة يجب الرجوع إليها؛ لاحتمال أن يخطئوا في ظنهم، ولا يدل ذلك على إجماع شرعي معصوم، ولا متمسك لهم في دعواهم أنه الخضر كما ترى[١].

الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصة موسى -عليه السلام- مع الخضر -عليه السلام-

عباد الله! قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام- فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً، من أهمها:

(١) انظر: «أضواء البيان» تفسير سورة الكهف.

أولاً: فضيلة العلم والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور التي ينبغي للمسلم أن يهتم بها

فهذا موسى عليه السلام رحل مسافةً طويلةً، ولقي النّصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

عباد الله! جاءت الأدلة في الكتاب والسنة وكلام السلف بل وقاموا بالرحلة في طلبه، تحث على طلب العلم وتخبر عن فضله.

ففي كتاب الله:

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

وفي السنة:

- قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[١].
- وقال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها، ويُعلمها**»[٢].
- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «**فوالله لأن يهدي الله بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمرِ النّعم**»[٣].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٣) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

• وقال ﷺ: «... ومن سلك طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»[1].

• وقال ﷺ: «من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[2].

• وقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[3].

• وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالماً أو مُتعلّماً»[4].

• وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»[5].

• وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٣) **صحيح**، رواه مسلم (١٦٣١).

(٤) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٣٢٣)، وابن ماجه (٤١١٢)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٧٩٧)].

(٥) **حسن**، رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وانظر: [«المشكاة» (٢١٣)].

العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما وثروا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافرٍ»[1].

ومن أقوال السلف:

- قال علي رضي الله عنه: (العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكمٌ والمال محكومٌ عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالنفقة).
- قال بعض السلف: عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً.
- وقال بعض السلف: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردت الدنيا والآخرة فعليك بالعلم.
- وقال بعض السلف: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

ثانياً: تواضع الفاضل للتعليم ممن دونه؛ فإن موسى -عليه السلام- بلا شكٍ أفضل من الخضر

ومع ذلك رحل موسى إليه وقال له: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف].

---

(١) حسن، رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه ابن حبان (٨٨)، وانظر: [«المشكاة» (٢١٢)].

ثالثاً: أن المسكين الذي له مالٌ ولكن لا يكفيه

فقد أخبر الله -عز وجل- عن المساكين الذين يعملون في البحر فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف:٧٩].

رابعاً: القتل من أكبر الذنوب

لقوله في قتل الغلام: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف].

خامساً: العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته

لقوله تعالى عن الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢].



قصة عيسى ابن مريم -عليه السلام-

أولاً: عقيدتُنَا في عيسى-عليه السلام-

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزم من الرسل. أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصةُ عيسى -عليه السلام-**

• **عباد الله!** الإيمانُ بالرسل جميعاً ركنٌ من أركان الإيمان وأصل من أصول الدين، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال ﷺ:

عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1].

- والكفرُ بالرسلِ أو برسولٍ واحدٍ كفرٌ بالله وضلالٌ بعيد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء]. وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء].

ومن المعروف أن كلَّ أمةٍ كذبتْ رسولها، إلا أن التكذيب برسول واحدٍ يعدُّ تكذيباً بالرسل كلهم، ذلك أن الرسل حملة رسالة واحدة، ودعاة دين واحد، ومرسلهم واحد، فهم وحدة يبشر المتقدم منهم بالمتأخر ويصدق المتأخر المتقدم.

- والإيمانُ ببعض الرسل والكفر ببعضٍ والتفريق بينهم كفرٌ بهم جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

- ولذلك وعدَ اللهُ الذين آمنوا ولم يفرقوا بين الرسل بالمثوبةِ والأجرِ الكريم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٨).

• وقد ذمّ اللهُ أهلَ الكتابِ لإيمانِهِم ببعضِ الرسلِ وكفرِهِم ببعض، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١]. فاليهود لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمدٍ، والنصارى لا يؤمنون بمحمدٍ ﷺ.

عباد الله! ومن آمنَ بجميع الرسلِ وكفر بعيسى عليه السلام فهو كافر بالله وبكل الرسل، ومن آمن بالله ورسله وكفر بمحمدٍ ﷺ فهو كافرُ بالله ورسله.

***عباد الله!** ما هي عقيدتنا في عيسى ابن مريم عليه السلام؟

• عيسى ابن مريم عليه السلام رسولٌ من رب العالمين، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة:٧٥].

• عيسى عليه السلام هو خاتمُ الأنبياء بني إسرائيل، وقد قامَ فيهم خطيباً فبشرهم بخاتم الأنبياء الآتي بعده، ونوه باسمه، وذكر لهم صفته؛ ليعرفوه، ويتابعوه إذا شاهدوه؛ إقامةً للحجة عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف].

وقال ﷺ: «**أنا دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى -عليهما السلام-**»[1].

• عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب].

(١) **صحيح**، رواه أحمد (٥/ ٢٦٢)، وصححه الحاكم (٢/ ٤١٨)، وانظر: [«الصحيحة» (١٥٤٥، ١٥٤٦)].

• عيسى عليه السلام عبدٌ لله بعثهُ اللهُ في بني إسرائيل؛ ليدعوهم إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له، قال تعالى عن عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف].

وأولُ ما نطقَ به عيسى عليه السلام وهو في المهدِ إقرارهُ بعبوديته لله تعالى، قال تعالى على لسان عيسى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم].

وأخبر اللهُ -عز وجل- أن المسيحَ عيسى لا يستنكفُ أن يكون عبداً لله، فقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء:١٧٢].

ودعا عيسى عليه السلام بني إسرائيلَ إلى عبادة الله وحدهُ وحذرهم من الشرك، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

• عيسى عليه السلام آيةٌ من آيات الله خلقهُ اللهُ كما خلق آدم بـ﴿كُن﴾ [الأنعام:٧٣] فيكون. قال تعالى: -﴿وَلِنَجْعَلَهُ﴾، أي: عيسى، ﴿آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم:٢١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]، أي: إن مثل عيسى عند الله في قدرة الله حيث خلقه من غير

أب ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾، حيث خلقه من غير أب ولا أم، وإنما خلق من تراب، فالذي خلق آدم من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق عيسى من غير أب بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء الألوهية في عيسى -كما تقول النصارى- لكونه مخلوقاً من غير أب، فجواز ذلك في آدم بطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواهم في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب -عز وجل- أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر -من ضلع آدم- بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى[1].

- عيسى عليه السلام الذي تكلم في المهد وكهلاً، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال ﷺ: «**لم يتكلم في المهدِ إلا ثلاثةٌ**» وذكر منهم: «عيسى عليه السلام»[2].

- عيسى عليه السلام رُفِعَ حياً إلى السماء، ينزلُ في آخر الزمان علامةً من علامات الساعةِ الكبرى يحكمُ الناسَ بشريعة محمدٍ ﷺ، ويكسر الصليب، ويقتلُ الخنزيرَ، قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ

---

(١) ابن كثير (١/ ٣٦٧).

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠).

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشِكنَّ أن ينزلَ فيكمُ ابنُ مريمَ حَكماً عدلاً، فيكسرا الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية**»[1]. وقال ﷺ: «**إنها لن تقوم الساعة حتى ترون قبلها عشر آياتٍ**» وذكر منها: «**ونزول عيسى ابن مريم**»[2].

***عباد الله!** هذه عقيدتُنا في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم].

***عباد الله!** اختلفَ قولُ أهلِ الكتاب من اليهود والنصارى في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ بين الإفراطِ والتفريط.

- فاليهودُ عليهم لعائنُ الله قالوا عنه: إنه ولدُ زنا، واتهموا أمهُ الشريفةَ العفيفةَ بالزنا!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٢٩٠١).

وقد أخبرنا الله -عز وجل- عن قول اليهود في عيسى عليه السلام وعن اتهامهم لمريم بالفاحشة، فقال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء].

• والنصارى غلَوا في عيسى عليه السلام

• فمنهم من قال: هو ابن الله، قال تعالى عن هؤلاء: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠].

• ومنهم من قال: هو الله، قال تعالى عن هؤلاء: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٧٢].

• ومنهم من قال: ثالث ثلاثة، قال تعالى عن هؤلاء: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة].

فانظروا عباد الله! جفى اليهودُ عيسى عليه السلام حتى قذفوا أمّهُ مريم بالزنا، وغلا النصارى فيه حتى جعلوهُ إلهاً ورباً. فالإفراط والتفريطُ كلهُ كفرٌ وضلال، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «**لا تُطرُوني كما أَطرَتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدُهُ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله**»[1].

***عباد الله!** اليهودُ عليهم لعائنُ الله قومٌ بُهتٌ، قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان يهودياً فأسلمَ: يا رسول الله! إن اليهود قومٌ بهت[2]، والبهتُ

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٣٣٢٩).

هو: الكذبُ والافتراءُ. واليهودُ كذبوا على مريمَ وافتروا عليها بأن اتهموها بالزنا، قال تعالى على اليهود: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء].

عباد الله! ودفاعاً عن مريم وتبرئةً لها من هذا البهتان العظيم الذي رماها به اليهودُ. فتعالوا بنا عباد الله إلى سورة «آل عمران»؛ ففيها يبين لنا ربنا -جل وعلا- أهل مريمَ، ومن أين جاءت؟ وأين قربت؟ وكيف تربت؟ وأنها أحصنت فرجها، وأن الله اصطفاها على نساء العاملين؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة.

• قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! هذه مريمُ ابنةُ عمران أُمُّ عيسى عليه السلام

أولاً: اصطفى الله أهلها -أي: اختارهم- على العالمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران].

ثانياً: تربت مريمُ في رحابِ بيت المقدس؛ لأن أُمّها لـمّا حملت بها نذرت أن يكون ما في بطنها خادماً لبيت الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ -وهي أمُّ مريم- ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران].

ثالثاً: حَفِظَ اللهُ مريمَ وابنها من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران].

رابعاً: تقبلَ اللهُ مريمَ من أُمِّها وأنبتها نباتاً حسناً، قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾.

خامساً: جعل الله زكريا عليه السلام كافلاً لها مشرفاً على تربيتها، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾.

سادساً: مريمُ من أولياء الله، أكرمها الله بكرامات، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]؛ فكانت تأتيها فاكهةُ الصيف في الشتاء، وفاكهةُ الشتاء في الصيف.

سابعاً: أخبرنا الله -عز وجل- في كتابه أن مريمَ أحصنت فرجها، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء].

ثامناً: مريمُ ابنةُ عمران التي بشرتها الملائكة أن الله اصطفاها على نساء العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران].

تاسعاً: مريمُ ابنةُ عمران التي بشرتها الملائكةُ أن الله يبشرُها بعيسى، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! ماذا قالت مريمُ عندما بشرتها الملائكة بعيسى عليه السلام؟ وكيف حملت مريم بعيسى عليه السلام؟ وأين ولدته؟ وماذا قالت وهي تلدُ عيسى عليه السلام؟ وكيف جاءت إلى قومها؟ وماذا قالوا لها؟ وماذا قال عيسى وهو في المهد يبرئ أمهُ من تهمة اليهود ويبرئ نفسهُ من ضلال النصارى؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

❋**عباد الله!** الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من ميلادِ مريم ابنة عمران.

أولاً: اللهُ -عز وجل- يُكْرِمُ أولياءَهُ بكرامات.

وهذا يؤخذ من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]. وهذه كرامةٌ من الله أكرمَ بها مريم.

- وأكرمها أيضاً عندما وضعت عيسى، فقال لها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم].
- وأكرمها أيضاً عندما رجعت إلى قومها تحمل عيسى فسألوها فأشارت إلى عيسى فتكلم عيسى في المهدِ كرامةً لأمه ومعجزةٍ لعيسى، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٢٩، ٣٠].

عباد الله! من أصول أهل السنة والجماعة التصديقُ بكرامات الأولياء ولكن من هم أولياء الله؟

هل هم الذين يلبسون العمائم الخضراء؟!

هل هم الذين يضربون أنفسهم بالسكاكين؟!

هل هم الذين يأكلون الزجاج؟!

هل هم الذين يطيرون في الهواء؟!

هل هم الذين يمشون على الماء؟!

هم الذين وصفهم الله -عز وجل- في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]؛ فكل مؤمن تقي فهو لله ولي.

عباد الله! وإثبات الكرامات جاءت في الكتاب والسنة.

ففي كتاب الله:

١- أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً بلا طعام ولا شراب، وهم نائمون، يقلبُهم الله ذات اليمين وذات الشمال؛ في الصيف وفي الشتاء لم يزعجهم الحر، ولم يؤلمهم البردُ، ما جاعوا وما عطشوا وما ملوا من النوم، وهذه كرامة لهم بلا شك.

٢- مريم -عليها السلام- أكرمها الله تعالى بكرامات كما سبق معنا.

أما في السنة:

فالأدلة على كرامات الأولياء كثيرةٌ جداً، منها:

١- جريجُ العابدُ الذي أنطق الله له الصبي الصغير؛ ليُثبت براءته وذلك عندما اتهمه قومه بالزنا وقالوا له: زنيت بفلانة وهذا الغلام منك. فقال لهم: أين الصبي؟ فطعنه في بطنه بيده وقال له: من أبوك؟ فنطق الصبيُّ فقال: فلانٌ الراعي؛ فكان في نطق هذا لصبي ظهور براءته وهذه كرامةٌ له.

٢- وها هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان إذا دعا استجاب الله دعوته فدعا يوماً على رجل ظلمه، فقال: (اللهم! إن كان عبدك هذا كاذباً، قام رياءً وسمعةً؛ فأطل عمره، وأطل فقره، وعرّضه بالفتن! وكان بعد إذا سُئل؟ يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابتني دعوةُ سعدٍ)[1].

٣- وها هو سعيدُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه ادَّعت امرأةٌ ظلماً أنه أخذ أرضها فدعا عليها فقال: (اللهم! إن كانت كاذبة فاعْمِ بصرها، واقتلها في أرضها، قال: فما مات حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت)[2].

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٧٥٥).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (١٦١٠).

ثانياً: على الإنسان أن يعتقد أن الرزق بيد الله كما قالت مريم لزكريا عندما قال لها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ **[آل عمران].**

• فقد أخبرنا الله -عز وجل- أنه هو الرزاق، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

- وأخبرنا الله -عز وجل- في كتابه أن الرزق مضمون، فقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات].

ولكن يا عباد الله! كيف نتحصل على الرزق؟! بالتواكل؟! أم بالنصب والاحتيال والسرقة؟ أم بأكل الربا؟ كيف نتحصل على الرزق المضمون؟ نتحصل عليه كما علمنا ربنا -جل وعلا- في كتابه وكما علمنا رسولنا ﷺ في سنته.

١- نتحصل على الرزق بتقوى الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

٢- نتحصل على الرزق بالتوكل على الله وحده، كما قال ﷺ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**»[1].

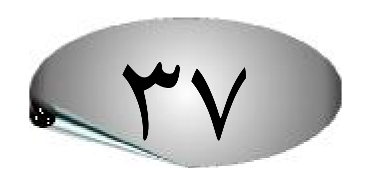
---

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٠)، وانظر: [«الصحيحة» (٣١٠)].

٣- نتحصل على الرزق بشكر الله ولا يكون ذلك إلا بعبادة الله.

قال تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:١٧]. وقال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ [إبراهيم:٧].

٤- نتحصل على الرزق المضمون بالأخذ بالأسباب المشروعة بأن نسعى ونمشي في هذه الأرض. قال تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ [الملك:١٥].



قصة عيسى ابن مريم -عليه السلام-

ثانياً: قصة ميلاد عيسى العبد الرسول من مريم العذراء البتول

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة:١٧]، وقال تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن ودروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزمِ من الرسل أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **قصة ميلاد عيسى العبدِ الرسولِ من مريم العذراء البتول.**

عباد الله! مريمُ ابنةُ عمران هناك في محراب في رحاب بيت المقدس تعبد ربها، يقول اللهُ عنها: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ

عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

***عباد الله!** تعالوا بنا إلى «سورة مريم» فهناك يخبرُنا ربُنا -جل وعلا- بميلادِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

جبريل -عليه السلام- يدخلُ على مريم في خلوتها.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم].

عباد الله! كما ذكر قصة زكريا ويحيى، وكانت من الآيات العجيبة؛ انتقل منها إلى ما هو أعجب منها تدريجياً من الأدنى إلى الأعلى، فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: الكريم، ﴿مَرْيَمَ﴾: وهذا من أعظم فضائلها؛ أن تُذكرَ في الكتاب العظيم الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تُذكر فيه بأحسن الذكر وأفضل الثناء؛ جزاءً لعملها الفاضل وسعيها الكامل، أي: واذكر في الكتاب مريم في حالها الحسنة حين ﴿ٱنتَبَذَتْ﴾؛ أي: تباعدت عن أهلها، ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾، أي: مما يلي الشرق عنهم، ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾، أي: ستراً ومنعاً، وهذا التباعد منها واتخاذ الحجاب لتعتزل وتنفرد بعبادة ربِّها، وتقنعت له في حالة الإخلاص والخضوع والذلِّ لله تعالى، وذلك

امتثالٌ منها لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: وهو جبريل عليه السلام، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾، أي: كاملاً من الرجال في صورة جميلة وهيئةٍ حسنةٍ لا عيب فيه ولا نقص؛ لكونها لا تحتمل رؤيته على ما هو عليه.

فلما رأته في هذه الحال، وهي معتزلة عن أهلها، منفردة عن الناس، قد اتخذت الحجاب عن أعزِّ الناس عليها، وهم أهلها، خافت أن يكون رجلاً قد تعرَّضَ لها بسوءٍ وطَمِعَ فيها، فاعتصمت بربِّها واستعاذت منه فقالت له: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾، أي: ألتجئ به، وأعتصم برحمته أن تنالني بسوءٍ، ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾، أي: إن كنت تخافُ الله وتعمل بتقواه، فاترك التعرُّض لي؛ فجمعت بين الاعتصام بربها وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية والشباب والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر والبشرية الكاملة السويَّة، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة والبعد عن الشرّ وأسبابه، وهذه العفة خصوصاً مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع من أفضل الأعمال، ولذلك أ ثنى الله عليها، فقال: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢]، ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء]؛ فأعاضها الله بعفتها ولداً من آيات الله، ورسولاً من رسله.

فلما رأى جبريل منها الرَّوْع والخيفة؛ قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾؛ أي: إنما وظيفتي وشغلي تنفيذُ رسالة ربي فيك، ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾، وهذه بشارةً عظيمةً بالولد وزكائه، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة واتصافه بالخصال الحميدة؛ فتعجبت من وجود الولد من غير أب فقالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠﴾، والولد لا يوجد إلا بذلك.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾، تدل على كمال قدرة الله تعالى وعلى أن الأسباب جميعها لا تستقلُّ بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيُري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدِّرها ومسبِّبها، ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾، أي: ولنجعله رحمةً منا به وبوالدته وبالناس: أما رحمة الله به؛ فلما خصَّه الله بوحيه، ومنَّ عليه بما منَّ به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته؛ فلما حصل لها من الفخر والثناء الحسن والمنافع العظيمة. وأما رحمته بالناس؛ فإن أكبر نعمه عليهم أن بَعَثَ فيهم رسولاً، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة فيؤمنون به، ويطيعونه، وتحصلُ لهم سعادةُ الدنيا والآخرة، ﴿وَكَانَ﴾، أي: وجود عيسى عليه السلام على هذه الحالة، ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا ٢١﴾، قضاءً سابقاً؛ فلا بدَّ من نفوذ هذا التقدير والقضاء، فنفخ جبريل عليه السلام في جيبها.

مريم حملت بعيسى -عليه السلام-

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ [مريم:٢٢-٢٦].

عباد الله! لما حملت مريمُ بعيسى عليه السلام؛ خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس مكاناً قصياً، فلما قَرُبَ ولادُها؛ ألجأها المخاضُ إلى جذع نخلةٍ، فلما آلمها وجع الولادة، ووجعُ الابتعاد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من قالة الناس، وخافت عدم صبرها، تمنَّتْ أنها ماتتْ قبل هذا الحادث وكانت نسياً منسياً؛ فلا تُذكر، وهذا التمني بناءً على ذلك المزيج، وليس في هذه الأمنية خيرٌ لها ولا مصلحةٌ، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل.

فحينئذٍ سكَّن المَلَكُ رَوْعها، وثبَّتَ جأشها، وناداها من تحتها، لعلَّه من مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزني، أي: لا تجزعي ولا تهتمي، فـ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾، أي: نهراً تشربين منه ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾، أي: طرياً لذيذاً نافعاً، ﴿فَكُلِي﴾، من التمر، ﴿وَٱشۡرَبِي﴾، من النهر، ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾، بعيسى؛ فهذا طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة وحصول المأكل والمشرب الهنيِّ، وأما من جهة قالة الناس؛ فأمرها أنها إذا رأت أحداً من البشر أن تقول على وجه الإشارة: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾، أي: سكوتاً، ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾، أي: لا تخاطبيهم بكلام لتستريحي من قولهم وكلامهم، وكان معروفاً عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة.

وإما لم تُؤْمَرْ بمخاطبتهم في نفي ذلك عن نفسها، لأن الناس لا يصدِّقونها، ولم يكن فيه فائدة، ولتحصل تبرئتها بكلام عيسى في المهد

فيكون أعظم شاهدٍ على براءتها؛ فإن إتيان المرأة بولدٍ من دون زوجٍ ودعواها أنه من غير أحدٍ من أكبر الدعاوى التي لو أقيم عدة من الشهود لم تصدق بذلك، فجُعِلَتْ بيِّنَةُ هذا الخارق للعادة أمراً من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جداً.

مريم أتت قومها تحمل عيسى -عليه السلام-

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم:٢٧-٣٣].

عباد الله! لما تعلَّتْ من نفاسها؛ أتت بعيسى قومَها تحمِلهُ، وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأتت غير مباليةٍ ولا مكترثةٍ، فقالوا: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾، أي: عظيماً وخيماً، وأرادوا بذلك البغي حاشاها من ذلك، ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾، الظاهر أنه أخٌ لها حقيقيٌّ فنسبوها إليه، (وكانوا يسمون بأسماء الأنبياء، وليس هو هارون بن عمران أخا موسى؛ لأن بينهما قروناً كثيرة)؛ ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، أي: لم يكن أبواك إلا صالحين سالمين من الشرِّ، وخصوصاً هذا الشرّ الذي يشيرون إليه، وقصدُهم: فكيف كنت على غير وصفهما وأتيت بما لم يأتيا به؟! وذلك أن الذُّرية في الغالب بعضها من بعض في الصلاح وضدِّه، فتعجبوا بحسب ما قام بقلوبهم؛ كيف وقع منها؟!

﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: كلموه، وإنما أشارت لذلك لأنها أمرت عند مخاطبة الناس لها أن تقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم:٢٦] ، فلما أشارت إليهم بتكليمه؛ تعجبوا من ذلك، وقالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾؛ لأن ذلك لم تجرِ به عادةٌ ولا حصل من أحدٍ في ذلك السنِّ.

فحينئذٍ قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في المهد صبيّ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾؛ فخاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه ليس فيه صفةٌ يستحق بها أن يكون إلهاً أو ابنا للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، ومدَّعون موافقته، ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾، أي: قضى أن يؤتيني الكتاب، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾: فأخبرهم بأنه عبدُ الله، وأن الله علَّمه الكتاب وجعله من جملة أنبيائه؛ فهذا من كماله لنفسه.

ثم ذكر تكميله لغيره، فقال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾؛أي: في أي مكانٍ وأي زمان؛ فالبركةُ جعلها الله فيَّ من تعليم الخير والدعوة إليه والنهي عن الشرِّ والدعوة إلى الله في أقوالِه وأفعالِه؛ فكلُّ من جالسه أو اجتمع به؛ نالته بركتُه وسَعِدَ به مصاحبه. ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾، أي: أوصاني بالقيام بحقوقه التي من أعظمها الصلاة، وحقوق عباده التي أجلُّها الزكاةِ، مدَّة حياتي؛ أي: فأنا ممتثل لوصية ربي، عاملٌ عليها، منفذٌ لها.

وأوصاني أيضاً أن أبرَّ والدتي فأحسِنَ إليها غايةَ الإحسان، وأقومَ بما ينبغي لها؛ لشرفِها وفضلِها، ولكونها والدةً لها حقُّ الولادة وتوابعها، ﴿وَلَمْ

﴿يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾، أي: متكبراً على الله مترفعاً على عباده، ﴿شَقِيًّا﴾، في دنياي وأخراي، فلم يجعلني كذلك، بل جعلني مطيعاً له خاضعاً خاشعاً متذللاً متواضعاً لعباد الله، سعيداً في الدنيا والآخرة أنا ومن اتبعني.

فلما تمَّ له الكمالُ ومحامد الخصال؛ قال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾، أي: من فضل ربي وكرمه حصلت لي السلامة يوم ولادتي ويوم موتي ويوم بعثي من الشرِّ والشيطان والعقوبة، وذلك يقتضي سلامته من الأهوال ودار الفجار؛ وأنه من أهل دار السلام؛ فهذه معجزةٌ عظيمة وبرهان باهرٌ على أنه رسول الله وعبدُ الله حقاً.

هذا هو عيسى ابن مريم عبد اللهِ ورسوله رداً على فرية اليهودِ وغلو النصارى.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم].

عباد الله! الموصوفُ بتلك الصفات هو عيسى ابن مريم من غير شك ولا مريةٍ، بل ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾، وكلام الله الذي لا أصدق منه قيلاً و لا أحسن منه حديثاً، فهذا الخبر اليقينيُّ عن عيسى عليه السلام وما قيل فيه مما يخالف هذا؛ فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكّاً من قائلِهِ لا علم له به. ولهذا قال: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾، أي: يشكون فيما روى بشكِّهم ويجادلون بحرصِهِم، فمن قائل عنه: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن

إفكهم وتقوُّلهم علوًّا كبيراً. فـ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾؛ أي: ما ينبغي ولا يليق؛ لأن ذلك من الأمور المستحيلة؛ لأنه الغني الحميد المالك لجميع المالك؛ فكيف يتخذ من عباده ومماليكه ولداً ﴿سُبْحَانَهُ﴾، أي: تنزه وتقدس عن الولد والنقص، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾؛ أي: من الأمور الصغار والكبار؛ لم يمتنع عليه ولم يستصعبْ، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾؛ فإذا كان قدرُه ومشيئتُه نافذاً في العالم العلوي والسفلي، فكيف يكون له ولدٌ؟! إذا أراد شيئاً؛ قال له: كن فيكونُ؛ فكيف يُستبعَدُ إيجاده عيسى من غير أب؟!

ولهذا أخبر عيسى أنه عبدٌ مربوب كغيره، فقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، الذي خلقنا وصوَّرنا ونَفَذَ فينا تدبيرُه وصَرَفنا تقديره؛ ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾، أي:أخلصوا له العبادة واجتهدوا في الإنابة. وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والاستدلال الأول على الثاني، ولهذا قال: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم]؛ أي: طريق معتدلٌ موصلٌ إلى الله؛ لكونه طريق الرسل وأتباعهم، وما عدا هذا؛ فإنه من طرق الغيِّ والضلال.

• ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [مريم].

عباد الله! لما بيَّن تعالى حال عيسى ابن مريم الذي لا يُشَكُّ فيها ولا يُمترى؛ أخبر أن الأحزاب، أي: فرق الضلال من اليهود والنصارى وغيرهم على اختلاف طبقاتهم اختلفوا في عيسى عليه السلام؛ فمن غالٍ فيه

وجافٍ؛ فمنهم من قال: إنه الله، ومنهم من قال: إنه ابن الله! ومنهم من لم يجعله رسولاً، بل رماه بأنه ولد بغيٍّ، كاليهود! وكل هؤلاء أقوالهم باطلة، وآراؤهم فاسدةٌ مبنية على الشك والعناد والأدلة الفاسدة والشبَّه الكاسدة، وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالله ورسله وكتبه، ويدخل فيهم اليهودُ والنصارى، القائلون بعيسى قول الكفر، ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾؛ أي: مشهد يوم القيامة، الذي يشهدهُ الأولون والآخرون أهل السموات وأهل الأرض، الخالق والمخلوق، الممتلئ بالزلازل والأهوال، المشتمل على الجزاء بالأعمال؛ فحينئذ يتبين ما كانوا يُخفون، ويُبدون، وما كانوا يكتمون.

- ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم:٣٨]، أي: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم، فيقرُّون بكفرهم وشركهم، وأقوالهم، ويقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة]، ففي القيامة يستيقنون حقيقة ما هم عليه.

﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [مريم]: وليس لهم عذر في هذا الضلال؛ لأنهم بين معاندٍ ضالٍّ عن طريق الحق، متمكن من معرفة الحق والصواب، ولكنه راضٍ بضلاله، وما هو عليه من سوء أعماله، غير ساعٍ في معرفة الحق من الباطل.

وتأمل كيف قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [مريم:٣٧]، بعد قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾ ليعود الضمير إلى الأحزاب؛ لأن من الأحزاب المختلفين

طائفةً ووافقت الحق فقالت في عيسى: إنه عبدُ الله ورسولُه، فآمنوا به واتبعوه؛ فهؤلاء مؤمنون غير داخلين في هذا الوعيد؛ فلهذا خصَّ الله بالوعيد الكافرين.

- ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم].

الإنذار: هو الإعلام بالمخوِّف على وجه الترهيب والإخبار بصفاته، وأحق ما يُنذر به ويخوَّف به العباد يومُ الحسرة حين يُقضى الأمر، فيُجمع الأولون والآخرون في موقفٍ واحدٍ، ويُسألون عن أعمالهم؛ فمن آمن بالله واتبع رسله؛ سَعِدَ سعادةً لا يشقى بعدها، ومَنْ لم يؤمن بالله ويتبع رسله؛ شقي شقاوة لا يسعدُ بعدها، وخسِرَ نفسه وأهله؛ فحينئذٍ يتحسر ويندم ندامةً تنقطع منها القلوبُ، وتتصدع منها الأفئدة، وأيُّ حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنتهِ واستحقاق سخطه والنار على وجه لا يتمكنُ من الرجوع ليستأنفَ العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟ فهذا قدَّامهم، والحالُ أنهم في الدنيا في غفلة عن هذا الأمر العظيم؛ لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر؛ فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة أو شملتهم السكرةُ؛ فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألهتهم دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المقتضية الفانية؛ فالدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها ستذهب عن أهلها ويذهبون عنها، وسيرثُ الله الأرض ومن عليها،

ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو ربحوا؛ فمن عمل خيرً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك؛ فلا يلومنَّ إلا نفسه[1] .

عباد الله! كيف دعا عيسى عليه السلام بني إسرائيل إلى الله -عز وجل-؟ وماذا قال لهم؟ وماذا قالوا له؟ وهل قتلوه أم رفع حياً إلى السماء؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى-

الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة ميلاد عيسى -عليه السلام-

أولاً: التقوى إذا تمكنت من القلوب حالت بين صاحبها وبين فاحشة الزنا

- وهذا يؤخذ من قول مريم للرجل الذي دخل عليها في خلوتها: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم]؛ فذكرته بالتقوى لعلمها أن التقي لا يقترفُ فاحشة الزنا إذا تذكر.

- والثلاثة الذين دخلوا الغار، وانحدرت صخرةٌ من الجبل فسدَّت عليهم الغار، وأيقنوا الهلاك، فقالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

- فقال أحدهم: (اللهم! إنه كان لي ابنة عم، وكنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فراودتها عن نفسها فامتنعت، فأخذتها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، يقول الرجل: فلما جلست منها كما يجلس الرجل من زوجته

---

(١) انظر «تفسير الشيخ السعدي» (سورة مريم).

قالت الفتاة: «اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه»، فلما ذكرته بالتقوى يقول الرجل: «فقمت عنها ولم أزني بها»[1]؛ فما الذي منعه من الزنا؟ إنها التقوى قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف].

- فعلى العاقل أن يتزود بزاد التقوى في ليلِهِ ونهاره، وذلك لأن التقوى هي وصيةُ الله لعباده الأولين والآخرين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] وهي وصية النبي ﷺ لأصحابه وأمته عندما قالوا له: أوصنا يا رسول الله! فقال: «**أوصيكم بتقوى الله**»[2].

ثانياً: الزنا فاحشةٌ نكراء لا يحبها أحدٌ ولا يرضاها؛ لأنها حرام، وتطأطأ الرؤوس، وتسوِّدُ الوجوه، وتخرس الألسنة، وعارٌ لا يمحى.

وهذا يؤخذ من قول مريم: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾، ومن قولها: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾، ومن قول قومها عندما رجعت إليهم تحمل عيسى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم].

- فالزنا جريمة لا يحبها أحدٌ حتى قبل الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) **صحيح**، رواه أبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٦٧٦)، وصححه الحاكم (١/ ٩٦)، وابن حبان (٥)، وانظر: [«الصحيحة» (٢٧٣٥)].

• لما بايع رسول الله ﷺ النساء على أن لا يُشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين. فقالت هند بنت عتبة: يا رسول الله! وهل تزني الحرة؟ قال: لا، والله ما تزني الحرة.

• وهذا عثمان رضي الله عنه عندما حاصره البغاة ليقتلوه: ولمَ يقتلونني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفرٌ بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس. فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام...**»[1] .

ثالثاً: قذف المحصنات المؤمنات الغافلات جريمة

وتعلمون أن اليهود -عليهم لعنة الله- هم الذين قذفوا مريم واتهموها بالزنا والله -عز وجل- قال: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء].

عباد الله! فاحذروا أن تفعلوا أفعال اليهود، وأن تتناقلوا في مجالسكم الأخبار الكاذبة وأن ترموا فلاناً بالزنا، أو فلانة بالزنا فهذه جريمة، والله - عز وجل- وحتى لا تنتشر الفاحشة في مجتمعات المسلمين -قد ضيق على الزناة، وقطع الألسنة التي تقذف المؤمنات الغافلات بفاحشة الزنا؛ حتى لا تنتشر في مجتمعات المسلمين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور].

---

(١) **صحيح**، رواه أبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠١٩)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، وصححه الحاكم (٤/ ٣٥٠)، وانظر: [«الإرواء» (٧/ ٢٥٤)].

• ولعن الله القاذف في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». وذكر منها: «**قذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[1] .

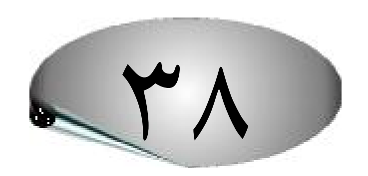
عباد الله! احذروا أن تتناقلوا هذه الأمور، وليتق كلٌّ من اﷲ في لسانه فلا يجوز ذلك أبداً، وحتى إذا رأيت بعينك امرأة تزني فإياك أن تشيع ذلك في المجتمع ما لم تأت بأربعة شهداء، وإلا فالله -عز وجل- يقول: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور]، كل ذلك حتى لا تنتشر الفاحشة بين المسلمين.

ابن آدم! أمسك عليك لسانك. وإياك إياك أن ترمي رجلاً بالزنا؛ لأنك سمعت من الناس. إياك إياك أن ترمي امرأة بالزنا؛ لأنك سمعت الناس يقولون؛ لا يا عبد الله! إنها جريمة، لا تتكلم إلا أن تأتي بأربعة شهداء وإلا أمسك لسانك؛ حتى لا تنتشر الفاحشة بين المسلمين، حتى لا تعطي مجالاً لمرضى القلوب، حتى لا تعطي مجالاً للمنافقين، حتى لا تعطي مجالاً لليهود؛ لأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

والله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٠).



ثالثاً: دعوةُ عيسى -عليه السلام- بني إسرائيل إلى عقيدة التوحيد

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن ودروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصص أولي العزمِ من الرسل، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من قصةِ عيسى -عليه السلام-**

عباد الله! عيسى عليه السلام دعا بني إسرائيل إلى التوحيدِ، وحذرهم من الشرك في مهده وفي كهولته، قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران:٤٦].

* **عباد الله!** قامَ عيسى عليه السلام في بني إسرائيل يدعوهم إلى عقيدة التوحيدِ ويحذرهم من الشرك، يستخدم في ذلك جميعَ الأساليبِ، منها:

أولاً: أخبرهم أن الله جعلهُ نبياً وجعله مباركاً، قال تعالى على لسان عيسى:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)﴾ [مريم].

ثانياً: أخبرهم أنه رسولٌ لهم من رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

ثالثاً: أخذ يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم من الشرك، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)﴾ [المائدة].

رابعاً: أخذ يبين لهم أن عبادة الله وحدهُ لا شريك له هي الطريقُ المستقيمُ الذي يوصلُ إلى رضا الله والجنة، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦)﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤)﴾ [الزخرف].

خامساً: أخذ عيسى عليه السلام يدعو بني إسرائيل بالآيات البيناتِ والمعجزات الباهرات التي أيدهُ اللهُ بها؛ فكان عيسى عليه السلام يبرئُ الأكمه والأبرصَ

بإذن الله. وكان يحيى الموتى بإذن الله. وكان يأخذ من الطين فيجعلُ منه كهيئةِ الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله. وكان ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

قال تعالى عن عيسى عليه السلام وهو يدعو بني إسرائيل: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران].

سادساً: ولم يكتفوا بذلك بل طلبَ أفضلهم وهم الحواريون من عيسى عليه السلام أن ينزلَ عليهم مائدة من السماء، ولا غرابة في ذلك من بني إسرائيل؛ فقد طلبوا من موسى أكبر من ذلك: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣]، قال تعالى على لسانهم: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة]؛ فما كان من عيسى عليه السلام إلا أن رفع يديه إلى السماء يسألُ ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة]، فقال الله -عز وجل-: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة].

* **عبادا لله!** عيسى عليه السلام دعا بني إسرائيل إلى عقيدة التوحيد، بكلِ وسيلةٍ وبكل آيةٍ وبكل معجزةٍ، بالليل والنهارِ لا يكلّ ولا يملّ، فآمنتْ به طائفةٌ وكفرتْ طائفة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾ [الصف].

* **عباد الله!** الطائفة الكافرةُ من بني إسرائيل حقدت على عيسى عليه السلام وأخذت تمكرُ به ليقتلوه، وأحس عيسى عليه السلام بذلك وبلغهُ الخبر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)﴾ [آل عمران].

***عباد الله!** أخذ عيسى عليه السلام حِذرهُ من هذه الطائفة الماكرة الكافرة، ولكنه ذات يومٍ وهو مع أصحابه في بيتٍ من البيوت وإذا بهذه الطائفة الماكرة قد جاءت وأحاطوا بالبيت؛ ليأخذوهُ ليقتلوهُ ويصلبوه، فطلب عيسى من أصحابه فقال: أيكمُ يُلقى شبهي عليه فيُقتلَ مكاني، فيكون معي في درجتي؟ فقام شابٌ من أحدثهم سناً، فقال: أنا، فقال له عيسى: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشابُ فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم الثالثة، فقال الشاب: أنا، فقال عيسى عليه السلام: نعم أنت، فألقى عليه شبهُ عيسى عليه السلام، ثم رُفع عيسى من رُوزنة (طاقة) كانت في البيت إلى السماء،

وجاء الطلبُ من اليهودِ (وهم الفرقة الكافرةُ) فأخذوا الشاب للشبه، فقتلوه، ثم صلبوه.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

***عباد الله!** عيسى عليه السلام رفع حياً إلى السماء، وسينزل في آخر الزمان عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، يحكم الناسَ بشريعة محمد ﷺ، ويكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكمُ ابنُ مريم حكماً عدلاً، فيكسرَ الصليبَ، ويقتلَ الخنزير، ويضع الجزية**»[(١)].

عباد الله! يقول ﷺ: «**ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ، فيمكثُ في الناس أربعين سنةً**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**، رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٢) **صحيح**، سيأتي (ص٥٣٧)، تخريجه من «الصحيحة» (٢١٨٢).

والأحداثُ التي تقعُ في زمانه.

أولاً: يقضي عيسى عليه السلام على الدجال وعلى فتنته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.. **فإذا انصرفَ (أي: عيسى عليه السلام إلى بيت المقدس) قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، فيقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله -عز وجل- ليتوارى به يهودي إلا أنطق ذلك الشيء. لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقد؛ فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله....**»[(1)].

ثانياً: يظهرُ في زمن عيسى عليه السلام يأجوج ومأجوج وهم قوم مفسدون في الأرض يأكلون الأخضر واليابس، يقول صلى الله عليه وسلم: «**فيرغبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسِلُ الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرْسَى كموتِ نفسٍ واحدةٍ، ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موْضِعَ شِبرٍ إلا ملأهُ زهَمُهُم ونَتَنُهُم، فيرغبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسلُ الله طيراً كأعناقِ البختِ فتحملُهُم**

(1) **صحيح**، رواه ابن ماجه (٤٠٧٦)، وانظر قصة المسيح فقرة (٣٣).

فتطرحُهم حيثُ شاء الله، ثم يُرسِلُ الله مطراً لا يكُنُّ منه بيتُ مدَرٍ ولا وَبر، فيغسِلَ الأرضَ حتى يترُكها كالزلقةِ»[1].

ثالثاً: يرفع الشحناء والبغضاء من بين الناس، فلا تبقى شحناء ولا بغضاء ولا حسد، ويكون الأمن والأمان في زمانه حتى إن الذئب يعيش مع الغنم ولا يخاف صاحب الغنم على غنمه من الذئب، والأولاد يلعبون بالحيات والعقارب ولا يخاف الناس على أولادهم، وتتنزل البركات من السماء، وتخرج من الأرض، حتى إن العائلة بأجمعها يأكلون رمانة واحدة فتكفيهم، والبيت الواحد يأكل قطفاً واحداً من العنب فيكفيهم[2]، كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم].

رابعاً: يقضي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على جميع الشرائع الباطلة في الأرض ولا يقبل من أحد ديناً إلا الإسلام، ولذلك يضع الجزية؛ لأن الناس جميعاً يدخلون في دين الله، فلا يقبل ديناً من أحد إلا الإسلام[3].

عباد الله! أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) **صحيح**، رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) **صحيح**، رواه أحمد (٢/ ٤٠٦)، وصححه ابن حبان (٦٧٧٥)، وقد سبق طرف له قريباً، انظر: [«السلسلة الصحيحة» (٢١٨٢)].

أولاً: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ **[الصافات].**

عباد الله! يسأل الله -عز وجل- الرسلَ يومَ القيامة: هل بلغتم رسالات الله؟ ويسألُ اللهُ -عز وجل- الأممَ يوم القيامة: ماذا أجبتم المرسلين؟ قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

عباد الله! يبدأ ربنا -جل علا- وأمام الخلائق بسؤال الر سل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ -من آدم إلى محمد ﷺ على جميع أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأماكنهم وأزمانهم - ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾- فيجيبون من شدة الهول ومن شدة الخوف-﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة].

- ثم يوجه -ربنا جل وعلا- سؤالاً خاصاً، لنبي معينٍ قالَ عنه قومه: إنه ابن الله، وقالوا: إنه هو الله، وقالوا عنه: ثالثُ ثلاثة، واللهُ يعلم أن عيسى ما قال لهم ذلك، ولكن هذا السؤال لعيسى توبيخ للنصارى الذين قالوا ذلك.

عباد الله! اسمعوا السؤال الذي يُوجَّه إلى عيسى عليه السلام في أرض المحشر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة].

عباد الله! ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، هل صدق الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم؟ هل صدق الذين قالوا: المسيح ابن الله؟ هل صدق الذين قالوا: إن الله ثالثِ ثلاثة؟

الجوابُ: لا، والذي رفع السموات بغير عمد، بل كذبوا على الله، وكذبوا على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذبوا على أنفسهم، وكذبوا على الناس: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر].

عباد الله! ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات] يوم القيامة، أمام الله-عز وجل- يُسألُ الراعي عن رعيته، ويُسألُ الرجلُ عن أهل بيته، والمرأةُ عن بيت زوجها، والغنيُّ عن ماله، والشابّ عن شبابه، والعالمُ عن علمه.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، فالإمام راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجلُ راعٍ في أهله، وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادمُ راعٍ في مال سيده، وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزولُ قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يُسألَ عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟**»[2].

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) **حسن**، رواه الترمذي (٢٤١٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٧٢)، والدارمي (١/ ١٣٥)، وانظر: [«الصحيحة» (٩٤٦)].

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار، ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»(١).

وقال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة. قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ. فقال الرجل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة].

فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ تقول: أنا لله عبد وإليه راجع، فمن عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف؛ فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول؛ فليعدَّ للسؤال جواباً(٢).

ثانياً: أهميةُ التوحيد، وخطورةُ الشرك.

وهذا يظهرُ من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة].

عباد الله! الدعوة إلى التوحيد والتحذيرُ من الشرك دعوةُ الأنبياء جميعاً، فما من نبي إلا قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥]. والله

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص٥٤٦).

عز وجل- يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ [الحج].

عباد الله! احذروا أن تتورطوا في أي نوع من أنواع الشركِ وذلك:

أولاً: لأن الشرك ظلمٌ عظيم، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ [لقمان].

ثانياً: لأن الشرك يحبط الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)﴾ [الأنعام].

ثالثاً: لأن الشرك لا يغفرهُ الله أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾ [النساء].

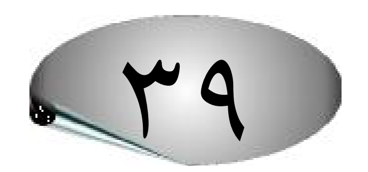
رابعاً: لأن الشرك سبب لدخول النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)﴾ [المائدة].

خامساً: لأن الشرك يجعل صاحبه من شر البرية قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)﴾ [البينة].

سادساً: لأن الشرك من أعظم الذنوب؛ سُئِلَ ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**».

سابعاً: لأن الشرك من أكبر الكبائر؛ قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**». قلنا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: «**الإشراك بالله...**».

عباد الله! عيسى عليه السلام دعا بني إسرائيل إلى التوحيد وحذرهم من الشرك، ورفع حياً إلى السماء، وينزلُ في آخر الزمان يحكمُ الناسَ بشريعة الإسلام، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم].



قصة عيسى -عليه السلام-

رابعاً: الدروسُ والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة عيسى -عليه السلام-

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **البرهان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قَصِصِ أولي العزم من الرسل. أتدرون ما هي يا عباد الله؟ هي: **الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من قصةِ عيسى -عليه السلام-**

عباد الله! قصةُ عيسى عليه السلام التي أخبرنا اللهُ عنها في كتابه، فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: الغلو في الدين ضلالٌ مبين.

عباد الله! غلا أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام بالإفراط والتفريط.

* فعقيدة اليهود -عليهم لعنة الله- في عيسى عليه السلام:

١- أنه ولدُ زنا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف]، قال تعالى عن قولهم: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء]، وهذا البهتانُ العظيمُ: أنهم اتهموا مريمَ بفاحشة الزنا، وقد فضح اللهُ اليهودَ وبيَّن في كتابه كيف حملت مريمُ بعيسى عليه السلام.

٢- اليهود -عليهم لعنة الله- يعتقدون أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وصلبوه.

قال تعالى مكذباً لهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾، أي: اليهود ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء]. وعقيدة اليهود في عيسى ابن مريم، عقيدةٌ باطلةٌ فاسدة فيها غلو.

*أما عقيدة النصارى في عيسى ابن مريم:

١- فمنهم طائفةٌ تعتقدُ أن عيسى عليه السلام هو ابن الله، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

٢- ومنهم طائفةٌ تعتقد أن المسيح هو الله، فكفرهم الله، فقال تعالى مهدداً لهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي

ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة].

٣- ومنهم طائفةٌ تعتقد في عيسى عليه السلام بعقيدة التثليث، فيقولون: الأب والابن وروح القدس، والله كفرهم بهذا القول، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة]، وهذه عقيدةٌ باطلةٌ فاسدةٌ فيها غلو.

عباد الله! فأهلُ الكتاب من اليهود والنصارى ضلوا في عيسى ابن مريم بالإفراط والتفريط ولذلك حذرهم اللهُ فقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! والحقُ في عيسى عليه السلام بين الإفراط والتفريط، وهو ما ذُكر في كتاب ربنا وفي سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو عقيدة المسلمين:

١- عيسى ابن مريم عليه السلام عبدُ الله ورسولُهُ، خلقهُ اللهُ من أنثى بلا ذكر، كما خلق آدم بدون ذكر ولا أنثى.

٢- عيسى عليه السلام بعثهُ الله في بني إسرائيل يدعوهم إلى عقيدة التوحيد ويُحذرهم من الشرك.

٣- عيسى عليه السلام رُفِعَ حياً إلى السماء.

٤- عيسى عليه السلام ينزلُ في آخر الزمان يحكمُ الناسَ بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ويكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية.

وهذه العقيدة الصحيحة في عيسى عليه السلام هي الطريق إلى الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: «**من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُهُ ورسولُهُ، وابنُ أَمَتِهِ، وكلمَتُه ألقاها إلى مريم ورُوحٌ منهُ، وأن الجنةَ حقٌ، وأن النار حقٌ، وأن البعثَ حقٌ أدخله الله الجنة - على ما كان من عمل- من أيِّ أبواب الجنة الثمانية شاء**»[1] .

***عباد الله!** الغلو في الدين كفرٌ وضلالٌ مبين، ولذلك جاء الإسلام يحرِّمُ الغلو في الدين، فيقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[المائدة:٧٧].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم محذراً من الغلو: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسولُه**»[2].

- ومع ذلك فقد غلا كثيرٌ من المسلمين في رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعوهُ من منزلة العبوديةِ إلى منزلةِ الألوهيةِ، فدعوهُ من دون الله واستغاثوا به من دون الله وهذا غلوا في الدين وضلالٌ مبينٍ.

---

(١) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) واللفظ له.

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٣٤٤٥).

• ومن المسلمين من غلا في أصحابِ رسول الله ﷺ بالإفراط والتفريط، كالشيعة فرفعوا علياً رضي الله عنه إلى منزلة الألوهية فدعوه من دون الله، وكفَّروا الصحابة إلا قليلاً منهم، وهذا غلو في الدين وضلالٌ مبين، والحقُ بين ذلك كما يعتقدُ أهل السنة: ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ، ولا نفرطُ في حبِ أحدٍ منهمُ، ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، ونبغضُ من يبغضُهم،وبغير الحقِ يذكرُهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبعضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان[1].

• ومن المسلمين من غلا في حب الأولياءِ الصالحين؛ فطافوا بقبورهم واستغاثوا بهم وذبحوا لهم ودعوهم من دون الله، كما نرى في كثير من بلاد المسلمين، وهذا غلو في الدين وضلال مبين، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة].

• ومن المسلمين من غلا في حب بعضِ الأشخاصِ حتى أنهم وضعوا أقوالهم في منزلة النصِ الشرعي؛ فتقول لأحدهم: قال رسول الله ﷺ . فيقول لك: قالَ فلان. وهذا غلوٌ في الدين وضلالٌ مبين.

ثانياً: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ **[مريم:٣٥].**

عباد الله! افترت اليهودُ والنصارى ومن شابههم على الله كذباً فقالوا: اتخذ اللهُ ولداً. تعالى اللهُ عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

• تعالوا بنا لنستمع إلى قولهم وكيفَ يردُّ الله عليهم ويوبخهم ويكفرُهم وينزهُ سبحانه نفسَه عن فريتهم.

• قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

• وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾، أي: شيئاً عظيماً ومنكراً من القول وزوراً- ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم].

• وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام].

فبين أنه خالقُ كل شيءٍ؛ فكيف يكون له ولد؟! والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين، والله -تعالى- لا نظير له ولا شبيه، ولا عديل له؛ فلا صاحبة له، فلا يكون له ولد.

• وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة].

• وقال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)﴾ [يونس].

• وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)﴾ [الكهف].

• وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦)﴾ [مريم].

• وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان].

• وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾ يقرر أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾، وهو السيد الذي كمل علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ؛ أي: لم يوجد منه ولد. ﴿وَلَمْ يُولَدْ (٣)﴾ ؛ أي: ولم يتولد عن شيء قبله، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص]؛ أي: وليس له عدل، ولا مكافئ، ولا مساو، فقطع النظير المداني والأعلى المساوي،

فانتفى أن يكون له ولد؛ إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين شيئين متعادلين أو متقاربين -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-[1].

- اللهُ -عز وجل- منزهٌ عن الولد، واحدٌ في ذاته، واحدٌ في أسمائه وصفاته، واحدٌ في أفعاله فـ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

- والله -عز وجل- من رحمته وكرمه ولطفه دعا اليهود والنصارى إلى التوبة والاستغفار من قولهم هذا فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة].

ثالثاً: الزنا نارٌ تحرق

عباد الله! الزنا نارٌ تحرقُ الشرفَ والعرضَ والكرامةَ، إذا حلَّ بقومٍ طأطأَ رؤوسُهم، وسوَّدَ وجوهَهم، وأخرسَ ألسنَتَهم؛ فالزنا عارٌ لا يُمحَى، وسبيلٌ من أسوأ السبلِ، لا يسلكه إلا كلابُ البشر. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

- الزنا فاحشةٌ لا يحبُّها أحدٌ يظهرُ، ذلك من قصة عيسى عليه السلام؛ فها هي مريمُ تقولُ للذي دخل عليها في خلوتها: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾﴾ [مريم].

---

(١) انظر: «قصص الأنبياء» لابن كثير (ص٤٧٢).

وقالت له عندما بشرها بغلام: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم]، وقال قومها لها عندما جاءت تحمل عيسى: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم].

عباد الله! الزنا سببٌ لكل شرٍ.

أولاً: إذا ظهر في المجتمعاتُ حلَّ بهم العذاب.

قال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية قد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[1].

ثانياً: إذا انتشرَ في المجتمعات انتشرت فيها الأمراض الخبيثة.

قال ﷺ: «**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[2].

عباد الله! وحتى لا ينتشرَ الزنا في مجتمعات المسلمين جاء الإسلامُ فأعلن الحربَ على الزناةِ أينما كانوا، وضيق عليهم وحرَّمَ جميع الطرق التي توصلُ إلى فاحشة الزنا.

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور].

---

(١) **حسن**، رواه أبو داود (٣٨٥٧)، وصححه الحاكم (٢٢٢١)، وانظر: [«صحيح الترغيب» (١٨٥٩)].

(٢) ، رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وصححه الحاكم (٤/ ٥٤٠)، وانظر: [«الصحيحة» (١٠٦)].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

عباد الله! المرأة فتنةٌ عظيمةٌ للرجال.

قال ﷺ: «...**اتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[1]، وقال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[2].

ولذلك جاء الإسلامُ:

أولاً: يمنع المرأة أن ترقق صوتها إذا تكلمت مع الرجال الأجانب، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].

ثانياً: يحرمُ على المرأة أن تتزين للرجال الأجانب، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ....﴾ [النور:٣١].

ثالثاً: أمرَ المرأة أن لا تخرج من بيتها إلا لضرورة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **صحيح**، رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

رابعاً: أمرَ المرأة بالحجاب وحرم عليها التبرج، قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

خامساً: حرمَ على المرأةِ أن تختلط بالرجال الأجانب. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وقال ﷺ: «**ألا لا يخلُونَّ رجل بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان**»[١]، وقال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء!**»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت!**»[٢].

سادساً: حرمَ على المرأةِ أن تتعطر وتخرج إلى الشارع.

قال ﷺ: «**أيما امرأةٍ استعطرت ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عينٍ زانية**»[٣].

---

(١) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٠٩١)، وأحمد (١/ ٢٦)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٥)، وصححه الحاكم (١/ ١١٤) على شرط الشيخين، وابن حبان (٥٦٧٧)، وانظر: [«الصحيحة» (٤٣٠)].

(٢) **صحيح**، متفق عليه، رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٣) **صحيح**، رواه الترمذي (٢٧٨٦)، وأبو داود (٤١٧٣)، والنسائي (٥١٢٦)، وأحمد (٤/ ٤٠٠)، وصححه ابن خزيمة (١٦٨١)، وابن حبان (٤٤٠٧)، وانظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠١٩)].

ثانياً: عبادةُ اللهِ وحدهُ لا شريك له طريقٌ مستقيمُ يوصلُ إلى رضا الله وجنات النعيم

وهذا يؤخذُ من قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [الزخرف].

عباد الله! والعبادةُ التي توصلُ إلى رضا الله والجنة: هي العبادة التي يتوفر فيها شرطان اثنان:

الشرط الأول: الإخلاصُ لله في العبادة.

لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة]. ولقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر].

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

- ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنيات**».

الشرط الثاني: موافقتهُ العمل بالسنة.

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]. ولقوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

---

(١) **صحيح**، رواه مسلم (١٧١٨).

عباد الله! وقد جمع الله -عز وجل- بين هذين الشرطين في آخر سورة الكهف.

فقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الآحاديث
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة يونس

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة الصافات

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

كتب صدرت للمؤلف

١ - العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ٤ مجلدات.

٢ - أحسن البيان، مجلد.

٣- الدعاء النافع، مجلد.

٤ - سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام، مجلد.

٥ - الصحابة رضي الله عنهم، مجلد.

٦ - تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام، مجلد.

٧- حياة السعدا، مجلد

٨- الفرقان من قصص القرآن، مجلد.

٩ - البيان من قصص القرآن، مجلد.

١٠ - البرهان من قصص القرآن، مجلد.